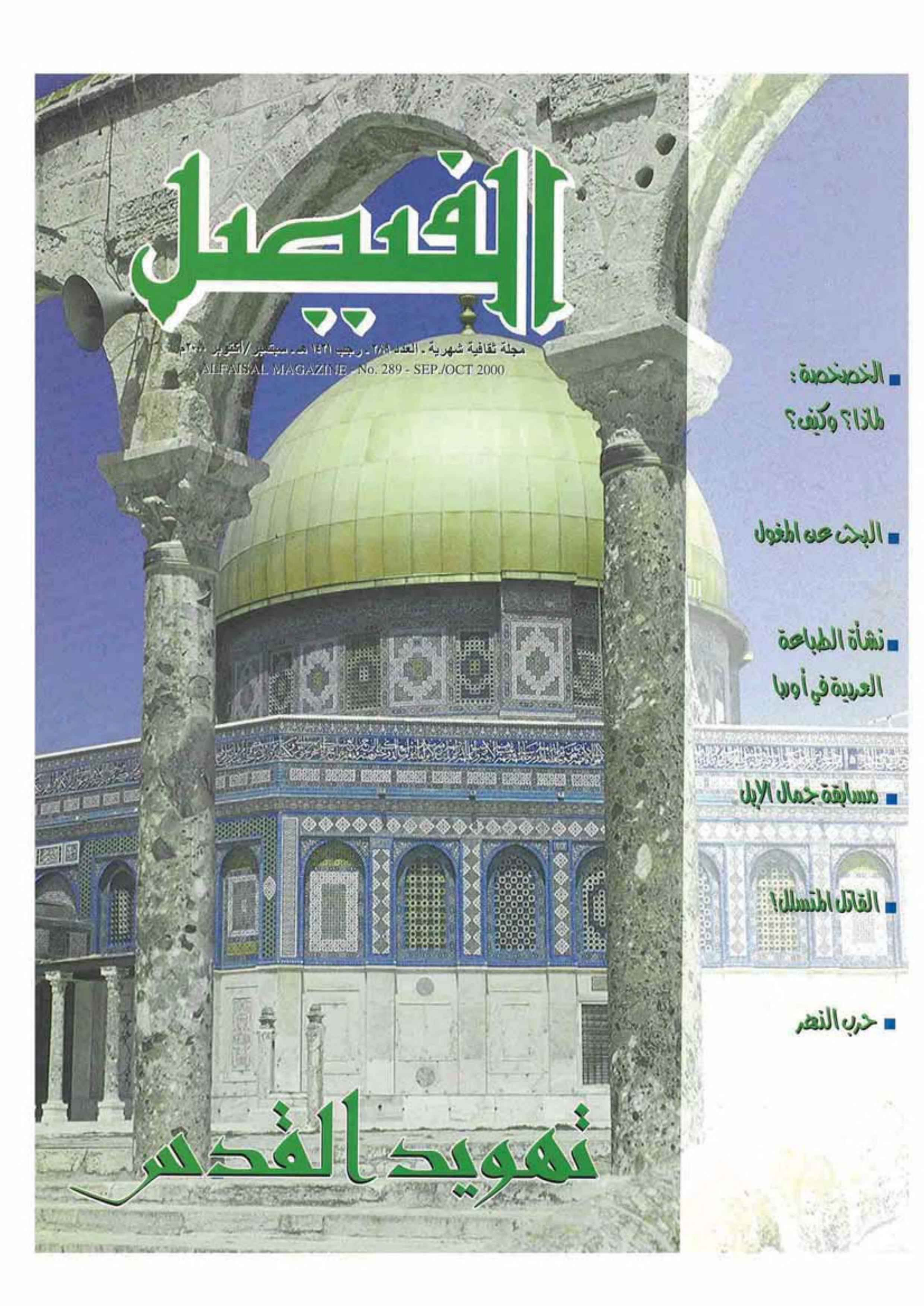

الفيصل
مجلة ثقافية شهرية . العدد ٢٨٩ . رجب ١٤٢١ هـ . سبتمبر/أكتوبر ٢٠٠٠م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 289 - SEP./OCT 2000
الخصخصة: لماذا؟ وكيف؟
البحث عن المغول
نشأة الطباعة العربية في أوربا
مسابقة جمال الإبل
القاتل المتسلل!
حرب النهر
تهويد القدس

شركة واحدة فقط
توفّر لك كل هذه الخدمات

REDIAL

ABC
النقل بين المدن

DEF
الخدمات المحلية

النقل الدولي

JKL

MNO
خدمات الحج والعمرة

GHI
العقود و التأجير

TUV
النقل المدرسي

WXYZ
البرامج السياحية

PQRS
الخدمة المميزة

الشركة الرائدة في مجال النقل البري توفر خدمات متعددة لكافة الأغراض ، لمسة واحدة فقط وتحصل على الخدمة التي تحتاجها.

اتصل مجاناً على الرقم ٩٩٩٩ ١٢٤ - ٨٠٠



SAPTCO النقل الجماعي



الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

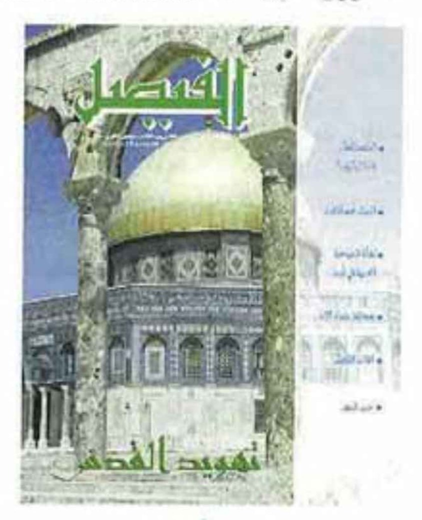
السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٧٠ ديناراً ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٨٠ ديناراً ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ـ هاتف ٤٧٨٣٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢٠٠، سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٢٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١ـ ٩٦٣٠٠، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣نهج المغرب ـ فاكس ٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ - ١ - ٢١٦٠٠، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٦٦١٨٦٥ ـ ٩٧٤٠٠، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ـ ٩٦٢٠٠، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٣١٢٨١ـ ٩٧٣٠٠، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٩٧١٠٠، الجزائر ـ مؤسسة E.B.D. PRESSE لتوزيع الصحافة. ت ٤٨٦١٥٥٥ فاكس ٤٨٦٢٤١٥ ـ ٢١٣٠٠، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٩٦٥٠٠، السودان شركة التحوي للتجارة والتوزيع ص.ب ١٠٣٧١ ت: ٧٧١٥٤٧/٢٧ فاكس ٧٧٤٣٣٦، المغرب ـ CAS - SOCHPRESS - CAS ٢٤٥٧٤٥، CASABLANCA - MOROCO TEL: فاكس ٣١/٣٢-٤٠٤٠-٢١٢٠٠، باكستان ٥٦٨٣٤٩٤ -PARADIS BOOK STALL - KARACHI 3. PAKI STAN TEL: ـ فاكس ٥٦٨٢٧٠٤-٢١-٩٢٠٠، الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢١٨٦١٥ - ٣ - ٩٦٧ فاكس ٢٢٢٣٢٨، سلطنة عمان ـ المتحدة لخدمة وسائل الإعلام ـ ص.ب ٣٣٠٥ روي ١١٢ ت: ٧٠٠٨٩٥ / ٧٠٧٩٣٢ ـ فاكس ٧٠٦٥١٢ ـ ٧ ـ ٩٦٨٠٠



مطابع هـلا
٤٨٢١٣١٣



تهويد القدس

لمدينة القدس خصوصية واضحة، فقد التقت فيها حضارات العالم، ومرّ بها الأنبياء والأباطرة وجحافل الغزاة، وظلت تنهض ثابتة قوية في كل مرة تتعرض فيها للتخريب. وهي اليوم تمثل لب الصراع العربي ـ الصهيوني، وتتعرض لأشكال كثيرة من محاولات تهويدها ومنها تغيير التركيبة السكانية لها لمصلحة اليهود، ولكن تبقى حقائق التاريخ أقوى من أي تزييف.

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:
١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨

الأمل روح الحياة

طالعت وبإمعان شديد رسالة الأخ الثائر صحابي المصطفى (الرباط - المغرب) بالعدد ٢٨٠ الصفحة الرابعة والذي يتألم من عدم نشر نتاجه الفكري على صفحات «الفيصل» وأود أن أسرد عليه - إن اتسع صدره - الآتي قائلاً له:

رفقاً بنفسك يا أخي.. فأنا مثلك تماماً تماماً.. غير أن صدى ما وجدته في نفسي يوافقك أحياناً ويختلف عنك أحايين.. فكلنا يأمل ويتشوق إلى أن نرى إبداعاته النور عبر «الفيصل» الكريمة.. وإن لم يجد المرء منه شيئاً منشوراً أو لم يصله رد كما ذكرت فيجب عليه ألا يصاب بالتحفز ثم الإحباط.. بل ينتابه الإحباط برهة ثم يتحفز بعدها.. فاجعل التحفز يا أخي يتلو الإحباط، وليس العكس.

ويكفي نبلاً بالفيصل أنها تراسل قراءها - أياً كان رأيها في نتاجهم - فهي أشبه عندي بمن تقول له: السلام عليكم.. فيعتدل إجلالاً لك ويرد عليك التحية بمثلها إن لم يكن بأحسن منها.. واعلم يا أخي أنه لا شيء يجعلنا عظماء غير ألم عظيم. فثابر وتابع.. ولا تقل - كما ذكرت: إن نار قلمي لن تخمد، بل قل: إن نور قلمي لن يأفل أو يبهت.. وتفاءل واعلم أن الأمل هو روح الحياة، واصدح فوق كل الأغصان.. وعلى كل الأفنان.. واعلم أن مجلتنا الفيصل الفيحاء، وهي في عامها الخامس والعشرين، تعد مرجعاً عتيقاً - وأنا لا أبالغ - فكم قرأت لكتاب يذيلون كتاباتهم بمراجع هي أحدها. ومعنى نشر مقالة لك بها بلوغك غاية السمو.. فاهدأ يا صديقي.

.. أما بخصوص المسابقات فأنا مثلك تماماً وإجاباتي كما تقول ١٠٠٪ ولم أفز مرة واحدة بأيها.. وعندئذ لا أتحسر بل أتعزى بقول الشاعر:

إذا لم يكنْ عونٌ من الله للفتى
فأول ما يجني عليه اجتهاده

وأخيراً يا أخي، كلنا نأمل ونتشوق.. وسنحقق ما نصبو إليه - إن شاء الله - بالتوفيق والمثابرة.. وأرجوك مراسلتي - فنحن مثلك - تماماً - إخوة مسلمون عرب.. والحلم الذي يراودنا واحد، والأمل معقود إن شاء الله.. فمرحباً بك صديقاً.. وحتى الملتقى بخير إن شاء الله.

سيد أحمد محمد إبراهيم حسن
وكيل مدرسة الإمام علي الابتدائية
بالدير شرق - إسنا - مصر.

التغيير في التفكير هو المطلوب

لا شك أن الفيصل مجلة رصينة ونافعة، لكني أسأل عن مدى تواصلها مع قرائها وهم «علة وجودها» فلولاهم لما وجدت أية مطبوعة أو أداة إعلامية أخرى، والحاصل هو اعتماد المجلة بشكل رئيس على كوكبة من مشاهير الكتاب العرب الذين يستلهمون نصوصهم من اختصاصاتهم الدينية والأدبية والعلمية المختلفة، فينقلون إلينا معلومات ومعارف من المواد التي درسوها، والتي تحتويها بطون الكتب والمجلدات، وهي تمثل علوماً تراثية وعصرية على السواء، ونادراً ما يضيف الكاتب إلى نصه رأياً شخصياً أو اجتهاداً ذاتياً.. ومع اعترافنا بفائدة تلك الطريقة التي تزودنا بالثقافة والمعرفة لعلوم متنوعة، لكنها لا تساهم في تنمية العقل وملكة التفكير، وهذا يقف حائلاً دون التغيير الإيجابي الذي ننشده لمجتمعاتنا العربية والإسلامية. فالتغيير في طريقة التفكير ينعكس على التصرفات الفردية والجماعية للمجتمعات الإنسانية المتحضرة أينما وجدت، إنما المطلوب هو: أن يوظف جانب كبير من الكتابة لنقد السلوكات الإنسانية المجتمعية، لأجل التغيير الإيجابي في مجتمعاتنا المعاصرة، ويتحقق ذلك بفتح المجال للأفكار المبدعة، وتشجيع الكتبة من القرّاء المفكرين «وإن نقصتهم الشهرة». فالمهم أن نطرح أفكاراً تتعلق بالمشكلات الإنسانية التي تعاني منها أوطاننا العربية والإسلامية كظاهرة العنف الجسدي والفكري، وطغيان المادة، والفقر والقهر والتسلط، والتلوث البيئي، والفوارق المادية والفكرية بين المجتمع الواحد، وليس معنى ذلك أن نخرج عن سياسة المجلة بأن نتدخل في رسم السياسة العليا للبلدان «الموضوع الذي لا يدخل ضمن اختصاص المجلة» بل أن نبحث هذه الأمور بحثاً مدنياً حضارياً مجتمعياً ابتداء من الخلية الأولى للمجتمع وهي الأسرة، ثم توسعاً بالحي والبلدة والمنطقة.. ويتحقق ذلك بدراسة المنطلقات النفسية لتصرفات الأفراد، والمفاهيم العامة للأمور الحياتية المتحكمة بسلوكهم، هذه المفاهيم المتراكمة الموروثة والتي تشكل ثقافة الأمة وقيمها.

إن الأجناس الأدبية من قصة ورواية وشعر ونثر، هي أكثر النصوص التي تملأ الكتب والصحف والمجلات، وقد وصلت هذه الفنون الأدبية الجمالية إلى أوجها الأرقى، بل إلى حد الإشباع - كما أعتقد -، وتشجيعاً لهذه الأجناس الأدبية جرى ويجري الإعلان عن مسابقات سنوية كثيرة، يمنح الفائز فيها مبالغ نقدية كبيرة، ويحدث هذا على حساب النص الفكري التغييري العملي المبدع والخلاق، هذا النص الفكري الذي يرصد كاتبه المشكلة الاجتماعية ويراقبها، ثم يشرحها ويحللها، ويقترح لها بعد ذلك حلولاً تجريبية تخضع للتعديل والتبديل، حسب مقتضيات الضرورة.. ولا شك في أن هذا الفكر المؤمل سوف يحدث تفاعلاً بين المجلة وقرائها، وسوف يشكل لدى أجيالنا فيما بعد وعياً تراكمياً جديداً، مما سيلزم العقول بآلية تفكير «إسلامية - عصرية - إنسانية عالمية» وسيصبح لدينا في المحصلة إنسان مسلم متمسك بدينه عن وعي وثقة وعلم واقتدار، مسلم مواكب لعصره، منفتح على الحضارات الأخرى، متفاعل مع النشاطات الإنسانية الكونية البناءة، بحركية دائمة تتمحور في مركز الإسلام، وتشع إلى خارج دائرته، لتؤثر إيجاباً في الإنسان الغربي، فتتغير فيه - ابتداء - نظرته النمطية السلبية إلى المسلمين وسلوكهم الديني والاجتماعي والإنساني.

فمقولتي السالفة تصلح مقدمة موجزة لموضوع مهم عنوانه: «بناء الشخصية الإسلامية العصرية، ودور الإعلام الملتزم في هذا البناء» ولو أني تطوعت لكتابة هذا الموضوع الخطير في حياة الأمم، ترى هل سيرى النور بعد سنتين مثلاً؟ هذا إن أجيز نشره أساساً، بينما تنشر الموضوعات التي تتناول جزئيات الاختصاصات العلمية التي لا تهم سوى شريحة قليلة من المختصين، كذلك تنشر الاستطلاعات التي تعرفنا على مدننا وبلداننا مزدانة بالصور التوضيحية.. وأقول: إننا مهما عرفنا عن أقطارنا، فهذا لن يغير شيئاً من واقعنا، والأحرى بنا أن نتعرف أولاً نفوسنا، ثم نقوم اعوجاجها وننقلها من ضيق الأنانية والمادية، إلى سعة الإيثار والروحانية.

نبيل الإمام بن محمد سليم
دمشق - سورية - ص.ب ١٠٧٦٣

التحرير:

يبدو أن الأخ نبيل كتب رسالته وهو متأثر بتأخر نشر مقالاته أو رفض نشر بعضها. فنطمئنه أن المجلة لا تنظر إلى الأسماء بقدر ما تقوّم الموضوع المرسل، وفي كل عدد ينضم إلى المجلة عدد كبير من الكتّاب من مختلف أرجاء العالم، كما أن أي موضوع لا يتضمن جديداً في أفكاره لا يجاز للنشر. ومن الظلم أن نقول إن ما ينشر هو موضوعات متخصصة من بطون الكتب؛ لأن كتّابها قادرون على التفريق بين الكتابة المتخصصة والكتابة لمجلة عامة، كما أن المجلة قادرة على تمييز ذلك.

علوة لا الفونج

فقد أسعدنا وأثلج صدورنا تفضلكم بنشر التحقيق الضافي عن مقتنيات متحف السودان القومي بالعدد ٢٨٥ الصادر عن شهري يونيو ويوليو ٢٠٠٠م من مجلتكم المحترمة، ونعتقد أن ذلك التحقيق الذي تكرمتم بجعله موضوع الغلاف، قد قدم

سياحة ماتعة ومفيدة للقراء العرب وقراء العربية في كل مكان تعرفوا من خلالها إلى جوانب مهمة من الحقب والممالك والحضارات المختلفة التي تعاقبت على السودان عبر تاريخه العريق الضارب في القدم.

بيد أن لي ملاحظة حقها أن تقال في المقام الأول لإدارة هيئة الآثار والمتاحف السودانية وهي تتعلق بطريقة تصنيف الآثار الإسلامية بصفة خاصة وعرضها في المتحف القومي، لأنها في تقديري مصنفة ومعروضة بطريقة مضللة، مما انعكس على التحقيق بغير تدخل أو قصد من جانبكم وأنتم معذورون في ذلك بالطبع.

فعلى سبيل المثال نشرت المجلة في صفحة (١٥) صورة لشاهد قبر كتب بالخط الكوفي لرجل يسمى محمد بن مأمون توفي سنة ١٤٠٥هـ (أي أول القرن الحادي عشر الميلادي) ونسبت هذا الأثر بين قوسين لسلطنة الفونج، وذلك ببساطة لأن القائمين على المتحف قد أضافوا كل أثر إسلامي إلى سلطنة الفونج قسراً، ومن دون أي مسوغ أو سند موضوعي. والمعروف أن سلطنة الفونج إنما نشأت في سنة ٩١٠هـ الموافق ١٥٠٤م. بينما من الواضح أن الأثر المشار إليه يعود إلى عهد مملكة علوة وعاصمتها «سوبا» الذي سماه الأوربيون «العصر المسيحي»، وجاراهم في ذلك بعض الكتاب السودانيين والعرب، وكان الأجدر بهم أن يسموه عصر سوبا أو عصر علوة دون نسبته إلى دين معين. والمعروف أن علوة وعاصمتها سوبا قد شهدت منذ القرون الإسلامية الأولى وجوداً بشرياً إسلامياً معتبراً أشار إليه بعض الجغرافيين العرب مثل اليعقوبي وابن حوقل وغيرهما.

هذا ما عن لي من تعليق على تحقيقكم الممتاز راجياً منكم التكرم بنشره مع أكيد الشكر والتقدير.

خالد محمد

أم درمان - الثورة - السودان

التحرير:

نشكر لك هذا التعقيب، ولعلك تعد لنا استطلاعاً مصوراً عن أحد المتاحف التي تحوي آثاراً إسلامية في السودان.

عودة الفيصل

إنه لمن دواعي الفرح والسرور أن تعود إلينا مجلة «الفيصل» بعد انقطاع طويل عنا أعرف أنه خارج عن إرادتها. لكني أقول الحمد لله على عودتها إلينا في الجزائر وهي كلها بهاء ورونق، وأكثر ثقافة وعلمية كما عودتنا طوال أعوامها التي ناهزت العشرين. فأرجو أن تبقى على هذا الطريق والعهد الذي عاهدت به القراء - باسم الله - تخليداً لذكرى الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - ودليل ذلك أنها تحمل اسمه الميمون لتكمل الطريق والنهج الذي سار عليه. وإني لأرجو الله أن تكون كذلك - خاصة وأني عدت لأتصفح ما تكتبونه منذ العدد ٢٧٩ رمضان ١٤٢٠هـ. وإنه ليحز في نفسي ما ضيعت من أعداد طوال أعوام سابقة، أعرف أني فقدت الكثير من المواضيع الثقافية والعلمية الجادة. وكل هذا ترك فجوة كبيرة في معلوماتي وفيما أملكه من «الفيصل» الفيحاء في مكتبتي المتواضعة. أرجو تداركه في أقرب الفرص.

إن مجلة «الفيصل» الفيحاء لا يُعاب عليها شيء، ولا يمكن لمثلي انتقادها، ولكن أقترح عليكم أن تعرفونا أكثر بتاريخ المملكة الأثرية والعلمية والثقافية ومناطقها وكل ما يستجد في ذلك كما كنتم تفعلون في الماضي. كما أرجو وآمل أن تهتم المجلة بالحوارات الثقافية والعلمية مع الشخصيات التي لها باعٌ طويلٌ في ذلك، لأن الحوار - كما تعلمون - ينشط الفكرة، ويستنبط منها كل جديد خافٍ، ويجعل الرد عليها كبيراً وغزيراً. وهذا كله يؤدي إلى إغناء الفكر والمعرفة.

وأخيراً أرجو استحداث صفحة تسمى: «من ذاكرة الفيصل» - مثلاً - يتم فيها عرض بعض ما صدر في هذه المجلة ذات شهر من ذات عام؛ وذلك لأن الذاكرة تنشط الفكر الحاضر، وتربط الماضي بحنين جميل له الفائدة الكبيرة في مستقبلنا - إن شاء الله

وأرجو أن تبعثوا لي بعض الأعداد من مجلة «الفيصل» الفيحاء لسنة ١٤٢٠هـ (قبل شهر رمضان) وخاصة الملحق الذي صدر عن الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله وأدخله فسيح جناته - وإن كان هناك ملحق عن مئوية تأسيس المملكة العربية السعودية - ولا بد أن يكون - فأرجو إرساله. هذا قبل أن أحضر نفسي لطلب المجلدات التي فاتتني طوال هذه الأعوام، وجزاكم الله كل الخير.

هذا وأتمنى لكم من الله - عز وجل - دوام التقدم في عملكم النبيل، ومزيداً من النجاحات ودامت مجلتنا الفيصل الفيحاء لنا وللثقافة والفكر بإذنه تعالى إنه سميع مجيب.

محمد حكيم بادود

٣١ شارع أول نوفمبر - ولاية تِسَمْسِيلتْ - الرمز ٣٨٠٠٠ - الجمهورية الجزائرية

التحرير:

نشكر لك إطراءك ومشاعرك الصادقة تجاه «الفيصل»، ونأمل أن تكون دوماً عند حسن ظن قرائها الأعزاء في كل مكان، وسوف يتم النظر في اقتراحاتك. لنرى ما يمكن تنفيذه منها، وستصل إليك بعض الأعداد التي فاتتك من المجلة مع الملحق الذي أشرت إليه، ونأمل أن نتمكن من إجابة كل ما طلبته بقدر ما نستطيع.

ردود سريعة

الأخ محمد سيف حيدر - صنعاء - اليمن:

لقد تعذر إرسال مكافأتك عن القصة القصيرة المعنونة «كنت حلماً» لعدم وجود عنوان كامل لك، لذا نطلب منك موافاتنا بعنوانك كاملاً، كما نأمل أن يقوم الإخوة الذين لم تصل إليهم مكافآت عن مقالات أو أعمال إبداعية نشرت لهم أن يوافونا بعناوينهم الصحيحة، لأن هناك رسائل أعيدت لعدم صحة العنوان.

الأخ شرات عبدالقادر: الجلفة - الجزائر:

ما طلبته يخرج عن نطاق اهتمام المجلة وقدراتها، فهناك جهات مختصة بذلك، يمكنك متابعة الصحف السعودية لتعرف هذه الجهات.

الأخ محمد العربي - مدنين - تونس:

لم تعد هناك زاوية للعناوين، لذا يؤسفنا ألا نستطيع إجابة طلبك، وكما قلت فإن صدرنا مفتوح لكل أسئلة القراء على أن تكون في إطار اهتمامات المجلة واختصاصها.

الأخ بندر المالكي - مكة المكرمة - السعودية:

الصور التي طلبتها موجودة على أقراص مدمجة CD، وهي متوافرة في أغلب المكتبات الكبرى، وعلى درجة كبيرة من الجودة.

الأخ بدر الدين ياسمين - دمشق - سورية:

أولاً نشكر لك هذا الحب الذي يدفعك إلى التواصل مع المجلة - كما ذكرت في خطابك - ويؤسفنا أن نخبرك أن القصائد التي أرسلتها غير صالحة للنشر، وإن كنا نأمل أن ترسل في المرات القادمة قصائد أكثر جودة لغة ونظماً تجد طريقها إلى النشر.

وزاوية «تباشير» تمّ إلغاؤها، ولكن يظل تشجيع الشباب بالنشر في باب «إبداع» ووفق الضوابط والمعايير الفنية التي تحتكم إليها المجلة.

تهويد القدس

سياسة إسرائيل لتغيير تركيبة القدس السكانية (الديموجرافية)

محمد أحمد صالح
الجيزة - مصر



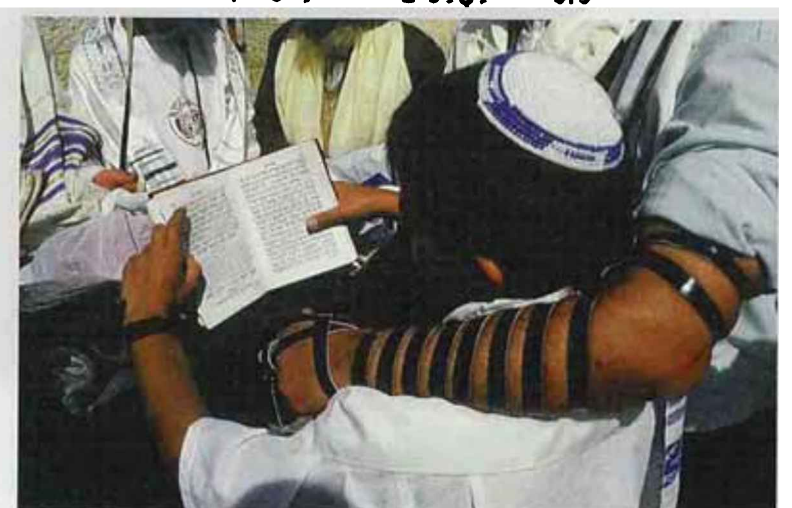
تقوم إسرائيل - كدولة ونظام وفكر - على طمس الحقائق، وتشويه الوقائع، وتزييف التاريخ المتعلق بالصراع العربي - الإسرائيلي بشكل عام، والصراع الفلسطيني - الإسرائيلي بشكل خاص، وقضية القدس بشكل أخص. فمدينة القدس تتمتع بخصوصية كبيرة، لأنها تختص باستمرارية فريدة تتحدى التاريخ. فقد التقت داخلها حضارات العالم، ومر بها الأنبياء والأباطرة وجحافل الغزاة، كما كانت دائماً أحد مراكز التصادم بين الإمبراطوريات القديمة والحديثة، فتعرضت للتخريب في حياتها الطويلة نحو ست عشرة مرة. وفي كل مرة كانت تنهض إلى الحياة من جديد وتعود قوية متعافية.

تجلت بها حكمة الأنبياء، فأدت دورا مهماً في حياة الأديان الثلاثة، وشهدت «الإسراء» معجزة الإسلام الكبرى، وهي أولى القبلتين، وشهدت جبالها ووهادها دعوة السيد المسيح عليه السلام. وهي للعرب تاريخ محفوظ، وقد ظلت لفلسطين كالقلب، ومن أكبر مدنها حتى بدأت المؤامرة الصهيونية، ووقعت تحت نير الاحتلال وبراثنه. ومن ثم أصبحت أخطر تحد يواجه العرب في تاريخهم الحديث. وهنا لابدّ من القول إنه بقدر عروبة القدس يكون حجم الإرادة العربية، وبقدر ثبوت كذب الادعاءات الإسرائيلية في القدس يكون مدى العجز العربي.



الوجود الفلسطيني يفرض نفسه متحدياً كل العقبات

وتعد قضية القدس من أخطر القضايا المتنازع عليها في مجمل الصراع العربي - الإسلامي / الصهيوني-الإسرائيلي، وأصعبها وأكثرها تعقيداً. والحقيقة هي أنه لم تواجه مدينة لا في الصراعات الإقليمية، ولا النزاعات الدولية، ماواجهته هذه المدينة من أحداث، بسبب وضعها الديني الخاص في الديانات السماوية الثلاث. ولهذا تعد القدس المحور الأساسي في القضية الفلسطينية، ولايوجد أي مشروع سلام وضع لحل هذه القضية دون إبراز قضية القدس فيه، حيث طالب بعضها بالتدويل وببقائها موحدة، وطالبت مشروعات أخرى بعودة القدس الشرقية إلى السيادة الفلسطينية. أما إسرائيل فهي تصر على توحيدها تحت سيادتها لتبقى عاصمة لها.



الطرف الإسرائيلي يزعم - زوراً وبهتاناً - أن القدس يهودية

ويتزايد تعقيد مشكلة القدس لتصبح عقبة في طريق أية تسوية سياسية بسبب ماآلت إليه أوضاع المدينة المقدسة في ظل الخطة الصهيونية -الإسرائيلية لاستلاب عروبتها وتهويدها والقضاء التام على هويتها العربية والإسلامية وطابعها الحضاري المميز، بوصفها المدينة المقدسة التي ظلت على مدار التاريخ العربي والإسلامي - امتداداً ورمزاً للتعايش بين الديانات الثلاث الإسلامية والمسيحية واليهودية(١). من هنا ينظر الكثيرون إلى مدينة القدس على أنها بؤرة هذا الصراع، بكل أشكاله ومظاهره، ومحوره الرئيس، خاصة وأن الطرف الإسرائيلي يزعم - زوراً وبهتاناً - أن القدس يهودية.

ويتزايد وضع مدينة القدس خطورة وصعوبة وتعقيداً داخل منظومة الصراع العربي - الإسرائيلي بمفرداتها المختلفة مع بداية العد التنازلي لحل هذه القضية على طاولة المفاوضات؛ لأن قضية القدس من القضايا التي أجّلت إلى مفاوضات الوضع النهائي من اتفاقيات السلام بين الجانب الإسرائيلي والجانب الفلسطيني التي أجريت في أوسلو، وتم التعرض لها كذلك في الاتفاق الذي وقع بين الجانبين في شرم الشيخ، ويقضي بالانتهاء من هذه المرحلة من مفاوضات الوضع النهائي في شهر سبتمبر/ أيلول من عام ٢٠٠٠م.

ويصاب المتابع العربي لتطورات قضية القدس بحالة من القلق والخوف على هذه المدينة؛ بسبب سلسلة من

الإجراءات والخطوات المتلاحقة التي أحكمتها إسرائيل لابتلاع هذه المدينة العربية المقدسة واغتيال الحق الفلسطيني العربي، الإسلامي والمسيحي، والتي تعد بمنزلة صدمات قوية للعرب.

محاور الإستراتيجية الإسرائيلية

تقوم إستراتيجية إسرائيل في تعاملها مع مفردات الصراع العربي الإسرائيلي على عدة محاور رئيسة: يتمثل المحور الأول من هذه المحاور في تفسير التاريخ البشرى تفسيراً يهودياً يخدم هذه الدولة ومواطنيها والفكر الصهيوني الذي تقوم عليه، متجاهلاً بشكل تام حقائق التاريخ ومعطياته وثوابته، ويتأكد هذا المحور في الادعاء بأن القدس يهودية، متجاهلين في ذلك الحقائق التاريخية والثوابت الجغرافية التي تؤكد أن القدس مدينة عربية النشأة والتطور أسسها العرب الكنعانيون الذين سكنوا فلسطين في الألف الثالث قبل الميلاد، وأن هذه المدينة، كما جاء في كتاب العهد القديم نفسه، لم تكن أبداً خالصة لبني إسرائيل حتى خلال الفترة الإسرائيلية – التي تمثل الفترة المزدهرة في تاريخ بني إسرائيل في فلسطين – من تاريخها والتي تبدأ من عصر داود.

وتستغل إسرائيل جميع المحافل الدولية وأية فرصة تسنح لها على المستوى الدعائي والإعلامي في العالم لإقحام القدس في المناسبات المختلفة والترويج – زوراً وبهتاناً – بأنها مدينة يهودية تضرب بجذورها في التاريخ اليهودي، وأنها عاصمة أبدية لدولة إسرائيل(؟!). ومن محاولاتها في هذا الجانب ماحدث في المعرض الذي أقامته شركة «والت ديزني» في مدينة أورلاندو الأمريكية بمناسبة استقبال الألفية الثالثة. قدمت إسرائيل مدينة القدس في هذا المعرض عاصمة لإسرائيل، وأنها، بشقيها الشرقي والغربي، جزء متكامل من إسرائيل، كما تقدم إسرائيل القدس بتاريخها اليهودي فقط باستثناء بعض اللحظات المسيحية والإسلامية التي عاشتها المدينة انتزاعاً من الحق اليهودي. ولكي يتحقق لها ماتريد لجأت – كعادتها – إلى تزييف التاريخ وطمس معالم الحق العربي – المسيحي والإسلامي – في تلك المدينة المقدسة، فقد تم تقديم باب الخليل التي استولت عليه القوات الإسرائيلية في عام ١٩٦٧م على أنه أثر يهودي، وهذا يمثل انتهاكاً سافراً وتشويهاً صارخاً للتاريخ العربي والإسلامي للمدينة(٢).

وسيراً على درب هذه السياسة قامت شركة إسرائيلية في الآونة الأخيرة بترويج زجاجات نبيذ بمناسبة الاحتفال بقدوم الألفية الثالثة أيضاً، وغلفت زجاجاتها بصورة مسجد قبة الصخرة، والقطاع الشرقي من مدينة القدس، ووزعته في جميع أنحاء العالم تحت شعار «القدس ٢٠٠٠» وهذا يعني - صراحة - انتهاك حرمة المقدسات الإسلامية، ووضعها على قدم المساواة مع أماكن اللهو والعبث والمجون.

على الرغم من كل محاولات التهويد ستبقى القدس مدينة عربية النشأة والتطور

وترمي هذه الخطوات التي تتم في الخفاء إلى تضليل الرأي العام العالمي من ناحية، وتعكس من ناحية أخرى مخططاً محكماً ومؤامرة صهيونية–إسرائيلية مدروسة على هذه المدينة وتاريخها وعروبتها لاقتلاع الوجود العربي والفلسطيني فيها من الأساس، من خلال تزييف التاريخ، وطمس معالم الحق العربي(٣).

وهكذا يتضح أن إسرائيل، ومن ورائها الصهيونية العالمية، قد عقدت العزم وجمعت أمرها على أن تجرد العرب – مسيحيين ومسلمين – من حقهم المقدس الذي تدل عليه شواهد الوجود العربي في المدينة عبر المسيرة التاريخية الطويلة، وهي حقوق دينية وتاريخية وحياتية في المدينة.

التهديد العسكري

ويدور المحور الثاني حول امتلاك القوة العسكرية واستخدامها لمواجهة الدول العربية والإسلامية المجاورة، فبدأت في التسلح بالسلاح النووي لردع أية دولة عربية أو إسلامية تحاول التصدي لها، فأصبحت تملك ترسانة نووية تشكل تهديداً لمنطقة الشرق الأوسط بأسرها. وحتى مع البدايات الأولى لعملية السلام لم تعلن إسرائيل حتى اليوم عن تخليها عن هذا السلاح المدمر الفتاك، وإنما تصر على الاحتفاظ به وتلوح بالتهديد به ضد كل من ترى فيه عدواً أو خصماً لها في المنطقة. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى حد أن وضعت في استراتيجيتها في عملية السلام أن بمقدور هذه القوة العسكرية بأشكالها المختلفة أن تقرر نتائج المفاوضات السلمية. وهكذا تبدو العملية السلمية وكأنها شكل من أشكال التسليم لإسرائيل، ويتم التفاوض على الشروط المطلوبة لتحقيق هذا التسليم.

إلغاء المرجعية القانونية للصراع

أما المحور الثالث للإستراتيجية التي تنتهجها إسرائيل فيقوم على إلغاء المرجعية القانونية التي تخص الصراع العربي الإسرائيلي بشكل عام، وإلغاء المرجعية القانونية التي تخص مدينة القدس بشكل خاص، والمقصود بالمرجعية القانونية هنا هي القرارات الدولية الصادرة عن مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن هذا الصراع ومظاهره. ومن المعروف في هذا السياق أن إسرائيل تتبنى موقفاً معادياً من هذه القرارات، لأنها تجمع على إدانتها وإدانة تصرفاتها. لذا لا تعترف إسرائيل بها ومن ثم لا تعمل على تنفيذها بل تسعى إلى إلغائها، كما حدث مع قرار الأمم المتحدة الذي يقضي بالربط بين الصهيونية والعنصرية عام ١٩٨٩م.

ولكنها تعادي القرارات الدولية التي تتعارض مع ما تريد، وتقبل منها ما يتفق مع ما تريد. فقد قبلت عند الإعلان عن قيامها بقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١ والقاضي بتقسيم فلسطين، لأن الجزء اليهودي في هذا القرار شكل نواة الدولة اليهودية الوليدة، فقد أعطى اليهود ٥٦٪ من أرض فلسطين في حين أنهم كانوا يمثلون ٥,٦ من نسبة السكان قبل التقسيم. ولكن إسرائيل لم تعد تقبل بهذا القرار لأنه يسمح بإقامة دولة فلسطينية، مع أنها أعلنت في بيان إعلان قيام الدولة احترامها لحق الفلسطينيين في إقامة دولة مماثلة(٤).

ومن أهم القرارات الدولية الصادرة عن مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة بخصوص الصراع العربي الإسرائيلي قرارا مجلس الأمن: ٢٤٢ و٣٣٨، وقرارات مجلس الأمن الصادرة في عامي ١٩٨٠م و١٩٨١م التي لا تعترف بأية قيمة قانونية لضم إسرائيل للقدس وهضبة الجولان السورية المحتلة، وجميع قرارات مجلس الأمن التي تؤكد أن القدس جزء من الأراضي العربية، وأن هذه الأراضي أراض محتلة. كما لم تعد إسرائيل تعترف بقرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٧م، وهو القرار الشهير رقم ١٨١(٥).

وتحرص إسرائيل في مفاوضتها السلمية مع الدول العربية على تأكيد أن ما تسفر عنه المفاوضات ينفصل عن مرجعيته، وهي قرارات الأمم المتحدة وخاصة قرار التقسيم، بحيث تصبح الاتفاقيات اللاحقة أصلاً وليس فرعاً، وابتداء وليس انتهاء، ومنهجاً اتفاقياً يؤسس شرعية جديدة لايجوز الجمع بينها وبين الشرعية الدولية التي تقف وراءها الأمم المتحدة، بمعنى أن الاتفاقيات



رفضت إسرائيل تلبية طلبات جمع شمل الأسر التي قدمتها نساء فلسطينيات

الجديدة تجبّ قرارات الأمم المتحدة. وهذا المنطق والإصرار الإسرائيليان يعنيان طمس المرجعية القانونية لمدينة القدس بشكل خاص، والتي تبدأ بقرار التقسيم وتكتمل بقرارات مجلس الأمن التي تؤكد على المركز القانوني للمدينة.

ويمكن أن يؤدي نجاح إسرائيل في إلغاء هذه المرجعية القانونية المتمثلة في قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة، وخاصة قرار تقسيم فلسطين - وهو السند القانوني نفسه الذي قامت عليه إسرائيل - إلى إضعاف موقف المفاوض الفلسطيني في مسألة القدس بشكل خاص.

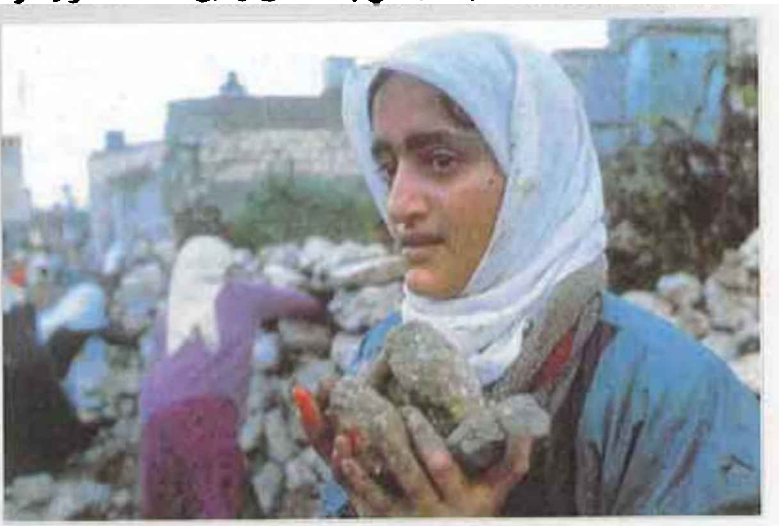
ويسعى المحور الرابع في الاستراتيجية الإسرائيلية إلى تحقيق الهدف السابق ألا وهو إضعاف موقف المفاوض الفلسطيني في مسألة القدس، وذلك من خلال إلغاء أو الحد مما يمكن أن نسميه المرجعية السكانية (الديموجرافية)، التي تعني بطبيعة الحال أن الفلسطينيين يمثلون أغلبية واليهود أقلية. فقد شكل الفلسطينيون - مسيحيين ومسلمين - أغلبية ساحقة في القدس، مما يؤكد أحقيتهم بها وأنهم أصحاب الأرض الأصليون دون غيرهم، وأن المستوطنين الإسرائيليين يشكلون أقلية حتى في الوقت الحالي، وإن كانت نسبتهم في المدينة تتزايد. وقد فطنت إسرائيل إلى خطورة هذه المرجعية مبكراً فأعدت لها العدة للعمل على إلغائها. برز هذا في المذكرة التي رفعها إسرائيل كوينج، المسؤول عن المنطقة الشمالية في وزارة الداخلية الإسرائيلية، كوثيقة سرية إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين (١٩٢٢-١٩٩٥م) وعدد من كبار المسؤولين الإسرائيليين. فقد أشار كوينج في مذكرته إلى زيادة نسبة الزيادة الطبيعية للسكان العرب في إسرائيل (٥,٩٪ سنوياً)، مقابل انخفاض نسبة الزيادة الطبيعية لليهود (١,٥)، مما يشكل خطراً على إسرائيل وأمنها، وتنبأت الوثيقة بسيطرة سياسية وسكانية (ديموجرافية) عربية في بعض الأراضي الفلسطينية التي تحتلها إسرائيل(٦).

ومن هذا المنطلق سعت إسرائيل - ومازالت - إلى تغيير هذه المرجعية الديموجرافية، وتسعى إلى إلغائها من خلال العمل على مسارين متوازيين يسير كل منهما بجوار الآخر وفي الوقت ذاته: المسار الأول هو استقدام مستوطنين إسرائيليين متشددين لتوطينهم في القدس، ويدخل هؤلاء المستوطنون سباقاً مع الزمن لاحتلال المزيد من أراضي المدينة وتهويدها والقضاء المبرم على هويتها العربية والإسلامية وشخصيتها الحضارية المتميزة. أما المسار الثاني فيتمثل في تضييق الخناق على أبناء الشعب الفلسطيني، أصحاب الأرض الأصليين، بحيث لايجدون أمامهم مفراً من مغادرتها وتركها لهم، وتحاول تحقيق هذا الهدف عن طريق سن مجموعة من القوانين والتشريعات تقوم على تنفيذها وزارة الداخلية الإسرائيلية.

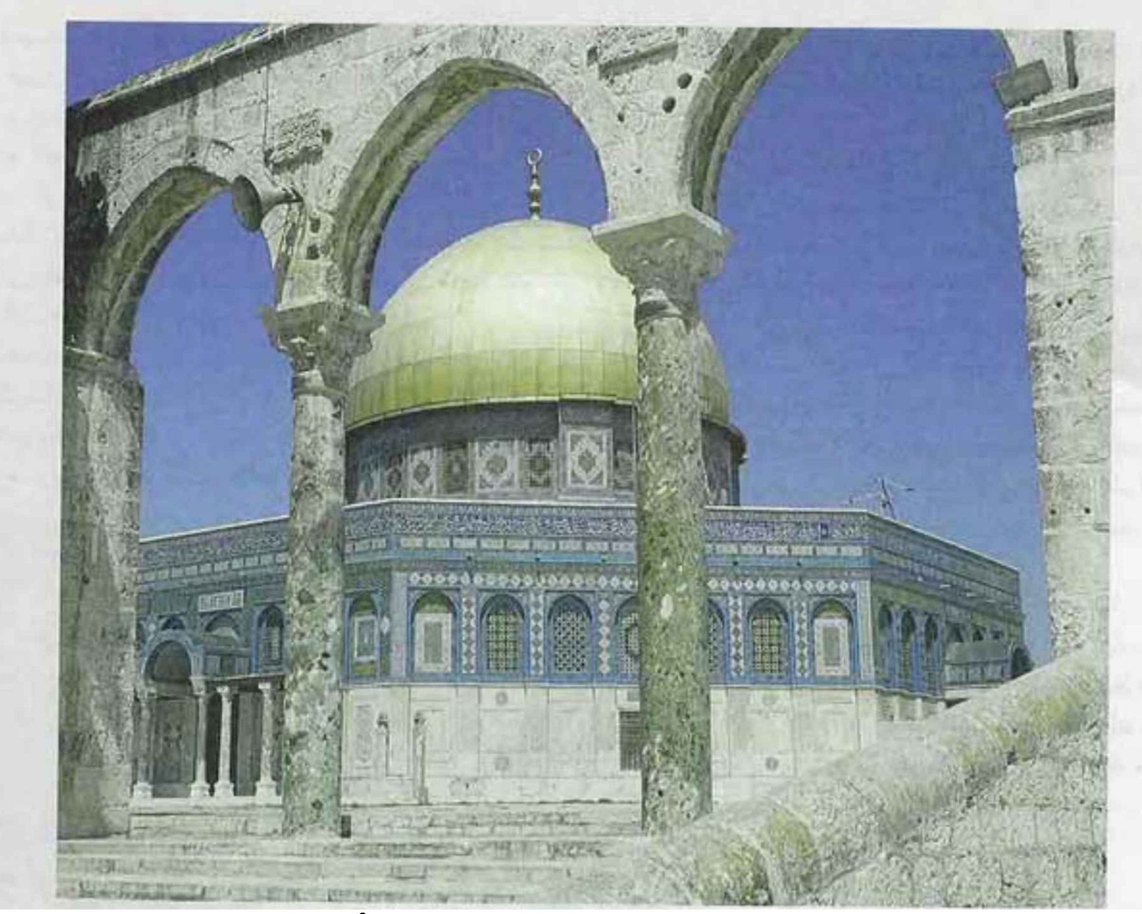
وقد تناولت دراسات كثيرة ومتنوعة المحاور الثلاثة الأولى للإستراتيجية الإسرائيلية: محور العبث بالتاريخ وتزييفه، ومحور القوة العسكرية، ومحور إلغاء المرجعية القانونية أو تغييرها على الأقل، ولكن تقل الدراسات التي تتناول المحور الرابع المتمثل في إلغاء المرجعية الديموجرافية أو على الأقل تغييرها.

سقوط القناع

ومن هنا يركز هذا المقال في تناول الكيفية التي تنفذ بها إسرائيل هذا المحور وشرحها، فكشف عن الوجه القبيح لإسرائيل التي تروج لنفسها - من خلال وسائل إعلامها في الداخل والخارج - أنها واحة الديمقراطية والمساواة وملاذ المضطهدين والمظلومين، بعدما سقط قناع الخداع والوهم وتزوير الحقائق. فيكشف هذا المقال النقاب بجلاء ووضوح عن السياسة العنصرية التي تطبقها إسرائيل ضد أبناء الشعب



الدفاع عن الهوية العربية الإسلامية للقدس بشتى السبل



المقدسات الإسلامية هدف دائم للتهديدات الإسرائيلية

الفلسطيني في القدس بشكل خاص، مستعيناً في ذلك بالإحصاءات والمعلومات الواردة في تقرير إحدى منظمات حقوق الإنسان الإسرائيلية وتدعى «بتسيليم»، الصادر عام ١٩٩٨م.

والحقيقة الواضحة للعيان هي أن إسرائيل تطبق سياسة مدروسة بعناية ترمي إلى طرد أبناء الشعب الفلسطيني من القدس، من خلال سن مجموعة من القوانين والتشريعات تبدو في ظاهرها قوانين تنظيمية، ولكنها في باطنها تهدف إلى تضييق الخناق عليهم، من خلال تشديد الإجراءات وتصعيب مظاهر الحياة على أبناء الشعب الفلسطيني، مما سيؤدي بهم في النهاية إلى ترك المكان ليتحقق للإسرائيليين مايريدون، وتحقق الخطة الإسرائيلية مراميها.

لكل ما سبق ألقي الضوء على السياسة التي تطبقها إسرائيل ضد أبناء الشعب الفلسطيني بالقدس من خلال تعامل وزارة الداخلية الإسرائيلية معهم، وما لها من دور حيوي في حياتهم اليومية والمعيشية، لدفعهم إلى ترك القدس ليتحقق للإسرائيليين السيادة المطلقة عليها، لتكون عاصمة لدولتهم، ولكن هيهات أن يتحقق لهم مايحلمون به لأسباب كثيرة أبسطها أن القدس مدينة عربية فلسطينية تضرب بجذورها في التاريخ العربي الفلسطيني.

ولايعلن المسؤولون الإسرائيليون صراحة أهداف هذه السياسة العنصرية العدوانية وتفاصيل تطبيقها، وإنما يكتفون بالإشارة إلى أنها مجرد إجراءات تنظيمية في المقام الأول وصادرة بموجب قوانين يطبقها عدد من الدول المتقدمة، ومن هذه القوانين قانون الدخول إلى إسرائيل، وقانون الإقامة، وقانون المواطنة، وغير ذلك. وهذا في الواقع حق أريد به باطل، فمن بين بعض التصريحات التي يدلي بها بعض المسؤولين الإسرائيليين يمكن أن نستشف الملامح العامة والخطوط العريضة لهذه السياسة وأهدافها والأسباب التي دفعت إلى وضعها.

فالهدف المعلن لهذه السياسة هو الحفاظ على ماتسميه إسرائيل «التوازن السكاني (الديموجرافي) في القدس»، والذي يعني بطبيعة الحال - وفق رؤيتهم -الحفاظ على وجود أغلبية يهودية ثابتة في القدس. ومن ذلك ما أوردته اللجنة الوزارية الإسرائيلية العليا المسؤولة عن دراسة معدلات التنمية في القدس بأنه «يجب الحفاظ على التوازن النسبي بين اليهود والعرب كما كان في نهاية عام ١٩٧٢م، أي ٧٣,٥٪ يهود و٢٦,٥٪ فلسطينيين».

أضف إلى هذا ماانشر في الصحف الإسرائيلية أن الحكومة الإسرائيلية برئاسة رئيس وزرائها السابق بنيامين نتنياهو تدرس الاقتراح المهم الذي تقدم به إيهود أولمرت رئيس بلدية القدس والقاضي بمنح القدس أولوية قومية استثنائية، بوصفها جزءاً من الصراع الديموجرافي مع الفلسطينيين بهدف زيادة نسبة السكان اليهود في المدينة(٧).

كما صرح وزير الداخلية في حكومة نتنياهو السابقة إلياهو سويسا أن مصادرة الهويات من الفلسطينيين أبناء القدس الشرقية تمثل جزءاً من سياسة عامة تطبقها إسرائيل في القدس الشرقية. وأضاف الوزير قائلا: «يجب العمل على زيادة الأغلبية اليهودية في القدس إلى أكثر من ٨٠٪... لأن تدفق الفلسطينيين من الضفة الغربية إلى القدس يمثل جزءاً من الحرب التي يشنها علينا الفلسطينيون ضد إسرائيل حول مستقبل المدينة، ومصادرة الهويات المقدسية من فلسطينيي القدس الشرقية تمثل ردنا على العمل الذي يمارسه الفلسطينيون ضدنا»(٨).

وتؤكد تصريحات بعض المسؤولين الإسرائيليين على أن «هذه السياسة الإسرائيلية تأتي رداً على ما لوحظ في السنوات الأخيرة من تدفق كبير على القدس من جانب أشخاص فلسطينيين تركوها من عدة سنوات».



محاولات التهويد تأخذ أشكالاً مختلفة



ملامح من سياسة إسرائيل تجاه الفلسطينيين

تنفذ الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة منذ احتلال القدس عام ١٩٦٧م سياسة هدفها تدعيم سيادة إسرائيل على القدس من خلال خلق أغلبية حاسمة لليهود في المدينة. كان الهدف المعلن لإسرائيل هو الحفاظ على ماتسميه بـ«التوازن السكاني» في القدس، والذي يعني بطبيعة الحال الحفاظ على أغلبية يهودية دائمة في القدس.

ولكي يتحقق هذا الهدف تعمل إسرائيل على مدار سنوات طوال على زيادة أعداد اليهود في القدس الشرقية من ناحية، ودفع الفلسطينيين من سكان القدس الشرقية إلى مغادرة المدينة من ناحية أخرى. ومن الوسائل التي تتبعها إسرائيل لتحقيق ذلك:

- التمييز المنظم والموجه ضد السكان الفلسطينيين في القدس الشرقية فيما يتعلق بمصادرة أراضيهم بزعم التخطيط والبناء على أسس قانونية منظمة، وفي المقابل نجد

عمليات بناء واسعة النطاق واستثمارات ضخمة بهدف إنشاء أحياء سكنية لليهود في القدس الشرقية، لعل آخرها مستوطنتا رأس العامود وجبل أبو غنيم. ويترتب على هذه السياسة وجود نقص حاد يصل إلى آلاف الشقق بين السكان الفلسطينيين، ونتيجة لعدم وجود بديل آخر يضطر المواطنون الفلسطينيون إلى مغادرة المدينة والبحث عن حلول أخرى للسكن خارج حدود مدينة القدس.



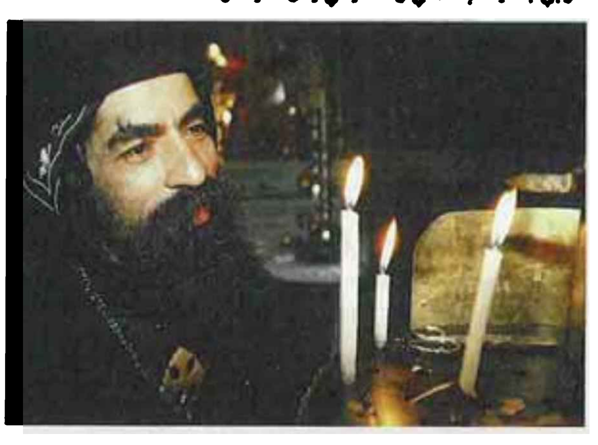
الوجود العربي بشقيه الإسلامي والمسيحي يظل حقيقة واقعة

- تخصيص الحد الأدنى من الاستثمارات في مجال البنى التحتية والخدمات. فقد صرح رئيس البلدية إيهود أولمرت في هذا الشأن بقوله: «المشكلة الأساسية التي تعاني منها القدس هي الهوة السحيقة بين البنى التحتية في شرق القدس من ناحية وغربها من ناحية أخرى. فحالة البنى التحتية في معظم أحياء القدس الشرقية سيئة، وقد بذلت حكومات إسرائيل في الثلاثين عاماً الأخيرة جهوداً محدودة وغير كافية في هذا المجال»(٩).

- رفض تلبية طلبات جمع شمل الأسر التي قدمتها نساء فلسطينيات يسكن في القدس من أجل أزواجهن الذين لم يقيموا معهن في القدس منذ عام ١٩٩٤م. ويترتب على هذا أنه لكي تقيم هذه النسوة مع أزواجهن يضطر عدد كبير منهن إلى مغادرة المدينة.

ومازالت رغبة إسرائيل في فرض سيطرتها الواسعة على القدس وتثبيت سيادتها على كل أجزاء المدينة قائمة ومتأججة أكثر مما كانت عليه في ظل فترات التفاوض من المرحلة النهائية من المفاوضات، التي سيناقش خلالها موضوع القدس. فعلى سبيل المثال لا الحصر بعد نشر التقرير السنوي لمعهد القدس (ماخون يروشالايم)(١٠) لعام ١٩٩٧م، صرح رئيس بلدية المدينة إيهود أولمرت بأن «هذا التقرير يحوي أشياء لا أحبها، مثل الزيادة الطبيعية لدى السكان غير اليهود في المدينة»(١١).

وقد نشر في الصحف الإسرائيلية في شهر يناير/كانون الثاني من عام ١٩٩٨م أن «رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو ورئيس بلدية القدس إيهود أولمرت ووزير المالية



يعقوب نئمان سيعقدون يوم الجمعة حلقة نقاش لدراسة الاقتراح الثوري الذي تقدم به أولمرت، ويقضي بمنح القدس أولوية قومية استثنائية، بوصفها جزءاً من الصراع الديموجرافي مع الفلسطينيين في محاولة لمنع الحد من عدد السكان اليهود في المدينة»(١٢).

وقد أوصت اللجنة الوزارية الإسرائيلية لشؤون القدس(١٣) في شهر مايو/أيار من عام ١٩٩٨م بتوسيع حدود القدس في اتجاه الغرب، وكان المسوغ الأساسي لهذه الخطوة «هو المسوغ الديموجرافي والرغبة في الحفاظ على التوازن الديموجرافي القائم الآن في القدس بين اليهود والعرب»(١٤).

ولكي يتحقق لإسرائيل ما تريد من طرد للسكان الفلسطينيين من القدس وبلوغ ماتسميه «التوازن

الديموجرافي» لجأت إلى تطبيق مجموعة من الإجراءات التعسفية ضد الفلسطينيين من خلال وزارة الداخلية.

إجراءات وزارة الداخلية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين

تعمل وزارة الداخلية في القدس الشرقية منذ شهر ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٩٥م على تطبيق السياسة العامة لإسرائيل، التي تستهدف الحد من أعداد الفلسطينيين الذين يقيمون في المدينة. وتتخذ الوزارة عدة خطوات في إطار تنفيذ هذه السياسة، ومن هذه الخطوات:



الخطوات الإسرائيلية تتعاقب جيلاً بعد جيل لتهويد القدس

- سلب حق المواطنة من سكان القدس الذين أقاموا عدة سنوات خارج حدود المدينة، ونتج من هذا أن طلبت وزارة الداخلية من آلاف الفلسطينيين المقيمين في القدس الشرقية مغادرة منازلهم.

- يتم إلغاء حق المواطنة دون أن تتاح للفلسطيني الذي سلب منه هذا الحق الطعن في القرار. وحتى إذا منح هذا الحق فهو حق شكلي فقط.

- تطلب الوزارة بشكل متكرر من الفلسطينيين المقيمين في القدس الشرقية أن يقدموا أمام موظفيها مايثبت أنهم مازالوا يقيمون في المدينة. ولكن الحصول على الإثبات المطلوب مسألة صعبة جداً، فالأشخاص الذين أقاموا في القدس الشرقية طوال حياتهم يصعب عليهم إثبات ذلك. فالمستندات تُطلب من المواطن حتى إذا كان قد قدمها منذ فترة وجيزة إلى الوزارة ولكن ضمن طلب آخر.

- رفض تسجيل الطفل الذي ولد لأبوين أحدهما من الفلسطينيين المقيمين في القدس الشرقية في سجل المواليد، وكذلك رفض إصدار رقم قومي له، حتى لو كانت وزارة الداخلية قد اعترفت من قبل أن هذه الأسرة تقيم في القدس.

- الامتناع التام عن قبول الطلبات الخاصة بجمع شمل الأسر. ويترتب على ذلك أن السكان الفلسطينيين في المدينة غير قادرين على الزيادة سوى في مجال الزيادة الطبيعية. والطريقة الوحيدة الآن التي يمكن من خلالها قبول طلب جمع شمل الأسر هي إقامة دعاوى قضائية أمام محكمة العدل العليا الإسرائيلية(١٥).

ولكن المعوقات القانونية والبيروقراطية التي يواجهها الفلسطينيون المقيمون في القدس عند توجههم بأي طلب إلى وزارة الداخلية، إلى جانب المطالب والمستندات الصعبة التي تُطلب منهم، تخلق وضعاً يصبح فيه تقديم أي طلب دون عون من منظمة ما أو محام أمراً غير مجد إلى حد كبير.

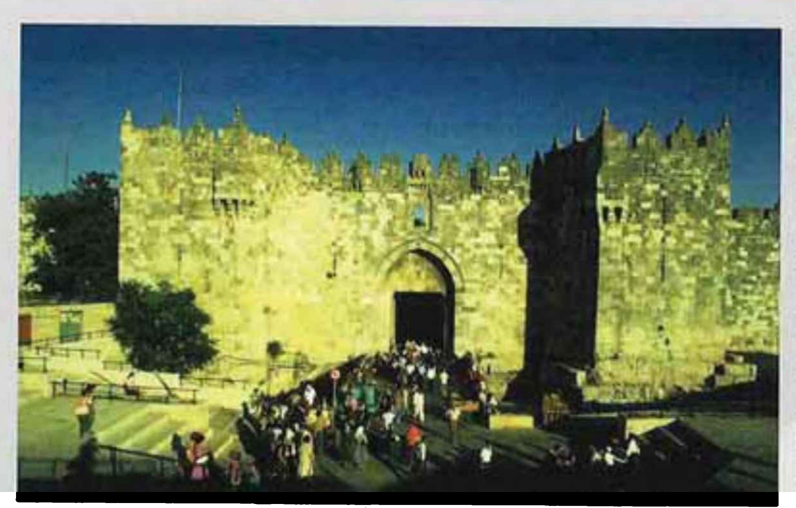
ومن أبرز الإجراءات التعسفية التي تطبقها وزارة الداخلية الإسرائيلية ضد السكان الفلسطينيين في القدس لدفعهم إلى تركها الإجراءات التالية:

- أولاً: إلغاء حق المواطنة:

تنفذ وزارة الداخلية منذ شهر ديسمبر/كانون الأول من عام ١٩٩٥م سياسة جديدة تقضي بأن أي فلسطيني من سكان القدس الشرقية لاينجح في أن يثبت أمام وزارة الداخلية أنه يقيم في القدس في الوقت الحالي، وكان يسكن بها في السابق بشكل متواصل، يمكن أن يفقد وللأبد حقه في أن يعيش في المدينة التي ولد فيها. فيصبح مضطراً تبعاً لذلك إلى ترك بيته، كما لا يعود في مقدوره الإقامة في القدس التي تخضع للسيطرة الإسرائيلية دون موافقات وتأشيرات خاصة، كما لاتتاح له إمكانية العمل في الأراضي الفلسطينية التي تخضع للمحتل الإسرائيلي، بما في ذلك القدس، وتسلب منه كل حقوقه الاجتماعية التي يضمنها له سداده للضرائب المستحقة عليه، مثل الانتفاع بخدمات التأمين الصحي وغير ذلك.

ومنذ احتلال القدس عام ١٩٦٧م حتى تطبيق السياسة الجديدة، استطاع الفلسطينيون (أبناء القدس الشرقية) الخروج والإقامة في دول أخرى، لفترات

متواصلة، بشرط أن يعودوا إلى القدس كل عدة سنوات لتجديد تصاريح الخروج التي صدرت لهم قبل تركهم للمدينة. وقد اعتادت وزارة الداخلية الإسرائيلية تجديد تصاريح خروجهم وبطاقات الهوية الخاصة بهم بشكل آلي وتسجيل التغييرات في حالتهم العائلية في بطاقات الهوية الخاصة بهم. وكانت سياسة هذه الوزارة تتمحور في أنه في حالة البقاء المستمر في بلد آخر مدة تزيد على سبع سنوات، دون أن تجدد تصاريح الخروج يمكن أن يؤدي هذا الأمر إلى إلغاء حق المواطنة.



إحدى بوابات القدس

ولايحتاج الفلسطينيون سكان القدس الشرقية الذين انتقلوا إلى الإقامة إلى الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة إلى تصاريح للخروج من القدس والدخول إليها.

وفي شهر ديسمبر/ كانون الأول من عام ١٩٩٥م غيرت حكومة إسرائيل هذه السياسة فألغت وزارة الداخلية حق المواطنة للسكان الفلسطينيين في القدس الشرقية الذين أقاموا عدة سنوات خارج حدود المدينة، بزعم أن «مركز حياتهم» انتقل إلى خارج القدس، وتبعاً لذلك تم إلغاء تصريح إقامتهم الدائمة.

ولم تحذر وزارة الداخلية الإسرائيلية الفلسطينيين سكان القدس الشرقية أبداً من أن إقامتهم خارج القدس تشكل خطورة على وضعهم في المدينة، وتهدد حقهم في العودة إليها. ولكن تفاصيل هذه السياسة غير معروفة حتى الآن، ولاتسعى وزارة الداخلية إلى تعريف الذين يغادرون القدس إلى خارج إسرائيل ما هي القواعد التي يجب عليهم اتباعها لضمان الحفاظ على وضعهم وصفتهم في القدس.

ويمكن القول إجمالاً: إن إلغاء حق المواطنة للفلسطينيين من أبناء القدس يأتي نتيجة لتغيير في سياسات الحكومات الإسرائيلية، في ضوء تطور مباحثات سلام الوضع النهائي مع الفلسطينيين.

فقد بات واضحاً الآن أن سكان المدينة الذين ينتقلون إلى الإقامة في المناطق الفلسطينية سيتم التعامل معهم كما لو أنهم انتقلوا إلى الإقامة في دولة أخرى، خارج إسرائيل، ويمكن أن يلغى حقهم في المواطنة، خلافاً لما كان يحدث في الماضي، إذ لم يكن لذلك أي تداعيات على هذا الحق. وقد كان عد السنوات السبع يبدأ من جديد بعد كل زيارة للقدس وتجديد تصريح الخروج، ولكن في ظل السياسات الجديدة فإن تجديد التصريح لايقطع العد، ولايحافظ على حق المواطنة.

وتتأكد بجلاء الحقيقة الخاصة بتطبيق سياسة جديدة من خلال الإحصاءات التي تتعلق بعدد الفلسطينيين أبناء القدس الشرقية الذين ألغي لهم حق المواطنة من خلال الجدول الآتي:

السنة	عدد السكان الذين ألغي لهم حق المواطنة
١٩٨٧م	٢٣
١٩٨٨م	٢
١٩٨٩م	٣٢
١٩٩٠م	٣٦
١٩٩١م	٢٠
١٩٩٢م	٤١
١٩٩٣م	٣٢
١٩٩٤م	٤٥
١٩٩٥م	٩٦
١٩٩٦م	٦٨٩
١٩٩٧م	٦٠٦ بالإضافة إلى خمسملة ملف تحت الدراسة
١٩٩٨م	٣٤٦ حتى أغسطس /آب فقط.

- ثانيًا: حق الطعن:

أعلنت وزارة الداخلية الإسرائيلية في شهر يونيو/ حزيران من عام ١٩٩٧م أنه يحق لأي مواطن أن يطعن في قرار إلغاء حقه في المواطنة، وأن يقدم لوزارة الداخلية بيانات تناقض النتيجة التي توصلت إليها. وتزعم الوزارة بشكل دائم ومتواصل أن حق الطعن مكفول للفلسطينيين أبناء القدس الشرقية الذين ألغي حقهم في المواطنة.

والحقيقة هي أن هذا القول يفتقد إلى الأساس الموضوعي. فحتى منتصف عام ١٩٩٧م اعتاد موظفو وزارة الداخلية إرسال خطابات إلى الفلسطينيين أبناء القدس الشرقية الذين سلب منهم حق المواطنة يبلغونهم فيها بأنه ينبغي عليهم مغادرة البلاد خلال خمسة عشر يوماً مع أفراد عائلتهم. وقد رفضت وزارة الداخلية صراحة أن توفر لهؤلاء الفلسطينيين أية إمكانية لنقض القرار، زاعمة أن «حق المواطنة» قد ألغي من تلقاء نفسه»، من هنا ليس للموظف الذي أبلغهم بذلك أي دور للتدخل في الأمر.

وإذا كانت وزارة الداخلية الإسرائيلية تسمح بحق الطعن للمواطنين الفلسطينيين فإن الطريقة التي تعالج بها الطعون تشير إلى أنها مجرد مسألة شكلية فقط، وذلك للأسباب الآتية:

– لم تتح في حالات كثيرة للمواطن الفلسطيني إمكانية أن ينقض القرار، ويحدث في كثير من الأحيان أن يأخذ موظف وزارة الداخلية منه هويته في أثناء تسليمه الإعلام بإلغاء حقه في المواطنة. كما أن الموظف لايبلغ المواطن الفلسطيني مشافهة بأن أمامه إمكانية الطعن في القرار.

– تمنع وزارة الداخلية المواطنين الفلسطينيين من قراءة الأسانيد التي يقوم عليها القرار، من هنا لايصبح في مقدورهم الرد بشكل جيد على الأسانيد والقرائن التي تشكل الأساس القانوني لإلغاء حقهم في المواطنة.

– يناقش الطعن من جانب الشخص نفسه الذي أصدر القرار الأول بإلغاء حق المواطنة، وليس من جانب هيئة قضائية أخرى.

– لا تتاح للمواطنين الفلسطينيين خلال مراحل النظر في الطعن إمكانية أن يعرضوا حججهم مشافهة أمام أية جهة.

– لا ترد وزارة الداخلية على خطابات طعون كثيرة. وفي معظم الحالات التي ترد فيها وزارة الداخلية على الطعون يرفض الخطاب من دون تقديم أسانيد ومسوغات ودون التعرض للحجج الواردة في الخطاب.

– ثالثاً: إثبات «مركز الحياة»:

تقضي المادة الحادية عشرة (جـ) من قانون الدخول إلى إسرائيل بأن «صلاحية تصريح الإقامة الدائمة يلغى... إذا ترك صاحب التصريح إسرائيل وأقام خارجها». وجاء في المادة الحادية عشرة (أ) أن المرء يبدو في نظر القانون أنه «أقام في دولة خارج إسرائيل» إذا مكث خارج إسرائيل فترة تصل إلى سبع سنوات على الأقل أو إذا حصل على تصريح بالإقامة الدائمة أو الجنسية في دولة أخرى».

تطلب وزارة الداخلية من الفلسطينيين المقيمين في القدس الشرقية المتقدمين إليها لتقديم أي طلب من أي نوع أن يثبتوا أن «مركز الحياة» لم يتغير، وأنهم مازالوا يقطنون في المدينة. وتحقيق الأدلة التي تطلبها وزارة الداخلية مسألة صعبة جداً، فحتى الأشخاص الذين يقيمون طوال حياتهم في القدس سيصعب عليهم الحصول عليها. ومن ضمن ماتطلبه وزارة الداخلية موافقات جهة العمل، وإيصالات سداد الضريبة العقارية، وإيصالات سداد استهلاك الكهرباء والمياه والهاتف منذ يوم الزواج، وعقد إيجار السكن وغير ذلك. وفي الحالة التي يسكن فيها الشخص في منزل والديه، وليس لديه عقد إيجار، يصبح المطلوب منه أن يقدم شهادة خطية موقعة من محام تفيد أنه يقيم هناك.

وتتكرر المطالب بتقديم مستندات في كل مرة يرغب فيها الشخص تقديم أي طلب لوزارة الداخلية، وحتى إذا كانت كل الأدلة والمستندات قد قدمت إلى الوزارة ولكن في سياق موضوع آخر، فمثلا عند التقدم بطلب لجمع شمل الأسرة يصبح مطلوباً من الأسرة أن تقدم هذه المستندات، ويطلب من



إصرار على عروبة القدس

الأسرة تقديم هذه المستندات مرة ثانية عند تسجيل الطفل في بطاقة الهوية، ومرة ثالثة عند استخراج بطاقة هوية لشاب بلغ من العمر ستة عشر عاماً، ونفس المستندات تطلب من أجل الحصول على بطاقة هوية جديدة بدلاً من بطاقة الهوية التي فقدت، ومن أجل تسجيل تغيير محل الإقامة وغير ذلك.

- رابعاً: عدم إصدار رقم قومي للأطفال الفلسطينيين في القدس:

تعد بطاقة الهوية مسألة مهمة وحيوية في كل شيء يتم في الحياة اليومية في المناطق الفلسطينية التي تخضع لإسرائيل، بما في ذلك القدس- مثل الحصول على رخصة قيادة، وفتح حساب جار في البنك، واختبارات الثانوية العامة، وغير ذلك. وتزداد أهمية بطاقة الهوية بالنسبة إلى الفلسطينيين أبناء القدس الشرقية أضعافاً مضاعفة؛ لأنه من دون بطاقة هوية يمكن لهؤلاء الفلسطينيين أن يدخلوا في مواجهات ومشاحنات مع الجنود الإسرائيليين، وشرطة حرس الحدود الإسرائيلية، وغيرهم. ولكي تحصل على بطاقة هوية يجب أن تحصل أولاً على رقم قومي من وزارة الداخلية، وتعد هذه الخطوة بالنسبة إلى قطاع من السكان الفلسطينيين الذين يقيمون في القدس الشرقية خطوة طويلة ومعقدة.

يحصل الطفل الذي يولد لأبوين مواطنين في إسرائيل على رقم قومي وهو في المستشفى. وبعد ذلك يتقدم والداه إلى وزارة الداخلية لتصدر له شهادة ميلاد تحمل رقمه القومي، ويسجل الطفل في بطاقة هوية والديه.

أما بالنسبة إلى الطفل الذي أحد والديه فلسطيني يقيم في القدس الشرقية ويتمتع بالجنسية الإسرائيلية فهناك إجراء مختلف. فبعد الإنجاب يحصل والداه على استمارة تسمى «بلاغ عن إنجاب مولود»، دون تحديد للرقم القومي. وحينما يتقدمون إلى وزارة الداخلية للحصول على شهادة الميلاد، تسلم لهم هذه الشهادة من دون تحديد للرقم القومي. ومن أجل الحصول على الرقم القومي يجب على الوالدين أن يتقدما بـ«طلب لتسجيل طفل» وأن يرفق بالطلب أدلة على أن مركز حياة الأسرة هو القدس.

و لايعرف دائماً الوالدان اللذان يتقدمان إلى وزارة الداخلية للحصول على شهادة ميلاد وتسجيل الطفل في بطاقة الهوية الخاصة بهما أنه ليس للطفل رقم قومي. ولايلفت موظفو وزارة الداخلية انتباه الوالدين إلى أنه يجب عليهما البدء في إجراءات تسجيل الطفل، وإنما يصدرون للطفل شهادة ميلاد من دون الرقم القومي. وفي الحالات التي يدرك فيها الوالدان فقط بأنه ليس للطفل رقم قومي يتقدمان بطلب لتسجيله.

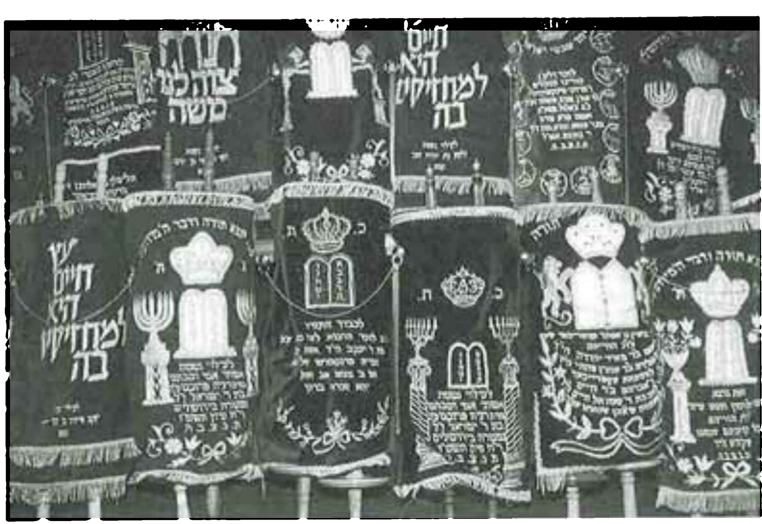
والأكثر من ذلك أنه طبقاً للمادة ٣٠ (أ) من قانون تسجيل السكان في إسرائيل، فإن «من يولد في



هدم المنازل ومحاولات التهجير من أشكال تهويد القدس



تحاول إسرائيل الخروج من حدود الحارة إلى السيطرة على المدينة كلها



هدايا تذكارية إسرائيلية

إسرائيل ومسجل في دفاتر تسجيل السكان يحق له الحصول على بطاقة هوية». من هنا يصدر موظفو وزارة الداخلية شهادة ميلاد للأطفال، وهم بذلك يقدمون مستنداً مضللاً للوالدين يتم بموجبه تسجيل الطفل في دفتر المواليد. وقد أخفقت محاولات تسجيل الأطفال الفلسطينيين من القدس الشرقية بموجب هذه المادة القانونية، خاصة بعد طلب وزارة الداخلية أن تقدم لها الأسر الفلسطينية أدلة على إقامتها في القدس.

والحقيقة هي أن إعطاء شهادة ميلاد من دون رقم قومي للوالدين اللذين يتقدمان لتسجيل طفلهما خطوة مألوفة لدى الأسر التي أحد الوالدين فيها من الفلسطينيين أبناء القدس الشرقية. فوزارة الداخلية لاتصدر رقماً قومياً لطفل، حتى لو كان واضحاً أنها قد اعترفت بأن مركز حياة الأسرة هو القدس.

– خامساً: عدم تغيير تسجيل الحالة الاجتماعية في بطاقة الهوية:

واجه المتقدمون من الفلسطينيين أبناء القدس الشرقية – في الآونة الأخيرة – إلى وزارة الداخلية والراغبين في تسجيل التغير في حالتهم الاجتماعية في سجلات وزارة الداخلية من أعزب إلى متزوج مشكلات جمة. فبدلا من تغيير الحالة الاجتماعية إلى «متزوج» يكتب موظف التسجيل «غير معروف» أو «في مرحلة الفحص»، ويرفض تغيير المكتوب. كما يرفض الموظف أيضاً أن يسجل اسم الزوج أو الزوجة في بطاقة الهوية؛ لأن هذا يعني في نهاية المطاف أن الزوجة التي لا يكتب في خانة الحالة الاجتماعية «غير متزوجة» لن تستطيع استقدام زوجها ليعيش معها في القدس، والأمر نفسه ينطبق على كتابة اسم الزوجة في بطاقة الزوج.

ويمثل رفض وزارة الداخلية تغيير التسجيل في خانة الحالة الاجتماعية في بطاقة الهوية إزعاجاً وقلقاً وإجراء آخر من إجراءات التصعيب والتشديد على حياة الفلسطينيين من أبناء القدس الشرقية على المستوى اليومي المعيش من ناحية، وعلى المستوى الاجتماعي القومي من ناحية أخرى.

– سادساً: رفض طلبات جمع شمل الأسرة في القدس:

يجب على الفلسطينيين أبناء القدس الشرقية والمتزوجين من أشخاص من غير أبناء القدس الشرقية أن يقدموا طلباً من أجل أزواجهم حتى يصبح في مقدورهم الإقامة معاً في المدينة. وينظر إلى الموافقة على هذا الطلب من وزارة الداخلية على أنه نوع من الهبة أو المنحة، من هنا تتم الموافقة على الطلب في حالات قليلة جداً تتعامل معها السلطات الإسرائيلية على أنها «حالات استثنائية واعتبارات خاصة» وتلحق هذه السياسة ضرراً بالغاً بحياة الأسرة، كما تلحق ضرراً بالغاً بحق الزوجين في أن يسكنا معاً، وبحق أولادهما للعيش مع والديهم.

ويمكن القول بشكل عام: إن طلبات جمع شمل الأسر التي يتقدم بها الفلسطينيون أبناء القدس الشرقية لا تتم دراستها، وقد تراكم في وزارة الداخلية حتى نهاية عام ١٩٩٧م مايقرب من ٧٤٧٠ طلباً من هذا النوع. ويمكن رد تراكم هذا العدد الكبير من الطلبات إلى تغيير السياسة التي تطبقها وزارة الداخلية، والذي بدأ في عام ١٩٩٤م. فحتى ذلك الحين رُفضت تماماً الطلبات التي قدمتها سيدات فلسطينيات من سكان القدس الشرقية من أجل استقدام أزواجهن الذين لا يقيمون في الأصل في القدس الشرقية، وتنظر وزارة الداخلية فقط في الطلبات التي يقدمها رجال فلسطينيون من القدس الشرقية لاستقدام زوجاتهم. وفي شهر مارس/آذار من عام ١٩٩٤م، في أعقاب إقامة دعوى

قضائية في محكمة العدل العليا، غيرت وزارة الداخلية سياسة التفرقة بين الفلسطينيين والفلسطينيات الذين يقدمون طلبات جمع شمل الأسر، وأشارت إلى أنها ستنظر في طلبات جمع شمل الأسر التي ستقدمها لها سيدات فلسطينيات من القدس الشرقية من أجل استقدام أزواجهن. ونتج من ذلك أن قُدِّمت آلاف الطلبات لجمع شمل الأسر ممن لم يستطعن في السابق تقديم طلبات من هذا النوع، ولكن وزارة الداخلية لم تنظر في هذه الطلبات حتى الآن.

فالفلسطينيون من أبناء الضفة الغربية وقطاع غزة، حتى شهر مارس /آذار من عام ١٩٩٣م وقت أن كان الحصار مفروضاً فيهما، كان بمقدورهم الوصول إلى القدس والإقامة فيها، ولكن الوضع في الوقت الحالي اختلف تماماً؛ إذ عليهم عدم الإقامة في القدس إلى أن يبت في الطلب المقدم بهذا الخصوص. بينما الطرف الثاني، الزوج أو الزوجة، الذي يكون من رعايا دولة أجنبية فيمكنه في معظم الحالات أن يقيم في القدس، حتى قبل الحصول على الموافقة على طلب جمع شمل الأسرة.

المراجع والهوامش

(١) للمزيد عن مظاهر التهويد المادية والثقافية والقانونية والإدارية للقدس انظر:
- د. أحمد سعيد نوفل. القدس بين التهويد والأمم المتحدة ومشاريع السلام، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، السنة السابعة، العدد الرابع والسبعون، إبريل/نيسان ١٩٨٥م، ص ٢٥-٤٥.

وانظر أيضاً:
- ماجد نعمة (المحرر الرئيسي)، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٥م، الجزء الرابع، مادة «تهويد القدس» Judaization of Jerusalem ص٧٦٢.

(٢) للمزيد عن التاريخ الإسلامي للقدس انظر:
- عبد الحميد الكاتب. القدس: الفتح الإسلامي والغزو الصليبي والهجمة الصهيونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٧-١٤١.

(٣) د. سامي سعيد الأحمد. فلسطين حتى التحرير العربي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، هيئة كتابة التاريخ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، بغداد، ١٩٨٨م، ص١٥.

وللمزيد عن عروبة القدس وأصلها الكنعاني انظر أيضاً:
- د. محمد خليفة حسن أحمد، ود. عبد الخالق عبد الله جبة، وتوفيق الشريف، القدس والاستيطان: مؤامرة التهويد والمواجهة، المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، القاهرة ١٩٩٩م، ص٥ ومابعدها.

(٤) وللمزيد عن قرار التقسيم وتداعياته انظر:
- د. سيد فرج راشد. القدس عربية وإسلامية، (بلا دار نشر)، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٢١٣-٢١٤.

(٥) وعن نص هذا القرار كما أصدرته الأمم المتحدة وتفاصيله انظر:
- ماجد نعمة (المحرر الرئيس)، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤م، الجزء السابع، ص٥٦٢-٥٨٠.

(٦) عبد المنعم سعيد، وثيقة كوينغ وعرب الأرض المحتلة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، سلسلة الدراسات الخاصة رقم ٧، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٥٨.

(٧) معاريف، ٢٢ أكتوبر / تشرين الأول ١٩٩٨.

(٨) هاأريتس، ١٧أبريل/نيسان ١٩٩٧.

(٩) هاأريتس، ٩أبريل/ نيسان ١٩٩٨.

(١٠) معهد القدس (ماخون يروشالايم لحيكير يسرائيل) : أسس هذا المعهد صندوق (كيرين) تشارلز رفسون، وهو جهة بحثية تزعم أنها علمية مستقلة لا تسعى إلى تحقيق الربحية. وتتركز مجالات أبحاث هذا المعهد في مجالات السياسة ومناقشة القضايا العامة في: التطوير القومي في البلديات والأقاليم، والسياسة الاجتماعية، والخدمات الاجتماعية والترفيهية، والاستراتيجية الصناعية لدولة إسرائيل، والقدس المعاصرة.

تتركز أهداف المركز في تطوير عمليات تخطيط السياسات في إسرائيل من خلال إجراء أبحاث ومناقشات وتحليلات موضوعية وعلمية للتوجهات والتحولات التي يشهدها المجتمع الإسرائيلي، مع عرض بيانات وإحصاءات دقيقة، وعرض الأبدال المتاحة أمام واضعي السياسات على المستويات كافة. ويشجع المعهد على مشاركة المسؤولين التنفيذيين في الجهاز الحكومي والبلدي في أثناء إجراء الأبحاث. ويؤكد الطابع الجاد لهذه الأبحاث. معاريف ٢٧مايو / أيار ١٩٩٧.

(١١) معاريف ٢٧مايو / أيار ١٩٩٧.

(١٢) معاريف ٢٢يناير / كانون الثاني ١٩٩٨.

(١٣) اللجنة الوزارية لشؤون القدس (فعادات ساريم لعنيان يروشلايم): لجنة دائمة في الحكومة، من صلاحياتها التنسيق بين الجهات المعنية بشأن القدس وتحديد اختصاصاتها، من أجل الحفاظ على الأماكن المقدسة في المدينة بشكل عام، والحفاظ على الآثار اليهودية بشكل خاص. وقد تشكلت هذه الوزارة في ضوء الوضع السياسي والديني الخاص الذي توليه السلطات الإسرائيلية للمدينة، إلى جانب خصوصية الأماكن المقدسة للديانات السماوية الثلاث. وتعمل اللجنة على استمرار البناء، وتطوير القدس، وزيادة معدلات السكان اليهود فيها، والحفاظ على طابعها الخاص وآثارها التاريخية وتجميلها. وتركز هذه اللجنة في تطوير - ماتعده إسرائيل - المنطقة اليهودية في البلدة القديمة، والحفاظ على الأماكن اليهودية المقدسة.

للمزيد انظر:
- يعقوف شاتس وش. لربنلي. قاموس دافير: الجنسية، والمجتمع، والدولة «لكسيكون دافير: إزراحوت، حيرا، أومدينا»، دار نشر دافير، تل أبيب، الجزء الأول، ص٢٤٦.

(١٤) هاأريتس ٢٠مايو / أيار ١٩٩٨.

(١٥) محكمة العدل العليا (بيت مشبات جافوه لتسيديك): تعرف اختصاراً بـ«باجاتس». تختص هذه المحكمة بالنظر في النزاعات التي تنشأ بين الفرد والسلطات. تأسست هذه المحكمة داخل التجمع اليهودي الصهيوني في فلسطين عام ١٩٢٢م. وتتمتع هذه المحكمة بصلاحيات واسعة، فهي مخولة لإصدار أحكام ملزمة لمؤسسات الدولة والمجالس المحلية والمسؤولين فيها، والهيئات الحكومية والأشخاص الذين يتولون فيها مناصب حكومية. وتأتي أحكامها بضرورة تنفيذ إجراء معين أو الامتناع عن تنفيذ إجراء معين. وتخول هذه المحكمة أيضاً النظر في الحالات التي تحتاج إلى مساعدات اجتماعية تحقيقاً للعدل الاجتماعي، وتحدد هذه المحكمة لنفسها من حين إلى آخر حدود الصلاحيات التي تخولها نفسها. وتحظى هذه المحكمة والأحكام الصادرة عنها باحترام كبير ومكانة متميزة داخل المجتمع الإسرائيلي بمستوياته كافة.

للمزيد انظر:
- قاموس دافير: الجنسية، والمجتمع، والدولة. مرجع سابق، ص١٣٨ . ١٤٢.

(*) «الموضوع أرسل لـ «الفيصل» قبل هذا التاريخ ولم يبت في موضوع القدس حتى الآن» [الفيصل]



صالح السلطان
الرياض - السعودية

منذ عهد قصير قامت الحكومة السعودية بتحويل مرفق الاتصالات من دائرة حكومية محضة، تخضع للأنظمة (القوانين) المطبقة على الوزارات، إلى شركة حكومية، يحكمها نظام أو قانون الشركات. وتبعاً لهذا التحويل، أصبحت الشركة ملزمة بتطبيق نظام العمل الذي يخضع له القطاع الخاص والعاملون فيه، بدلاً من نظام الخدمة المدنية المطبق على الحكومة وموظفيها. فملكية هذه الشركة ونظامها الأساسي وتشكيل مجلس إدارتها بقيت بيد الحكومة، ولذا ظلّت شركة حكومية وليست خاصة، مثلها في ذلك مثل شركات حكومية أخرى، وعلى رأسها شركة أرامكو السعودية.

وقد يتوهم بعض الناس أن هذا التحويل خصخصة، ولكن الأمر ليس كذلك، بل يمكن النظر إليه على أنه تمهيد للخصخصة، أو للرغبة في خصخصة هذه الشركة فيما بعد. فالخصخصة أو التخصيصية يقصد بها سياسة تحويل أو نقل ملكية المنشآت العامة وإدارتها معاً، أو إدارتها فقط من الحكومة أو القطاع العام إلى القطاع الخاص. ولذا يفهم أن التخصيصية قد تكون في الملكية والإدارة، أو في الإدارة (التشغيل) فقط. وبالنسبة إلى الأخيرة، فإنها بطبيعة الحال لا تعد تخصيصية بمعناها الشامل أو الكامل، إذ إن الأصل هو انتقال الملكية والإدارة معاً إلى القطاع الخاص.

إن مرفق الاتصالات لم يكن المرفق الوحيد المرشح للخصخصة، فهناك نشاطات كثيرة تمتاز بأنها ذات طبيعة تجارية (يمكن أن ينشأ لها سوق قائم على أساس الربح أو الخسارة)، كثر ويكثر الحديث عن الرغبة في خصخصتها، ليس في السعودية فحسب، بل أيضاً في أغلب دول العالم، وبالأخص الدول النامية. ويدعم هذا الاتجاه حكومات الدول ذات الاقتصادات المسماة بالاقتصادات السوقية الحرة، وعلى رأسها الولايات المتحدة، كما تدعمه منظمات دولية ذات صلات مهمة وواسعة، كصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي. وبصفة عامة فإن الاتجاه السائد على مستوى العالم هو الاتجاه الداعي إلى التخصيصية، وقد حدث هذا بعد عقود من تزايد التدخل الحكومي في شؤون الاقتصاد.

ومن خصائص اقتصادات عدد كبير من دول العالم، ربما أغلبها، سيطرة الحكومة على نسبة عالية من الأنشطة الاقتصادية، أي الأنشطة ذات الطبيعة التجارية. هذه السيطرة تظهر في الدول النامية بدرجة أكبر من الدول الصناعية غير الاشتراكية، عبر وجود شركات ومؤسسات عامة (حكومية) أو شبه عامة والتي يمكن تعريفها بأنها المنشآت التي تملكها الحكومة كلها أو أكثرها، وتديرها أو تهيمن على إدارتها الحكومة، وتكون طبيعة نشاطها ذات صفة تجارية، أي إنها تنتج سلعاً أو خدمات تباع في السوق. ومن الأمثلة: تولي الحكومة الخدمات أو المنافع العامة كالكهرباء والهاتف والماء، وهناك سبل المواصلات البرية والبحرية والجوية، والبنوك التجارية والبنوك الائتمانية المتخصصة بتنمية قطاعات بعينها، وخدمات الاتصالات والبريد، والخدمات البلدية كالنظافة، وتوفير المياه، وهناك المنشآت الصناعية التحويلية، والمنشآت التي تقوم باستخراج المعادن وإنتاجها وغيرها من

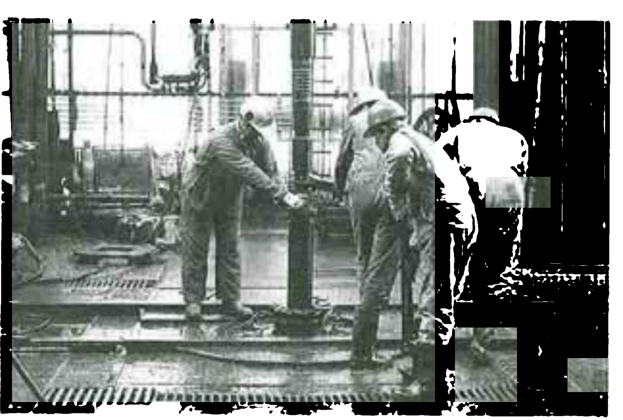
المواد الخام، وهناك تجارة بعض السلع الأساسية كالقمح.

بعض الكتّاب يشترطون أو يضيفون صفة تمتّع المنشآت العامة باستقلالية تميزها من الوزارات والأنظمة البيروقراطية (حكم المكاتب) في تسيير شؤونها الداخلية، إلا أنهم قد يرون أن فقد هذه الصفة لا يمنع قيام الدائرة الحكومية المحضة بممارسة أعمال تجارية، وأن تكون قابلة لأن تحول إلى القطاع الخاص. فمرفق الاتصالات السعودية على سبيل المثال، وقبل تحويله إلى شركة حكومية كان يشكل معظم أعمال وزارة، وكانت تطبق عليه الأنظمة البيروقراطية التي تطبق على غيره من الأجهزة الحكومية البحت، مع أنه مرفق تجاري.

لماذا الخصخصة؟

السؤال المهم هو لماذا الخصخصة؟ لكن هذا السؤال لا يمنع من طرح السؤال بطريقة معاكسة بمعنى لماذا عدم الخصخصة؟ أو لماذا قيام القطاع العام بإنتاج سلع تجارية؟ هل الحكومة ملزمة شرعاً أو قانوناً بتوفير السلع والخدمات التجارية؟ بأي حق تنفرد بإنتاج سلعة أو تقديم خدمة ما؟ مثل هذه الأسئلة تقود إلى بحث موضوعات من أهمها النظر في ما هية عمل الحكومة وحدوده. هذا موضوع تفاصيله خارج نطاق هذه المقالة، ولذا سنستعرض لرؤوس أقلام حوله.

هناك أعمال مقصور أداؤها على الحكومات بسبب طبيعتها، وهي خدمات الأمن الداخلي والخارجي (الدفاع) ووضع قواعد للتعامل بين الناس (فيما لم يرد فيه نص بالنسبة إلى الدولة الإسلامية)، والفصل بين الناس في خصوماتهم، أي تحقيق ما يرى أنه عدالة. فهذه الوظائف لا تسند إلى غير الحكومة، لأن إسنادها إلى غيرها يعني فقد مسوغ قيام حكومة أصلاً. وهناك سلع وخدمات يمكن للقطاع الخاص أن يوفرها، لكنها تمتاز بخصائص تجعل إنتاجها أو توفيرها للناس غير مرغوب فيه من وجهة تجارية، (أي إن توفيرها غير مربح) على الرغم من حاجة الناس إليها. من أوضح الأمثلة الطرق والسدود والجسور، مثل هذه الأنشطة بطبيعة الحال غير مقصود بالخصخصة، بل تتولاه الحكومات كافة، حتى ولو كانت حكومات رأسمالية بصورتها المتطرفة.


إن أغلب المنشآت العامة في الدول النامية لم يقمها القطاع الخاص

خلاف ما سبق مما تتولاه الحكومات في مختلف بقاع الأرض، بإمكان قيام القطاع الخاص بإنتاجه أو توفيره تجارياً. ليس هذا فحسب بل من المعروف أن الثورة الصناعية وما تبعها من استحداث سلع وخدمات قد بدأت وتطورت في الغرب، بيد القطاع الخاص، وليس بيد الحكومة.

تجربة الدول النامية

أما كيف أصبح إنتاج بعض هذه السلع والخدمات عبر المنشآت العامة فإن الدول تتفاوت في تفسير كيفية قيام المنشآت العامة، لكنني سأستعرض بعبارة مختصرة تجربة الدول النامية بصفة عامة.

هناك نسبة من المنشآت العامة كانت أصلاً خاصة، لكن الحكومات جعلتها عامة عبر ما يسمى بالتأميم، وهذا حدث غالباً في الدول الشيوعية. فكثير من الدول النامية المستعمرة سابقاً، ورثت منشآت قامت في عهد الاستعمار، وبالنظر إلى طبيعة الاستعمار ودواعيه، كانت السلطات الاستعمارية المحلية وهي حكومية بطبيعة الحال، وغالباً ما تكون سلطات عسكرية كثيرة التدخل في شؤون اقتصاد المناطق المستعمرة (بفتح الميم) أكثر مما تفعله السلطات الاستعمارية في بلادها الأصلية. ولذا فإن كثيراً من المنشآت التجارية الموجودة في هذه الدول كانت تديرها السلطات الاستعمارية، لم تكن تدار بواسطة القطاع الخاص، ولو كان تابعاً لبلد السلطات الاستعمارية. فهذه المنشآت ورثتها الحكومات بعد الاستقلال. واستصحاباً للأوضاع أو للحال، بقيت هذه المنشآت تحت سلطة حكومة البلد المستقل.

إذا تركنا مسألة الاستعمار، والشركات الحكومية القائمة على استغلال ثروات طبيعية هائلة وعامة، ومن ثم لا يراد لها أصلا أن تكون بيد القطاع الخاص (كشركة أرامكو السعودية)، فإنه يلاحظ أن أغلب المنشآت العامة في الدول النامية لم يقمها القطاع الخاص ابتداء، وإنما بادرت حكومات تلك الدول بإنشائها، والذي صحبه في بعض الأحيان تفرد (احتكار) في مزاولة النشاط، مما يعني منع القطاع الخاص من الدخول في النشاط نفسه. فهذه المنشآت اعتمدت عليها حكومات تلك الدول لتحقيق أهداف اقتصادية تنموية أو اجتماعية، ويضاف إليها العامل السياسي الذي يكون في العادة

هدفاً غير معلن. ويلاحظ التوسع في مدى نطاق تلك الأهداف في دول دون أخرى، حسب أسلوب الحكم وسياسته.

وفق تلك الأهداف ترى الحكومة أنها أنسب وأقدر أو أحق بتوفير الخدمة أو السلعة من القطاع الخاص لأكثر من سبب، مثل أن تتصف الخدمة بأنها جديدة على المجتمع، تتطلب استثمارات ومهارات لا تتوافر لدى القطاع الخاص، أو قد لا يرغب في المغامرة. ويبدو أن منطق الحكومة هذا صحيح إلى حد كبير بسبب تخلف الاقتصاد الذي ينطبق على القطاع الخاص، ولأن من المعروف أن رأس المال الخاص جبان.

قد تنظر الحكومة إلى القطاع الخاص بعين الريبة؛ لذا كان من الأسباب أن هناك أنشطة لا ترغب الحكومة في

ويلاحظ أن القطاع الخاص يتصف في هذه الحالة بالتبعية والضعف موازنة بالقطاع العام.

وفي ضوء تحقيق الأهداف السابقة كانت النتائج غير مرضية اقتصادياً، وإن كانت مرضية من جانب سياسي أو اجتماعي. وحتى الجانب الاجتماعي يتوقع أن يصيبه ضرر على المدى الطويل بسبب نقص الخدمة أو ترديها. وفيما يخص تلك النتائج غير المرضية اقتصاديا لوحظ على نطاق واسع أن المنشآت العامة تعمل بمستويات أداء وكفاءة منخفضة، وأنها تكلف أموالاً أكثر مما تحقق أرباحاً. ومهما كانت أسباب ذلك فإن هناك حقيقة أوشبه حقيقة، وهي أن المؤسسات العامة في مجال المصروفات أو الإيرادات أو نوعية الإنتاج أو تطويره

نظري تلخصه المقولة التالية: ما حك جسمك مثل ظفرك، أي إن صاحب الشأن سيهتم بشؤونه أكثر من غيره. إن الإدارة العليا للمؤسسات العامة، وأعني بذلك مجلس الإدارة ورئيس أو مدير المؤسسة ونوابهم، هم موظفون، أما في المؤسسات الخاصة فإدارتها العليا بيد الملاك أو الملاك وتحتهم موظفون يرجعون إليهم مباشرة، والملاك يهمهم حد أدنى من نجاح مؤسستهم، ومن تحتهم من مديرين تنفيذيين كبار غير ملاك عليهم تحقيق هذا الهدف أو ترك وظائفهم، ولذا فإن المؤسسة الخاصة يفترض أن يتوافر فيها عنصر رقابي (الملاك أو من يمثلهم)، وهذا غير متوافر للمؤسسة العامة بالقوة نفسها.

مناصرون ومعادون

إزاء المناصرين للخصخصة، هناك المعارضون لها. فعلى الرغم من موافقتهم على فائدة إزالة القيود البيروقراطية، والتدخلات السياسية ونحو هذه المعوقات، إلا أنهم لا يرون ارتباطاً بين هذه ونوع الملكية، أي إن إزالة المعوقات لا علاقة لها بنوع الملكية. من جهة أخرى هناك من يرى أن التدخل الحكومي في أسواق عدد من الدول النامية هو بسبب الانحرافات الموجودة في السوق، وهذه الانحرافات تمنع من تحقيق الكفاءة للمؤسسة بعد تخصيصها. فهؤلاء المعارضون يقترحون إصلاح المنشآت العامة؛ فمثلا يرون أن على الحكومات تعديل الأنظمة للمؤسسات العامة بما يكفل استقلاليتها، وبما يكفل قدرتها على منافسة القطاع الخاص في توظيف أفضل المديرين، وفي الحصول على الاستثمارات، وفي التوسع والتسويق.

وبرى الدافعون عن الخصخصة أن التجارب دلت على الإخفاق عند التطبيق في دول كثيرة، أي إنه بينما يتوقع قيام الحكومة بما طلب منها، إلا أن التنفيذ لم

المدافعون عن الخصخصة: التجارب دلت على إخفاق القطاع العام عند التطبيق في دول كثيرة، مما زاد من قناعة هؤلاء بمبدأ «المالك يهمه النجاح أكثر من الموظف» لذلك فإن أفضل حل هو الخصخصة

جعلها تحت سلطة مجموعة من التجار، بل تحت سلطتها، وهيمنتها. من أسباب ذلك النظر إلى أن المنشأة الخاصة لا تهتم بمصالح عامة الناس بقدر ما يهمها تحقيق أرباح، ومن ثم فقد يرى من بيده السلطة أن القطاع الخاص سيوفرها بأسعار أو كميات أو شروط غير مرغوب فيها من وجهة المجتمع، ومن ثم فإنه يرى أن المصلحة العامة تقتضي أن تتولى الحكومة إدارة سلع أو خدمات حيوية للجمهور، وهذا ما يعبر عنه أحياناً بالجانب الاجتماعي. وأحياناً يكون قيام المنشآت العامة وإنتاجها وبقاؤها انعكاساً للأوضاع السياسية والاجتماعية ونحوها. فمثلاً قد تكون النخبة الحاكمة مهيمنة على السلطات ومناحي الحياة كافة، ويدخل تبعاً لذلك شؤون الاقتصاد.

وبصفة عامة، تعمل بكفاءة دون المطلوب أو المؤمل. ويدخل في ذلك تحقيق خسائر أو تحقيق أرباح دون المؤمل.

كيف تواجه الخسائر؟

ماذا تفعل المؤسسة العامة مع استمرار الخسائر، أو قلة الأرباح؟

قد تحاول المنشأة العامة خفض التكاليف، أو رفع الإيرادات غالباً برفع الأسعار، تعديل قواعد عمل المنشأة كإعطائها مزيداً من الاستقلالية، أو جعلها تتولى أمر نفسها بنفسها بغرض رفع مستوى الأداء والكفاءة. لكن يلاحظ أنه، وإن أمكن تحقيق ذلك، فالعادة أن النجاح لا يرقى إلى منافسة المؤسسة الخاصة، لأسباب كثيرة وهي مشتقة من طبيعة الإدارة الحكومية في الدول النامية خاصة، ولكن أهم هذه الأسباب في

يكن مرضياً عنه، فمع الوعود نحو إصلاح الوضع، لوحظ استمرار الحكومات في التدخل غالباً بما يسبب تدهور كفاءة العمل، مع وعودها بترك ذلك، كما أن الحافز على إحداث التعديلات المطلوبة، وعلى الاستفادة منها كان دون المؤمل مما زاد من قناعة هؤلاء بمبدأ «المالك يهمه النجاح أكثر من الموظف»لذلك فإن أفضل حل هو الخصخصة.

وهناك مشكلتان رئيستان وراء ضعف أداء منشآت القطاع العام: مشكلة مؤسسية ومشكلة حافز، فالمشكلة الأولى يمكن حلها بواسطة تعديل الأنظمة. لكن المشكلة الثانية لا يمكن حلها بتغيير القوانين، لأنها مشكلة ترجع إلى طبيعة السلوك الإنساني. فالمدير الذي يشرف على عمله مالك المؤسسة يتصرف نفسه بتصرف يختلف عنه عندما يشرف عليه أحد كبار موظفي الدولة.

وعلى الرغم من وجود المشكلات في أداء القطاع العام، فإن هناك مشكلة ضعف رأس المال الخاص وجبنه، وتظهر هذه المشكلة في وجود احتمال كبير بأن يحجم القطاع الخاص في الدول النامية عن إقامة مشروعات (ذات طبيعة تجارية) لها مردود إيجابي على التنمية، بسبب أنها تتطلب مهارات ووقتاً طويلاً قبل أن تثمر. ومن أساليب الحل أن تبادر الحكومة بالإنشاء، على أن تبيعها للقطاع الخاص فيما بعد، أو ترغب القطاع الخاص بالإنشاء عن طريق عرض دعم من نوع ما.

عناصر وإجراءات لبرامج الخصخصة

عند الاقتناع بسوء الأداء، والحاجة إلى التحسين عبر الخصخصة فإن البرنامج يتطلب غالباً قيام هيئة أو لجنة مركزية للتخصيص، مسؤولة عن وضع تخطيط جيد يراعي عدة قضايا لإدارة عملية التخصيص، ومن ذلك وضع الإطار العام للخصخصة وخطة العمل. وقد يقرر وضع خطة عامة لخصخصة مؤسسات كثيرة، وقد يقرر التدرج في الخصخصة، وينظر إلى كل حالة على حدة، إذ إن تأخير بحث أو ترك خصخصة مؤسسة عامة لا يمنع من بدء تخصيص غيرها. فهناك الكثير من القضايا الفرعية المهمة التي لا بد من بحثها بالتفصيل، مثل تحديد الخطط (الإستراتيجيات)، وإعداد تقارير وبيانات وافية عن الأداء، وتقويم الأصول، وتقديم المشورة القانونية، وفحص العروض، والتفاوض على الصفقات، وتنسيق الأعمال وتحديد الصلاحيات والمسؤوليات، وموضوع الضرائب، وتحويل الأرباح، ومعالجة مشكلة وجود مستحقات من ديون وخلافها. وهذه الأعمال تتطلب مستشارين ومتخصصين مهرة كمراجعي الحسابات والقانونيين والمحللين الماليين.

فالسؤال: هل الخصخصة تضمن النجاح؟ الجواب ببساطة لا. فوجود الخصخصة لا يعني ضمان النجاح، لأن نجاح المؤسسات الخاصة غير مضمون، لكن المضمون أو شبه المضمون هو أن إخفاق المؤسسة، وهي خاصة، أقل حدة من إخفاقها وهي عامة. كما أن تحسن كفاءة المنشأة الخاصة نتيجة تخصيصها مرتبط بهيكل السوق، فوجود منافسة مثلاً يضغط باتجاه تحسين الكفاءة. فالمشكلة أن بعض النشاطات تمتاز بانخفاض التكلفة مع ازدياد حجم الإنتاج، ولذا فالمنافسة فيها غير مرغوب فيها، وأشهر مثال هو الكهرباء. إن مثل هذه الحالة قد يدفع المنشأة الخاصة إلى اتباع أساليب استغلالية احتكارية تتسبب في رفع الأسعار. وحل هذا عادة يكون بوجود تدخل حكومي في تحديد الأسعار، ويجب أن يبنى هذا التدخل الحكومي على مشورات ودراسات، وليس على مجرد آراء صادرة دون تمحيص وبحث كافيين.

هل كل الأنشطة ذات الصفة التجارية (أو التي يمكن أن تكون تجارية) ينبغي لها الخصخصة؟ لا.. فهناك أنشطة تمارسها الحكومات، ويجني من ورائها المجتمع منافع عالية ترجح على مشكلات نقص الكفاءة وضعف الأداء، ومن ثم ينبغي ألا تباع للقطاع الخاص، ومن أوضح الأمثلة، التعليم العام الحكومي. هذا لا يعني بالطبع منع القطاع الخاص من ممارسة تلك الأنشطة، بل له حق في الممارسة كالحكومة تماماً، إلا أن هذا لا يعفي من وضع الرقابة عليه لـلتأكد من سلامة الممارسة ونزاهتها.

> وجود الخصخصة لا يعني ضمان النجاح، لأن نجاح المؤسسات الخاصة غير مضمون، لكن المضمون أو شبه المضمون هو أن إخفاق المؤسسة، وهي خاصة، أقل حدة من إخفاقها وهي عامة

المراجع

١. سعيد النجار، تحرير، التخصصية والتصحيحات الهيكلية، صندوق النقد العربي، أبو ظبي، الإمارات، ١٩٨٨م.

2- Boadway, Robin and David Wildasin. Public Sector Economics. Little, Brown and Company, Boston USA. 1984.

3- The New Palgrave. A Dictionary of Economics. Volume 3. The Macmillan Press Limited, 1987

4- Stokey E. and Zeckhauser R. A Primer for Policy Analysis New york. Ny, 1978.

5- Vuylsteke, Charles, Helen Nankani and R. Candoy - Sekes. Techniques of Privatization Of State - Owned Enterprises. World Bank Technical Paper No. 88 Washington D.C., 1988.

أسماء الأصوات
خصائصها اللغوية وأشكال توظيفها

خليفة الخياري
سليانة - تونس

مازالت اللغة مجالاً رحبًا للبحوث والدراسات وشتى النظريات الساعية إلى الإحاطة بهذه الظاهرة الإنسانية الفاتنة. وكلما تطورت أساليب البحث ومناهجه، تجلت روعة هذا النظام أكثر فأكثر.. فمنذ كانت الدراسات اللغوية لا تتجاوز أهدافها حدود الإجادة في تلاوة النصوص المقدسة، إلى أن أصبحت علمًا متعدد الفروع، لم تخل هذه الشبكة العجيبة من الأصوات المتواضع على معانيها من هوامش مسكوت عنها، تُدارى على أنها غير ذات جدوى أو لا تساهم في التقدم بالدراسات اللغوية نحو ما يرصد لها عادة من مقاصد علمية.

ومن هذه الجوانب التي لا يذكرها الدارسون للنظام اللغوي إلا عرضًا ما يصطلح النحاة القدامى على تسميته بأسماء الأصوات. ومن المحدثين ممن استرعت اهتمامهم هذه المسألة الباحث تمام حسان في كتابه «اللغة العربية معناها ومبناها»، فقد صنف أسماء الأصوات في تقسيمه السباعي للكلام ضمن ما يصطلح على تسميته بالخوالف، ويسمى هذا الضرب من الأسماء (خالفة الصوت)(١). هذه الأسماء يرد ذكرها في مصنفات البحث اللغوي لمجرد الإشارة إلى وجودها فقط. ولولا حتمية المرور بها لأضحت نسيًا منسيًا؛ إذ لا نكاد نعثر على أثر استأثر بهذا الفرع وأولاه ما هو جدير به من العناية انطلاقًا من مدونة مضبوطة تتخذ منطلقًا لمحاولة تبين ما لأسماء الأصوات من خصائص وقيم تواصلية، ولا سيما أنها تمثل نظامًا متكاملاً، أو بالأحرى لغة داخل اللغة تندرج ضمن المنظومة العادية للغة المستعملة؛ إذ تتأسس على أصوات منطوقة ومحل تواضع بين الناس ولو ضمن جماعات محلية. وتمتاز منها بأنها أحادية الاستعمال: يبثها الإنسان عن إدراك مسبق لمغازيها، ويتقبلها الحيوان مستجيبًا لها عن غريزة، مميزًا بين مكوناتها المتقاربة إلى حد يجعلها مستعصية على الكائن المدرك فضلاً عن عديم الإدراك.

وأسماء الأصوات في تعريف مختصر ومبسط هي: جملة من الملفوظات المبهمة تصدر عن الجهاز الصوتي البشري يوجهها للحيوانات في شكل أوامر وزواجر وحواث، فتستجيب لها غريزيًا، وتميز الصوت الواحد من شبيهه أو الملتبس به من حيث المخرج والصفة. وقد خص كل حيوان بثلاثة أصوات نحاول انطلاقًا منها أن نرصد ما لها من خصائص في مسعى إلى تحقيق بعض الاستنتاجات التي ليست يقينية بالضرورة، بل قد تشرع للأسئلة الموجبة للتأمل والمثيرة لرغبة التمعن والتمكث إزاء هوامش اللغة المنسية.

الخصائص الصوتية لأسماء الأصوات

هذه المجموعة من أسماء الأصوات التي نتخذها منطلقًا هي نزر ضئيل من كمّ هائل يتغير من جهة إلى أخرى، ومن بلاد إلى بلاد. وقد تطرأ عليه شوائب الألسن فتحيد به عن مألوف استخدامه، أو تضفي عليه رطانة أو استلانة، وذلك ما ينبغي أن يوضع في الحسبان. ولكن هذه المجموعة هي الأكثر تداولاً وشيوعًا، خاصة في الأرياف حيث مازالت الأنعام والدواب ذات منافع كما كانت منذ أقدم العصور. ولقد أمكن تصنيف هذه الأسماء اعتمادًا على الغاية من التلفظ بها، فكانت قابلة للانقسام إلى أنواع ثلاثة: أصوات زجرية توجه إلى الحيوان ليذهب أو يغرب عن الوجه (للطرد والإبعاد)، وأصوات استدعائية لاستقدام الحيوان وتقريبه، ثم أصوات ترغيبية لحثه وحمله على القيام بعمل معين كحثه على

الشرب إذا كره عكر الماء وآسنه، أو تقوينه إذا أبدى تعباً، وهو ينوب عن الإنسان في أكثر لوازم عيشه ثقلاً وما يستعصي على ساعده فيسخر له قوة غيره.. فمن أسماء الأصوات ذات المنحى الزجري ما يلي:

- إر: وتستخدم لزجر الحمير إذا توقفت عن السير.

- إخ: يستخدم هذا الصوت في شمال إفريقية لمقاصد تتنوع حسب احتياجات الناس إلى الحيوان، ثم وفق أنواع الحيوانات القابلة للتربية؛ ففي الشمال التونسي - على سبيل المثال - يستعان به على زجر الماعز، بينما يصبح في الجنوب صوتاً ترغيبياً يتوجه به إلى الإبل لتبرك.

- إش: يستعمل عادة لتفريق الدجاج عندما يتدافع وهو يلتقط الحبوب.

- إس: صوت يطلقه الراعي إذ يحدو غنمه.

- زع: صوت يستخدم لزجر الإبل.

- إيس: يستعمل هذا الصوت لزجر الخيل، وينطق في جهات أخرى (ايه)، ويستخدم بدله (صه) أيضاً.

- إخت (**) من الملاحظ أن هذا الصوت يستعمل لصغار الماشية (الخرفان)، ويستعين به الصيادون لكشف مكامن الطرائد (الأرانب بالأخص).

- شر: يستخدم هذا الصوت مزجراً للكلاب.

أما أسماء الأصوات التي تعد من الأصوات الاستدعائية ومقاصدها فتكون مناقضة تماماً للأسماء السابقة فنذكر منها ما يأتي:

- كرش: (بضم الكاف وتشديد الراء وتسكين الشين) يستعمل لاستقدام الحمير وذلك بتكراره.

- بش: (بكسر الباء وتسكين الحرف الثاني) يتكرر بأصوات متقاربة لاستدعاء القطط.

- بس/ إيش /: ومجموعة أخرى من الأصوات تستخدم لاستقدام الكلاب.

- ترش/ در/ وينطق كلاهما بكسر الحرف الأول ومعهما (أر) لاستقدام قطيع الغنم مع اختلافات بينها من جهة إلى أخرى والألفة الغريزية لدى الحيوان هي التي تسمح بتعدد الأصوات واتفاقها من حيث المقصد.

- إرش/درش: لاستقدام الماعز (مع تغير طفيف طرأ على الحرف الأول).

- تي.. تي: تنطق متواترة لاستقدام الدجاج عموماً، وفي بعض الجهات للفراخ فحسب، مع تخصيص صوت آخر للدجاج



علاقة الإنسان الصوتية بالحيوان تتمثل في أوامر وزواجر وحواث

عموماً وهو (كت.. كت) بكسر الحرف الأول وتسكين الثاني.

- نعه: يستخدم لاستقدام الخيل، والجالب للانتباه فيه كيفية نطقة بتسكين الحرف الأول وفتح الثاني وتسكين الثالث!

وتختص الترغيبية من أسماء الأصوات بكونها غير قابلة للكتابة. وهي الأكثر غربة عن إمكانات جهاز التصويت. ومنها: الصفير الذي يردد لتحريض الدواب على الشرب عند نفورها من الماء.. ومنها كذلك صوت يقوم على ذبذبة شفوية متواترة مسبوقة بتاء ساكنة تكاد لا تسمع وينتهي بتاء مثلها وبينهما حرف شفوي مخفف هو خليط من الفاء العربية والفاء الأعجمية (V). ويستخدم لحث البقر على الشرب. وأذكر أننا كنا في المدرسة الابتدائية (الأساسية حالياً) نتخذ من هذه الأصوات لعبة، فينطق الواحد بما يختار منها والبقية تحاول كتابته، والمجموعة التي تعجز عن كتابة الصوت تنعت باسم الحيوان الذي يوجه له الصوت تهكماً.. ومنها أيضاً صوت مزدوج يستعمله الصيادون لحمل الكلب على ملاحقة الطريدة: الأول منه ينطق مزيجاً من اللام والكاف مع ضغط اللسان على الناحية اليسرى من الحنك، والذولق على الأسنان العليا، والصوت الثاني المتواتر معه هو (اش) بكسر الحرف الأول وتسكين الثاني ويتكرران تباعاً.

وأول ما يمكن ملاحظته في هذا السياق أن هذه المجموعات متمايزة صوتياً؛ إذ تختص كل مجموعة منها بعلامة حرفية طاغية تفصلها عن غيرها. فأسماء الأصوات الزجرية تمتاز ببنيتها الثنائية. وتتكون غالباً من ألف وحرف ساكن يكون عادة رخواً. وتمتاز المجموعة الاستدعائية بانعدام الألف وحلول حروف أخرى بدله (الباء/التاء/الكاف). أضف إلى ذلك ما نتبينه من حضور لازم لحرف الشين حتى لا يكاد ينعدم من مجمل أسماء الأصوات المذكورة. وكذلك لا يجب أن نغفل البنية الثلاثية للمجموعة الاستدعائية. فإذا خرجت عنها بعض الأصوات فإن الحرف الثاني المكون لها يكون ليناً بالضرورة (قابلاً للإطالة حين النطق به أو قابلاً للترديد مثل حرف الراء).

أما المجموعة الثالثة فتمتاز بافتقارها إلى الصبغة الخطية. فهي لا تأخذ أشكال حروف بينة المعالم، وتغلب عليها السمة الإيقاعية التي عادة تحاكي الحركة التي يرغب الإنسان من الحيوان تأديتها.. ومما يلاحظ أيضاً غياب نوع معين من الحروف، ونعني بذلك الحروف التي ينحبس الهواء في أثناء نطقها ساكنة

انحباساً تاماً مثل الدال والقاف، وربما يعود ذلك إلى خاصية لازمة لهذه الأصوات، وهي حتمية تمديدها كما تنعدم في أسماء الأصوات أيضاً الحروف الخيشومية (الميم والنون).

ولعل اختصاص المجموعة الأولى من أسماء الأصوات بالمنحى الزجري الواضح موازنة بالمجموعتين المتبقيتين يوحي أن هذه الأصوات أفعال في صيغة الأمر بدليل إلحاق الألف المهموزة بأولها؛ ذلك أن الأفعال المستعملة في التخاطب الإنساني عند تصريفها في الأمر تحافظ على حروفها الأصلية وتسبق بالألف المهموزة (الفعل الثلاثي السالم من حروف اللين بالتحديد) = اركب/اعمل/اقبل... إلخ. ولكن المشكل يكمن في أن هذه الهمزة إذا عزلناها لتبين الحروف الأصلية للفعل الذي ألحقت به لإكسابه الصيغة الأمرية فسنجد أنفسنا إزاء حرف غير قابل للنطق، ولا يمكن بحال من الأحوال اعتباره فعلاً، حتى إذا عاملناه معاملة المتكرر بالتشديد، وذلك ما ينفي تماماً فرضية أن تكون هذه الأصوات فعل محاكاة للأمر في لغة التخاطب الإنساني.

إلا أن فرضية أخرى تبقى متاحة للمقابلة وهي قياس أسماء الأصوات على أسماء الأفعال. فإذا سلمنا بأن أسماء الأفعال هي صيغ ثابتة غير قابلة للتصريف مشتقة من الفعل نفسه (مثل حذار - من حذر يحذر) أو من غير ذوات الأصول (مثل صه = ومعناها: اسكت) وهذا الافتراض هو المدخل المناسب للبحث عن جذور هذه الأسماء في متون المعجمات بقطع النظر عن المجموعة الثالثة التي لا مجال للاجتهاد في شأنها ما لم تتخذ شكلاً خطياً.

أسماء الأصوات هي جملة من الملفوظات المبهمة تصدر عن الجهاز الصوتي البشري يوجهها للحيوانات في شكل أوامر وزواجر وحواث، فتستجيب لها غريزياً

الأصول اللغوية لأسماء الأصوات

تتوافر في لسان العرب لابن منظور الإفريقي(٢) بعض الإشارات التي تتصل اتصالاً وثيقاً بهذا الموضوع يوردها المصنف على هامش الاستقصاء المعجمي الذي يحيط به جذور الألفاظ العربية كلما استجاب أحد هذه الأسماء إلى صيغة من صيغ الفعل. وقد لاحظنا أن ما سميناه بالألف المميزة للصيغة الأمرية تُعامل معاملة الحرف الأصلي خلافاً للافتراض المذكور أولاً. أما السكون في الحرف الثاني فما هو إلا بديل للشدّة اقتضاه الاستعمال اعتباطاً نتيجة لطبيعة الحروف المستعملة التي لا ينحبس الهواء عند التلفظ بها. فإذا اجتمع عدم الانحباس مع الشدة يصبح الصوت غير مميز، وأشبه ما يكون بعملية التهجية للحرف الثاني من اسم الصوت. وتأسيساً لهذا الافتراض يمكن البحث عن أصول هذه الأسماء؛ وذلك بتكرار الحرف الثاني والحفاظ على الألف لكونه حرفاً أصلياً مثل: (اس = تصبح أسس) مع مراعاة بعض التغيرات الصوتية من قبيل إمكانية استبدال هاء بالألف (هس = همس) في هذا الاسم، فنجده متفرعاً عن فعل همس أو هشش (لما بين الحروف العروبية المتجاورة من وشائج صوتية تسمح باستخدام الواحد منها محل الآخر). وبذلك نتوصل إلى أن أسماء الأصوات، ولاسيما المجموعة الأولى منها، كلها مشتقة من أفعال قليلة الشيوع أو اندثرت بتطور الاحتياجات اللغوية لدى الإنسان، أو عرفت تغيرات جوهرية أخفت بنيتها الأولية، ولنا أن نكتفي في السياق بإيراد خمسة نماذج تثبت ما سلف بيانه، مع وجوب الاستئناس بما يذهب إليه النحاة القدامى من أن الزجر في أسماء الأصوات هو الأصل، وعنه تولدت أصوات الاستدعاء والترغيب. ومن ذلك ما أورده ابن جني في كتاب الخصائص: «وقد كثر اشتقاق الأفعال من الأصوات الجارية مجرى الحروف(...)، وهذا كثير في الزجر، وقد كانت حضرتني وقتاً فيه نشطة فكتبت تفسير كثير من هذه الحروف في كتاب ثابت في الزجر(٣):

- إر = أرر: ائتر الرجل ائترارا إذا استعجل/ وأرأر = من دعاء الغنم (لسان العرب/المجلد الأول/ ص٤٥ (أرر)
- إخ = أخخ: يقال للبعير اخ إذا زجر ليبرك. ولا يقال أخخت البعير بل أنخته مج١/ ص٢٧ (أخخ).
- إش = أشش: أشّ القوم يؤشون أشّاً: قام بعضهم إلى بعض وتحركوا. قال ابن دريد وأحسبهم قالوا أشّ على غنمه يؤشّ مثل هشّ مج ١/ص٦٦ (أشش).
- إس/ أمس/ همس: الهمهمة ضرب من المشي، والراعي الهمهاس إذا رعى غنمه الليل كله. والهس: زجر الغنم// هشش: ومنه قوله تعالى: *وأهشُّ بها على غنمي* . طه:١٨. أي أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقها فترعاه غنمه. مج ٣ ص ٨٠٦، ومج ١ - ص١٦ (أسس - همس - هشش).
- أيس/ إيه: يبدو أن الاستعمال الثاني هو الأصح ذلك أن الجذر الثلاثي الأول (أ - ي - س) لا يتضمن أي دلالة مفيدة في المعنى الذي ننشده. وفي لسان العرب تقترب مادة (أ - ي - ه) من الغرض: والتأييه: الصوت وأيّه بالرجل والفرس: صوّت. وفي حديث أبي قيس الأودي: أن ملك الموت عليه السلام قال: «إني أؤيّه بها (الروح) كما يؤيّه بالخيل» مج١/ ص ١٤٨(أيه).

وقد يذهب الاستعمال بهذه الأسماء مذاهب متنوعة. وتبلغ درجة من الاختلاف تؤدي أحياناً إلى عدم إمكانية التوصل إلى

أسماء الأصوات، ولاسيما المجموعة الزجرية، كلها مشتقة من أفعال قليلة الشيوع، أو اندثرت بتطور الاحتياجات اللغوية لدى الإنسان، أو عرفت تغيرات جوهرية أخفت بنيتها الأولية

أصول هذه الأصوات. وتعود هذه الاختلافات إلى اختلاف اللهجات وإيثار بعض الأصوات دون الأخرى في هذه الجهة أو تلك. فتمام حسان مثلاً يورد من اللهجة المصرية: (هج) للغنم (هلا) للخيل (عاه) للإبل(٤)، وقد انتبه أحد الصوماليين إلى اختلاف في نطق الصوت الذي يزجر به الحمار.

ففي بلاده يقال (كر)، أو (قر) في جهة أخرى بالقاف مثلثة النقاط. ومرد ذلك إلى أن الألف قليل الشيوع في لهجة شمال الصومال المحلية موازنة بالقاف المثلثة النقاط التي لا تكاد تخلو منها عبارة.

توظيف أسماء الأصوات

تتبين بهذه الخصائص ما لأسماء الأصوات من أهمية في إيضاح ما بين جوهر المنظومة اللغوية وهوامشها من وشائج، فمختلف الوحدات الدلالية التي كنا بصدد تفحصها لا تحمل مدلولاً دقيقًا إلا في ذات المتلفظ. أما الاستجابة الحيوانية - بقطع النظر عن كونها تمثل أرقى مراتب التأهل الحيواني - فإنها لا تعدو أن تكون مستوى مستحدثًا يطرأ على الغريزة من جراء المعاودة والاستدامة؛ ولعل ذلك ما يفسر انحصارها في التعامل مع الحيوانات الأهلية دون غيرها. فهذا الصنف من الحيوانات قابل للتعليم ويلين طبعه حيال التدريب. وعملية التعليم هذه صورة من صور الذكاء الحيواني الأكثر رقيًا من الأعمال الغريزية، وقد تؤدي إلى تحوير الغريزة عن طريق التجربة والخبرة.

والمتأمل لأسماء الأصوات بوصفها رسالة بين باثٍ مدرك عاقل ومتقبل حي ولكنه غير مدرك ولا ناطق تثير لديه المسألة جملة من الاستفهامات، أولها: إذا كانت اللغة أداة من أدوات التفكير ووسيلة للتواصل.. فهل يمكن جعل الغريزة الحيوانية درجة دنيا من مدارج الاقتدارات الفكرية لدى الكائنات الحية؟ حتى إن اللغة تصبح في هذه الحالة لا أداة تواصل فحسب، وإنما هي أيضاً أداة تطويع: تطويع الغريزة الراقية والمتطورة لدى الإنسان للغريزة الثابتة لدى الحيوان. وحينها يتجلى الشبه بين هذه العملية وكيفية تعامل الفكر الإنساني مع الآلة، والتي تمثل أنظمة الحاسوب (الكمبيوتر) أحدث تجلياتها. إذ إن هذا الجهاز لا يمتلك القدرة على الاستجابة للأوامر إلا من خلال ما يمنحه العقل المنظم والمسيِّر من معطيات. فمع هذه الأجهزة الحديثة يتوضح سحر اللغة. إنها مرآة الرقي الفكري لصانع الجهاز ومشغله ومروضه على الاستجابة، ومحمله من المهام ما لا يستطيعه العقل الصانع إلا بمشقة وعنت وضياع حيزات زمنية كبرى. وبمنطق الموازنة يجوز أن نعد منظومة أسماء الأصوات أقدم محاولات الإنسان لإكساب اللغة مجالاً أكثر ثراء ورحابة، ووظيفة عملية أكثر نفعاً من أن تظل أسيرة المستوى الأدنى التواصلي من الإنسان وإليه؛ فباللغة اهتدى الكائن البشري إلى إمكانية تسخير الحيوان وتوظيف قواه لمغالبة مصاعب العيش، وبها فرض عليه مستلزمات الاستجابة، وباعتماد هامش بسيط من هوامشها أقام نظاماً دقيقاً فيه ضبط لمختلف ردود الفعل المرتقبة من الحيوان.

والقيم التي تختص بها هذه الشبكة الدقيقة من الأصوات يمكن أن تعتمد مفتاحاً لتسليط الأضواء أكثر على خوافي المكن الحيواني، ولاسيما أن الدراسات المختصة عادة ما تعتني بالجسم الحيواني وبقواه (السرعة/ التحمل/ النظر/ الشم/ الصبر). وتغفل مستوى تأثره وانفعاله. وهي اقتدارات تفطن لها الإنسان منذ القدم. ولكنه بقي يتعامل معها معاملة الخوارق العجيبة، تثير استغرابه ولا تثير طاقة الاستفهام الكامنة في ذهنه. وفي أبعد أشكال الغوص في خفايا عالم الحيوان عند العرب أن نجد أبا عثمان الجاحظ يبدي من الفطنة الكثير، ولكن تجاربه وتأملاته تبقى مشدودة إلى المقصد الديني الخفي، وهو الاستدلال على عظمة الخالق انطلاقًا من تأمل خلقه. وذلك هدف اعتزالي لم يعد محل اختلاف.. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الدَّميري في كتابه «حياة الحيوان الكبرى»، وإن كان في مصنفه هذا يبدو إلى الخرافة أميل، وإلى تقصي العجيب الخارق أجنح، كأن هدفه ليس إثبات الحقائق، وإنما حمل المتقبل على الاندهاش والاستسلام إلى سلطة الأسطورة.

ولعلنا لا نجانب الموضوعية إذا ربطنا البحوث الحديثة التي تجري في الغرب، ومنها بالأخص ما يسمى بعلم نفس الحيوان، بأصل فلسفي قديم استنبته أرسطو وهو يُعمل العقل، ويستحث الفكر، ويجهد الحس في استجلاء ممكنات المخلوق الحيواني.. أما نحن فقد نظرنا إلى الإبل كيف خلقت، واكتفينا بالنظرة الأولى! وليس من شأن النظرة الواحدة أن تدرك الحقيقة، أو أن تؤسس للعلم منهجاً قويماً.

المراجع

١. تمام حسان: اللغة العربية، معناها ومبناها. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ص١٤.

٢. ابن منظور. لسان العرب المحيط. ط. دار لسان العرب - بيروت، ١٩٨٨م، تحقيق يوسف خياط.

٣. ابن جني. الخصائص - الجزء الثاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٢م، تحقيق: محمد علي النجار، ص٤٠.

٤. تمام حسان. المرجع السابق - ص١٣٦.

٥. فانس باكار. الجانب الإنساني عند الحيوان. تعريب سعد غزال، دار الفكر العربي - بيروت (ب. ت)، ص٦٣.

التعليم
في عصر النشر الإلكتروني والإنترنت

صالح الخريجي
الرياض. السعودية

الكتب هي وعاء العلم وأهم أداة لتحصيله، ومنذ فجر التاريخ وهذا الوعاء يتشكل متوافقا مع المجتمع الذي يوجد فيه، مؤثرا فيه ومتأثرا به.

وحين يطالع أحدنا اليوم أحد الكتب المحفوظة على قرص مدمج أو عبر الإنترنت، تتماوج أمامه الصور تترى بما يحرك ذاكرته لاستعادة مشاهد قرأ أو سمع عنها أو شاهدها، فيمر أمامه شريط طويل يحوي عددًا من الأحداث والمجريات المهمة، فيتحرك الشريط وتبدأ الصور في الظهور واحدة تلو الأخرى. يحدق بعينيه ليرى صورة يعود تاريخها إلى بدايات تدوين المصحف الشريف، والمشهد مجموعة من الجمال تحمل نسخة واحدة من القرآن الكريم. وتتحرك آلة العرض مع تحرك هذه الجمال المنهكة بهذه الحمولة الزائدة لتخرج لنا المشهد الثاني الذي يظهر رجلاً مشغوفًا بحب القراءة والكتب لا يقع كتاب بيده إلا استوفى قراءته، يكتري دكاكين الوراقين، ويبيت فيها للنظر. وذات ليلة، وبينما الكتب محيطة به ومصفوفة كالحائط حوله، وهو جالس بينها منهمك في مطالعة كتاب ينتهي المشهد إلى قمة الإثارة إذ تسقط عليه مجموعة من الكتب فتقتله. وتظهر الصورة التالية: الشيخ الجليل سليمان بن الأشعث السجستاني المحدّث (ت: ٢٧٥هـ) تركز اللقطة في ثوبه، فتخرج منظرًا غريبًا لأكمامه: كم واسع وكم ضيق، يسأله المذيع لم فعلت ذلك، فيجيب الشيخ: الكم الواسع للكتب والآخر لا أحتاج إليه(١).

وبينما المصور مشغول بتصوير كم الشيخ الواسع إذا قطيع من الإبل يمر أمامه، فتنتقل آلة التصوير إلى هذا القطيع فتنقل لنا حكاية الصاحب بن عباد (ت: ٣٨٥هـ) مع ثلاثين جملاً وقد حمل على ظهورها بعض كتب الأدب ليطالعها(٢)، ويسير ابن عبّاد حاديا لجماله. وفجأة يلتقي رجلاً يقال له أبو الفرج الأصفهاني (ت: ٣٥٦هـ) يتصفح كتابه «الأغاني» فيقرر أن يترك إبله بحمولتها مكتفيًا بكتاب الأغاني مرافقًا له في سفراته المختلفة.

وبينما الجميع يتابع الصاحب بن عباد وهو يتصفح الأغاني بشغف وشوق إذا صوت شاعر قادم يحاكي الريح صادحاً بشعره:

أعزُّ مكان في الدُنا سرج سابح
وخيرُ جليسٍ في الزمان كتاب

ولا ندري ماذا كان سيقول هذا الشاعر لو عاش وشاهد ما يجري للكتاب في هذه الأيام التي أصبحت فيها الكتب تسير عابرة البحار والمحيطات، ومتخطية كل الحواجز الجمركية والأعين الرقابية. فمنذ عشر سنوات تقريبًا أمكن بث دائرة المعارف البريطانية البالغة ٣٠ مجلدًا و ٤٤ مليون كلمة ست مرات ذهابًا وإيابًا عبر الأطلسي خلال دقيقة واحدة عبر (الأقمار الصناعية) وهو شيء لم يكن ليخطر على بال أحد من الفلاسفة القدماء، إذ انحسر ـ وبفعل التقنية الحديثة ـ المكان والزمان أيضًا، بحيث أصبح العالم كله ينبض ليل نهار بسلعة جديدة اسمها المعلومات تعبر القارات والمحيطات ذهابًا وإيابًا من عاصمة إلى أخرى، ومن فرد إلى آخر بسرعة الضوء ناقلة معها البيانات والمراسلات والمعارف والمداولات المالية والعقود

والاستفسارات في كوكب لا يعرف النوم(٣).

إمكانات هائلة

لقد أتاحت التقنية الحديثة إمكانات كبيرة، إذ أصبح من الممكن أن يتضمن قرص مدمج واحد عرضاً للنص القرآني كاملاً بالرسم العثماني بتلاوة الشيخ الحذيفي والحصري والسديس والشريم مصحوباً بخدمات معلوماتية تخدم النص المعروض، كما يوفر البرنامج إمكان الاطلاع على تفسير القرآن الكريم من خلال مجموعة من أوثق التفاسير التي يبلغ عدد مجلداتها أكثر من ثلاثين مجلداً. كما يشتمل البرنامج على مراجع أخرى تقدم دراسة وافية لأسباب النزول، وشرحاً علمياً لأحكام التلاوة وأحكام التجويد.. إلى غير ذلك من الأمور المهمة.

ومن أهم مميزات هذه الأقراص قدرتها الهائلة على اختزان المعلومات، فهي تختزن ما يعادل نحو ٦٦٠ ميجابايت على كل قرص، وهو ما يعادل نحو ٣٥٠ ألف صفحة مطبوعة، مع إمكانات كبيرة لإضافة عدد من المؤثرات الصوتية والحركية. ويعني ذلك أن قراءة المعلومات الموجودة على هذا القرص سوف تستغرق نحو تسعة أشهر، وذلك بافتراض أن معدل القراءة سيكون صفحة واحدة في الدقيقة ولمدة ١٢ ساعة من القراءة يومياً(٤).

ومنذ بداية ظهور هذه التقنية حرص عدد من الشركات والمؤسسات الغربية على الاستفادة منها وقطف ثمارها، فشركة فورد على سبيل المثال استخدمت هذه التقنية منذ سنوات لنقل كمية كبيرة من المعلومات عن الصيانة وأنواع قطع الغيار مما أدى إلى خفض الكلفة من ٥٠ ألف دولار إلى ستة آلاف دولار. كما نجد أن شركة أخرى مثل كوداك وفرت الكثير من مصاريف اتصالاتها المباشرة بمكاتبها الفرعية، وخصوصاً لنقل البيانات اللازمة عن الجرد والذي كان يكلف الشركة ٣ر١مليون دولار أمريكي، فانخفض ليصل إلى مبلغ ٢٥٠ ألف دولار أمريكي فقط عندما استخدمت القرص المدمج لنقل البيانات المطلوبة(٥).



المعلومات تعبر القارات في كوكب لا يعرف النوم

وإذا كان الأساس المادي للكتاب هو أول ما يواجه القراء، فإن لهذا الجانب من حسن المظهر وجمال الشكل ما يجتذب القارئ ويجعله يأخذ طريقه إلى يده ثم إلى نفسه وعقله، وإلا فإن الكتاب سوف يبقى حبيساً في رفوف المكتبة ومخازن دور النشر. ولهذا فإن الأسس المادية للكتاب أصبحت في العالم المعاصر موضوع اهتمام الخبراء والفنيين في صناعة الكتاب في الدول المتقدمة. وقد استعان هؤلاء الخبراء بعلم النفس في بحوثهم ودراساتهم لكل مظاهر الجوانب المادية للكتاب(٦).

فتأثير القراءة والكلمة المكتوبة - كما يرى ماكلوهان - بدأ منذ اللحظة التي أنجز فيها جوتنبرج ابتكاره للحروف المتحركة والمطبعية، لأنها وسيلة اتصال جديدة في شكلها وطبيعتها وانتشارها. وقد ظهرت لكي تؤدي دورها المؤثر في التاريخ والحضارة وتغيير الإنسان والمجتمع، ومع أن الجميع قد أدركوا أن ظهور المطبوع كان إيذاناً بظهور تغيرات خطيرة، إلا أن هذه التغيرات تأخذ - في نظرية ماكلوهان - شكل ثورة كاملة في جميع المجالات، غيرت ملامح المجتمع الإنساني، وبدلت خصائص نفسية كثيرة لدى الإنسان، وشكلت علاقات جديدة، وخلقت أشكالا اجتماعية جديدة من خلال تراكم التأثيرات والتفاعلات، ومن خلال عمليات البناء والهدم معاً(٧).

ويرى ماكلوهان: «أننا نفتقر إلى فهم التأثيرات النفسية والاجتماعية للمطبوع، مما يحير أي دارس للتاريخ الاجتماعي للكتاب المطبوع، فمن النادر على مدى خمسة القرون الماضية وجود ملاحظة أو فهم واضح لتأثيرات المطبوع في وعي الإنسان وإدراكه»(٨).

اعتراض منطقي.. ولكن!

إن هذه التقنية والحلم الجميل مازالا في بدايتهما، ومازال هناك عدد من المعارضين لها إما عن جهل

بما توفره من إمكانات، وإما لعدم قدرتهم على التعامل مع التقنية الحديثة مقابل عادات تأقلموا معها وألفوها. فهذا بريان أوجير الموظف في مكتبة روكفيل العامة بولاية ميريلاند يراهن على أن الكتاب سيصمد. ويقول: «أريد شيئاً في إمكاني أن أحمله معي في الأوتوبيس، أو أقرأه في وقت متأخر من الليل أو أحمله معي إلى الشاطئ، وينبغي أن يكون رخيص الثمن ويقدم المعلومات. وهذا ما تفعله الكتب والمجلات»(٩).

وإذا كان براين يعترض على الكتاب الإلكتروني لأمور تعد منطقية لمن لم يطلع على التطورات الجارية في هذا المجال، فإن هذه المدرسة تورد أسباباً أخرى ترى من وجهة نظرها أنها جوهرية وكافية للتعلق بالكتاب الورقي والتشبث به، يقول السيد إيريك واليوس، وهو رئيس تنفيذي لإحدى الشركات المهتمة بالكتاب الإلكتروني، في الأسبوع الماضي جلسنا مع مديرة إحدى المدارس لبحث إمكان توفير نظام كتاب إلكتروني لطلبتها.. وبعد نقاش مطول وقائمة كبيرة من الأسئلة عن الموضوع كان ملخص رد فعل المديرة هو قولها: «أنت بحاجة إلى أن تفهم أن معظم طلبتنا ليسوا بالذكاء المطلوب لفهم هذه الأجهزة الفنية، ولذلك لن يكون لديهم الاستعداد لمثل هذا الشيء». ويضيف إيريك «حسناً.. بإمكاننا مناقشة هذا المنظور قليلاً باحثين درجة الذكاء الفني المطلوب للكتاب الإلكتروني محل البحث وما يتضمنه من إتقان لزرين (مفتاحين) وعدد قليل من الأيقونات، والمهم أنه، وخلال عرض لمجموعة من الأطفال من الصف الرابع الابتدائي ولمدة عشر دقائق، عرف هؤلاء الأطفال خلالها أكثر مما عرفت عنه مدرستهم»(١٠).

حلم أم واقع؟

إن ما يحدث اليوم من تطورات تشبه الحلم والخيال الذي بدأت تباشير حدوثه بالتحقق. فتصور نفسك - وقد أخلد الأطفال إلى النوم - تستلقي على أريكة في غرفة الجلوس، وتتناول قارئ الكتاب الإلكتروني على طاولة الشاي والذي يبلغ حجمه حجم غلاف كتاب غير سميك وهو بحجم كتاب ورقي الغلاف، ولكنه يزن ٢٢ أوقية (٦٢٠ غم تقريبا) ومن السهل أن يذهب معك إلى أي مكان تريده، إلى العمل، في الرحلات إلى شاطئ البحر وإلى السرير، تقرؤه كما تقرأ كتاباً ورقياً بالضبط. اكتب ملاحظاتك الهامشية وضع خطوطاً تحت أي عبارة أو فقرة، وضع علامة على آخر صفحة قرأتها. بل ويتوافر المزيد، فبوسعك أن تبحث في محتويات أي نسخة من النسخ المتوافرة على جهازك. وبالطبع فإن هناك تسليماً فورياً للكتاب الذي تشتريه ولا توجد تكاليف شحن. كل شيء تود قراءته سيكون جاهزاً وعلى بعد لمسة زر سحرية من أصابعك.

> على وزارة المعارف أن تتلمس ما يمكنها من الاستفادة من هذه التقنية الحديثة، وأن تكون سباقة لتطبيقها، وهذا التطبيق ليس ترفاً أو محاكاة للآخرين، وإنما هو ضرورة تفرضها الحاجات الملحة

وبالإضافة إلى كل الميزات التي يتسم بها الكتاب الإلكتروني فإن من السهولة نقله واستخدامه، فهذا الجهاز الصغير يستوعب ١٥٢٠٠ صفحة، أي إنه يتيح لك الفرصة لإمساك نحو من ٤٠ كتاباً أو وثيقة في راحة يدك. وكل ذلك يزن فقط ٢٢ أوقية (٦٦٠غم تقريباً). إذا لم توجد كابلات أو أسلاك فبوسعك أن تستلقي على الأريكة بالطريقة التي تريدها. له غلاف جلدي جميل تشعرك بأن شيئاً ثميناً بين يديك(١١). وعندما تفتحه وتضغط على زر التشغيل، تعرض لك الشاشة الصفحة التي توقفت عندها من آخر كتاب كنت تقرؤه.

الصفحات المعروضة في قارئ الكتاب الإلكتروني هي نصوص سوداء جداً وألوانها نابضة بالحياة على خلفية بيضاء. وفي الواقع فإن الصفحات المعروضة في قارئ الكتاب تبدو متماثلة مع النسخة الأصلية للكتاب نفسه، وذلك بالنسبة إلى أسلوب كتابة الأحرف الطباعية وتخطيطها.

وإذا أردت قلب صفحة جديدة فما عليك إلا أن تضغط الأزرار الأمامية أو الخلفية الموضوعة على جهاز القارئ. ويمكن التركيز في الكلمات واختيار الأوامر؛ وذلك بالقيام بلمسات خفيفة على الشاشة.

أبلغك أحد الأصدقاء أن أحد الكتّاب الذين تتابع نتاجهم نشر كتاباً جديداً الآن، وأنك شغفٌ بقراءته، فما عليك إلا أن تضغط على زر المكتبة الافتراضية الموجود في جهاز القارئ.
وقد تم تصميم هذا الجهاز ليكون رخيص الثمن بقدر الإمكان، فهو لا يمتلك وصلة إنترنت خاصة به أو تخزيناً دائماً إلا لبضع عشرات من الكتب. وعلى أية حال فأنت أيضاً لديك جهاز رفوف كتب للكتاب الإلكتروني الذي يوفر كلاً من هذه الوظائف. ورف الكتب هذا هو صندوق صغير يتصل مباشرة مع الإنترنت.

يتصل قارئ الكتاب الإلكتروني مع رف الكتب الموجودة لديك؛ وذلك بواسطة الأشعة تحت الحمراء، مما يشبه كثيراً جهاز الريموت كونترول المستخدم للتلفاز إلا أنه أقوى منه قليلاً؛ وذلك لوصل رف الكتب مع الإنترنت، وبذلك، وخلال بضع ثوان لعرض جهاز قارئ الكتاب الإلكتروني موقع الإنترنت لرف الكتب على الخط المباشر حسب اختيارك، وبعد قراءة وصف للكتاب تقوم بضغط زر «أشتريه» وتختار شكل الكتاب الإلكتروني. إنه لشيء عظيم أن تنشر نسخة الكتاب الإلكتروني في وقت متزامن مع نسخة الكتاب الأصلي، وبما أنه لا يوجد ورق أو طباعة أو شحن فإن تكلفة الكتاب الإلكتروني أقل من تكلفة الكتاب الأصلي، ومن ثم تدخل رقم بطاقة الائتمان فينزل الكتاب فوراً إلى جهاز القارئ. وما دام أن جهاز القارئ يمكن أن يستوعب عشرات الكتب، والكتب الإضافية لا وزن لها، فإنك تقرر أن تحصل على كتاب آخر لرحلتك غداً. تختار أمر «استعر كتاباً» لتتصل بموقع المكتبة العامة في مدينتك. تختار كتاباً ثم تلمس مفتاح «ادفع الثمن» فينزل الكتاب فوراً إلى قارئ الكتاب الإلكتروني يمر الوقت حتى تصبح في وقت متأخر؛ ولذلك تقوم بإغلاق قارئ الكتاب الإلكتروني وتأخذه معك إلى غرفة النوم، فتومض الصفحات معجم الأماكن ليبين لك أن سقط اللوى موضع في....إلخ» ثم تواصل القراءة.

وبينما ترتب الأمور لمشوارك غداً صباحاً تقرر أنه من الملائم إحضار الكتاب الذي أحضرته العام الماضي بموجب الاتفاق على مناقشة موضوع معين، وتذهب إلى الغرفة مصطحباً معك رف الكتاب الإلكتروني، وتفتح القارئ، وتختار أمر تصفح رف الكتاب. وتعرض



تكلفة الكتاب الإلكتروني أقل من تكلفة الكتاب الورقي

وميضاً خفيفاً، فأنت لا تريد إزعاج من ينام معك سواء بالضوء أو بصوت تقليب الصفحات.

ونبدأ بقراءة الكتاب، وهو كتاب عن المعلقات العشر، وتبدأ في قراءة معلقة امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدَّخول فحومل

وعندما تشكل عليك بعض الكلمات تضع المؤشر على «سقط اللوى» فينقلك الحاسب مباشرة إلى قائمة الكتب الإلكترونية في منزلك؛ وببساطة تقوم بلمس مفتاح البحث وإدخال (سبل التفاوض)، فيعرض عنوان الكتاب الذي تبحث عنه فوراً، فتقوم بلمس مفتاح (ضع في القارئ)، وعندها ستكون جاهزاً للسير في مشوارك. لقد دخل ابنك هذه السنة المدرسة الثانوية واشترى نسخاً لكتب إلكترونية لجميع مقرراته المدرسية. إن كل ما سيحتاج إليه هو هذا الجهاز الصغير

الذي يتيح له كتابة حواش إضافية على الكتب طوال الفصل الدراسي. وأخيراً حان الوقت للعودة إلى المنزل، وتود أن تسترخي في رحلة العودة، وأن تقرأ رواية لأحد الكتاب المشهورين، وبينما أنت في حالة انتظار الطائرة تأخذ بتقليب صفحات أحد قوائم أفضل بائعي الكتب في (كشك) لشراء كتاب ونقله لاسلكيا ومباشرة في جهاز القارئ(١٢).

متعة وملاءمة

وإذا كان من غير المحتمل أن تحل الكتب الإلكترونية تماماً محل الكتب الورقية، إلا أن عملية شراء الكتب واستعارتها وإعادتها بواسطة هذه التقنية أصبحت أكثر ملاءمة وإمتاعاً للقارئ.

ففي الوقت الذي قد لا تستغني فيه أبداً عن النسخ الورقية لبعض الكتب الثمينة، فإن هناك أسباباً متعددة لقراءة الكتاب الإلكتروني فمثلاً:

بإمكانك إنزال الكتب الإلكترونية إلى الحاسوب الصغير من دون أقراص بدلاً من التجول حاملاً كتباً ورقية ثقيلة. بالإضافة إلى أن معجم الكتاب الإلكتروني المثبت في صلب الحاسوب يعد مفيداً بشكل خاص لدى قراءة المواد الفنية أو المتعلقة بقطاع الأعمال، ويعدّ كذلك ملائماً للذين يسافرون كثيراً. وإذا كنت تواقاً إلى قراءة الكتب فبوسعك إشباع رغبتك بإنزال الكتب وقراءتها فوراً بدلاً من انتظار شحنها لك أو زيارة المكتبات التجارية لاقتنائها.

كما توفر تقنية قارئ الكتاب، باستخدام مقوم الإعارة في الكتاب الإلكتروني + القارئ، للمرء أن يعير كتاباً إلكترونياً لأي شخص آخر يستخدم أيضاً قارئ الكتاب الزجاجي، ومثل الكتاب الورقي لا يوجد إلا نسخة واحدة عاملة، وحالما تنتهي مدة الإعارة فإنك تستعيد حقوقك، وتستطيع أن تقرأه أو تعيره ثانية.

وبطبيعة الحال، فإن ما تكلمنا عليه سابقاً ليس مجرد أحلام يقظة أو خيالات كاتب روائي، وإنما الأمر حقائق ووقائع بدأت تأخذ طريقها إلى التطبيق العملي من خلال هذه التقنية التي ستوفر علينا الكثير من الجهد والوقت والمال. وما دام الأمر بهذه الصورة المبهجة فإن علينا أن نتحرك وأن نستفيد من معطيات يمكن أن يكون لهذه التقنية تأثير مباشر فيها. فلو تصورنا مقدار المبالغ التي تصرفها وزارة المعارف سنوياً على طباعة المقررات الدراسية، ومقدار الجهد البشري المبذول فيها، والوقت الطويل الذي تحتاج إليه لإجراء أي تعديل بسيط على منهج من المناهج، لعرفنا مقدار ما سيتم توفيره من جهد ووقت ومال لو تمت الاستفادة من هذه التقنية وتسخيرها لخدمة خطط التطوير التربوي الذي تسعى وزارة المعارف جاهدة إلى تطبيقها. إن الواجب على أن نتلمس ما يمكنها من الاستفادة من هذه التقنية الحديثة، وأن تكون سباقة لتطبيقها، وهذا التطبيق ليس ترفاً أو محاكاة للآخرين، وإنما هو ضرورة تفرضها الحاجات الملحة لما ترنو إليه الوزارة من تطوير سريع يتواكب مع معطيات العصر ومتطلباته.

لنتصور لو تم استثمار الأموال التي تصرف على طباعة الكتب والمقررات الدراسية في تكوين مكتبة إلكترونية، وشراء جهاز كتاب إلكتروني لكل طالب. إن مثل هذا الإجراء سيوفر الكثير من الوقت والجهد والمال، وسيساعد على دفع العملية التعليمية وتطويرها إلى ما نصبو إليه.

المراجع

١. إبراهيم نويري، قيمة الكتاب في الحضارة الإسلامية، مجلة الفيصل، ع ٢٣٧، (ربيع الأول ١٤١٧هـ - يوليو/أغسطس ١٩٩٦م، ص ٧٢ - ٧٣.
٢. ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دمشق: دار ابن كثير، مج ٤، ص ٢٩٣.
٣. نقولى بطرس، تحدي الإنترنت لمستقبل العالم العربي في القرن الحادي والعشرين، مجلة الكمبيوتر والاتصالات والإلكترونيات، (مارس ٢٠٠٠م).
٤. محمد محمد أمان، ياسر يوسف عبدالمعطي، النظرة الآلية والتقنيات المتطورة للمكتبات ومراكز المعلومات، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٩هـ، ص ٢٥٤.
٥. المرجع السابق، ص ٢٥٦.
٦. محمد أبو العلا أحمد، الأسس الفنية والنفسية للكتاب، صحيفة المكتبة، مج ٣، ع ٣ (يناير ١٩٧١م)، ص ٥١.
٧. كمال محمد عرفات، حضارة الكتاب: نظرية في التأثيرات الحضارية للطباعة والثقافة السطرية القرائية، مجلة المكتبات والمعلومات العربية، س ٥، ع ٢، (أبريل ١٩٩٥م) ص ٩
8 - M...han, m. Understanding media: the extensions of man - N.y., The New Am. Lib., 1966 - p.156.
٩. الكتاب ما زال فوق عرشه، مجلة النور، س ١٢، ع ١١٩ (ربيع الآخر ١٤١٥هـ - أكتوبر ١٩٩٤م)، ص ٦.
10 - Eric Walusis. Invasion of the Technology Snatchers.- www. ebooknet
11 - A look at the future of electronic books. www. glassbook. com
12 - http:/ www. rocketbook. com/ products/ index. html

تحقيق

البحث عن المغول

بقلم: مايك إدواردز

تصوير: سيسي برمبيرغ

ترجمة: فؤاد حمد رزق فرسوني

الرياض - السعودية

تدافعت جحافل فرسانهم باتجاه سهوب أوربا نحو سبعمئة سنة قبل الميلاد مثيرة النقع والجلبة، وسادوا، ولم يقهروا طوال أربعة قرون، وقد كون هؤلاء المغيرون ثروة هائلة من الغنائم التي كانوا ينهبونها، حتى زينوا خيولهم بالذهب، ثم تلاشى القوم على نحو غامض مخلفين وراءهم حكايات بأسهم وقسوتهم، ومدافنهم المهيبة المجهزة بسخاء وبذخ للحياة الأخرى الأبدية حسب معتقداتهم.

ترجمة: فؤاد حمد رزق فرسوني

برزت آثارهم المكتشفة في لحظة خاطفة، ثم توارت في الظلام، كانت البداية في حفيرة غدت بركة موحلة، لم تغن المجارف في نبشها، مما اضطر علماء الآثار إلى استخدام أيديهم للبحث فيها، حتى عثروا على شيء يتلألأ ثانية، وتذكر يفجيني شيرننكو أنه كان وجه حيوان صغير ظهر وكأنه يحدق فيه.

ثم أتى شيرننكو بهلال من الذهب عرضه اثنتا عشرة بوصة، بدا في يديه المرتجفتين بعد غسله وكأنه صُدْرة أو حلية للصدر، حاملاً ثمانية وأربعين من الرسوم التفصيلية للإنسان والمخلوقات الأخرى التي ضمت الغرافين Griffin(١) المجنحة، والخيل، والأسود، والأغنام، والجنادب، مما لم تقع عيننا عالم آثار على مثيل له من قبل.

وهكذا كان هذا الكشف الأثري في أوكرانيا من أعجب الحليّ عند المغول الذين كانوا قوماً رحّلاً متمتعين - على الرغم من همجيتهم - بحس جمالي تعكسه حليّهم الذهبية.

إن هؤلاء القوم الذين هاجروا من آسيا في القرن السابع قبل الميلاد، كانت لهم الهيمنة على رقعة كبيرة من السهوب الأوربية. إذ امتدت حدود مملكتهم - في أوج عظمتها - من الدانوب شرقاً شاملة أوكرانيا، وكريميا، وروسيا، حتى نهر الدون وجبال القوقاز.

ولندرة المعلومات عن المغول، فإن كثيراً من آثارهم لم تكتشف بعد.

لقد لبث المغول في الظل أكثر مما لبثوا في الضوء لذا لم يكشف علماء الآثار الكثير من المعلومات عنهم، والسؤال: عما إذا كانت لهم عاصمة أيام ازدهار ملكهم في سهوب أوربا؟ وما سبب التقهقر المفاجئ لإمبراطوريتهم؟ إذ لم يخلّف المغول سجلاً موثقاً يجيب عن هذا التساؤل: هل تلاشى المغول كلياً؟

لقد تمت مقابلة أناس يتحدثون بلغة إيرانية كالتي كان المغول يستخدمونها، ويتبعون تقاليد مغولية منها - على سبيل المثال - احتفاظهم بتوقير خاص للنار، وهم يقطنون في أطراف مملكتهم الواقعة في جبال القوقاز.

وعندما عثر شيرننكو وزملاؤه على الصُدْرة الذهبية الأثرية عام ١٩٧١م، كان علم الآثار في الاتحاد السوفييتي وقتها في عصره الذهبي، إذ توافرت الأموال اللازمة للأعمال والبحوث الأثرية، بيد أن الوضع - للأسف - مختلف في الحاضر. فمنذ تفكك الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م، عانى العلماء من شتى التخصصات فقراً في إمكاناتهم؛ ولكن لا يزال هناك قلة من علماء الآثار الذين استطاعوا أن يواصلوا البحث عن إجابات عن كثير من الأسئلة المحيرة، وأتيح لي(٢) خلال هذا الموضوع خلال



المدافن مواقع تؤمن العلف لمواشي المتوفين في عالم الحياة الأخرى.
تمكن المنقبون عن الآثار بالاستعانة بالجرافات من الكشف عن قبر في جنوب روسيا. وغالباً ما كان المغول يقتطعون قطعة من أديم الأرض المعشبة من مراع منتقاة لدفنها مع المتوفى لتوفير الرعي لمواشيه في عالم الحياة الأخرى، فمواقع المدافن مرتبطة بهذا المضمون، وهي بمنزلة مراع رمزية، باعتقاد أحد العلماء









تستحق هذه الصدرة التي تزن ٣٫٣ باوندات أكثر من وزنها ذهباً، وقد بقيت تحتفظ بألق الحياة المغولية اليومية، استخرجت من قبر موجل عام ١٩٧١م، ولا يزال تحليل رموزها يشغل اهتمام العلماء

شهرين من العيش في أراضي مملكة المغول أنْ أشاهد بعض علماء الآثار على رأس العمل، وأشاركهم الآمال والإحباطات.

داريوس يؤدب الغزاة

زوّدنا الكتّاب الإغريق، خاصة هيرودوتس، بالمعلومات الأولية عن المغول؛ لقد كانوا محاربين قساة من طراز فريد وفق ما أوردته الكتابات التاريخية، إذ كانوا يصنعون كؤوس الشراب من قحاف جماجم ضحاياهم.

وجذب هؤلاء القوم الرّحل انتباه الملك داريوس الأول ملك فارس، الذي قطع أكثر من ألف ميل في إثرهم عام ٥١٣ ق.م مستهدفًا تأديبهم، وقد يكون داريوس قد استهدف من فعله تأمين حدود إمبراطوريته من غارات الغزاة ـ كما يعتقد شيرننكو ـ وحظر تموين الحبوب لأعدائه من إغريق أثينا وغيرها من دول المدن الأخرى وحلفائهم في جزر بحر إيجه. لم يكن المغول مزارعين، لكنهم ربما سيطروا على تجارة الحبوب حول البحر الأسود، حيث كانت توجد عدة مستوطنات إغريقية.

ومع تقدم جيوش داريوس في إثرهم، أخذت حشود المغول في التراجع، بحماية حرس المؤخرة التي أشعلت النار في السهوب. وذكر هيرودوتس أن داريوس بعث رسالة ملكية إلى الحاكم المغولي إيداثيرسوس طالبه فيها بوقف الفرار وخوض القتال، فأجابه بأن المغول لا يملكون مدنًا أو حقولاً زراعية يدافعون عنها، بينما لهم مقابر آبائهم، وتحدّى داريوس بأن يدهمها ويحاول تحطيمها، وعندها سيعرف هل كانوا سيخوضون القتال دفاعاً عنها! وذكر هيرودوتس أن داريوس قد لاحظ أن جموع المغول قد اصطفت للمعركة، فنشر الآلاف من جنوده استعداداً للهجوم، غير أن المغول تجاهلوا هذا العرض العسكري المبطن بالتهديد، وبينما هم ينتظرون هجوم داريوس، شق بعض أفرادهم صفوف جنود داريوس يطاردون أرنبًا، فأثاروا الهلع، فتوقف داريوس عن مهاجمتهم، وقفل راجعًا بجنوده.

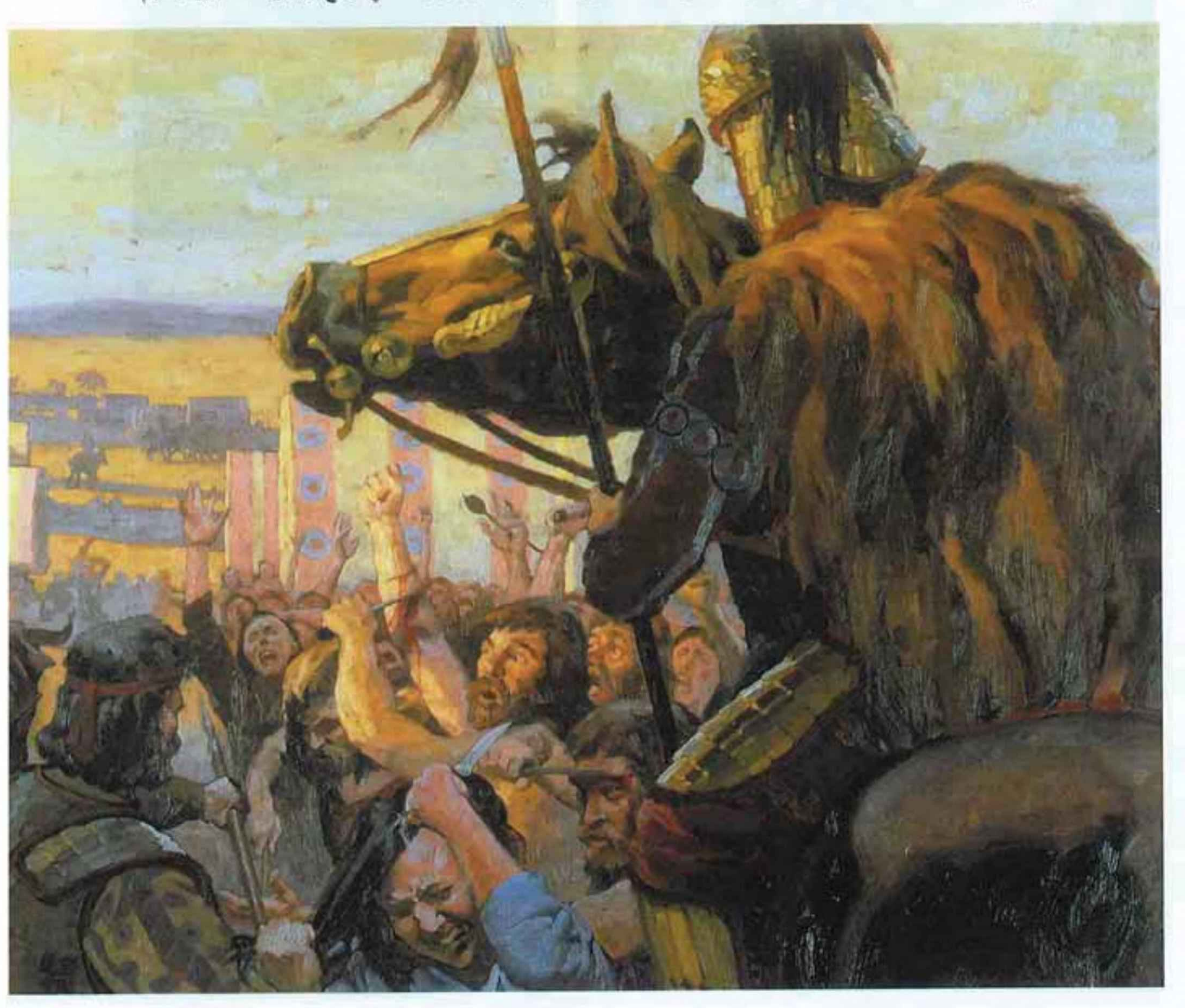
لا يستطيع أحد أن يحدد على وجه الدقة الموقع الذي يفترض أن يكون قد شهد هذه الأحداث، لكنني أميل إلى الاعتقاد أنه ليس بعيدًا عن نهر دنيبرو (المسمى أيضاً دنيبر) في أوكرانيا. ووجهة النظر التي رجحها أن موقع الأحداث السابقة كان في هضبة مرتفعة وسط مساحة من كيل مربع من الأرض المزروعة بنبات دوار الشمس، يصل ارتفاعها إلى أربعين قدماً، وكانت بارزة وسط السهوب الممتدة أمام البصر كالبساط. وقد رجح وجود مثل هذه الهضاب المسماة بالكورجانات ـ أي هضاب المدافن ـ مواقع القبور التي تحدّى (إيداثيرسوس) داريوس أن يحطمها. كانت تلك

الهضاب ترتفع إلى خمسة وستين قدماً، وكانت كثيرة جنوبي منطقة دنيبرو، حيث سادت دولة الملكيين ـ كما أطلق عليهم هيرودوتس. وقد تناثرت آلاف الهضاب الأخرى الكبيرة والصغيرة منها في بلاد المغول الشاسعة. ولا يزال يوجد منها الكثير إلى وقتنا الحاضر. وعلى مقربة من نهر دنيبرو أسفل هضبة تعرف تولستايا موغيلا أي الهضبة الكبرى، عثر شيرننكو على الصدرة الذهبية العجيبة.

اللصوص ينهبون المدافن

كانت الهضاب الكبيرة منذ أمد بعيد بما فيها من قبور عرضة لهجمات اللصوص الذين يحفرون فيها حتى يصلوا إلى محتويات القبور فينهبوها. وقد توصلوا إلى إحدى حجرات الدفن وجردوا المدفونين من الحلي. بينما كانت هناك مجموعتان أثريتان نفيستان في هذه الحجرة تنتظران وصول علماء الآثار إليهما. وقد استخرج شيرننكو الصدرة خلال بحثه في طين الحفيرة، واستنتج أن موقعها كان في فجوة ضحلة في أرضية القبر، وعثر فيه كذلك على سيف في غمد مكسو بالذهب.

وقد اكتشف علماء الآثار في أحد جوانب حجرة الدفن الرئيسة حجرة ثانية لم تتعرض للنهب، وقد سجيت فيها امرأة عليها زينة وافرة مكونة من: تاج ذهبي، وأساور ذهبية، وخواتم ذهبية في جميع الأصابع. وقد بلي ثوبها، بينما لا تزال تعلو جمجمتها الصفائح الذهبية التي كانت قد خيطت على قماش غطاء الرأس. والقبر الذي احتواها كان القبر الوحيد الذي سلم من النهب. ولم تكن هضبة تولستايا موغيلا التي ترتفع أربعين قدماً كبيرة بحجم





مسابقة لاختبار القوة في أوكرانيا

رجال إستينيون تجمعوا في حقل بعد جنازة لرجل منهم، وهذا تقليد مستمر منذ أيام المغول

بعض الهضاب الأخرى على مقربة من نهر دنيبرو، ولم تكن منطقة المدافن فيها متسعة. فقد عثر علماء الآثار في أسفل أكبر الهضاب على ثماني حجرات دفن؛ لذلك يُعتقد أن هضبة تولستايا موغيلا كانت مكان مدفن زعيم محلّي لا ملك، كما يعتقد أن المرأة المدفونة هناك هي زوجته.

وكانت بعض القطع الذهبية بها صور مثلت ألغازاً لأشكالها الغامضة كالقبعات التي لا تلائم رؤوس الكبار لصغرها.

وأخبر شيرننكو أنها قد تكون أشياء شعائرية ذات علاقة بالكهنة تُرفَع على سنادات في أثناء الاحتفالات - ويثور التساؤل حول هوية المدفونين في تولستايا موغيلا؟.

صاغها الإغريق لا المغول

تجدر الإشارة إلى أن المؤرخين على علم بأسماء



موقع بجنوب روسيا ترك فيه الناهبون القدامى عظام الجياد النخرة، والأواني الخزفية، والأشياء الصغيرة الأخرى، وقد عثر بالمصادفة على جثث بعض اللصوص المخلفة في أنفاق متهدمة

مجموعة من حكام المغول وذرياتهم، ومنهم على سبيل المثال أتاياس الذي ضرب العملة لإظهار سلطانه. لكن من بين عشرات هضاب المدافن التي استكشفت، هناك ثلاث منها فقط لها ارتباطات بأشخاص معروفين عند المؤرخين.

إن قطع الذهب الفخمة المكتشفة في المدافن لم تكن من صنع المغول أنفسهم، ويشير شيرننكو إلى أن طبيعة حياة المغول وكثرة تنقلهم لم تكن تسمح للحرفي أن يستقر فترة طويلة في ورشته ويرجح أن يكون الصنّاع ممن عرفوا حياة المغول، وأن معظم الحلي قد صاغها في أغلب الظن صاغة إغريق في منطقة البحر الأسود. ويذهب شيرننكو إلى أن هيئة صياغتها كانت تتم بالتشاور بين أصحابها وصاغتها قبل شغلها. وكان للمغول علاقات تجارية مع الإغريق، ومن سلع التجارة الخمرة التي عثر على قواريرها في مدافنهم إلى جانب الآنية الفخارية أيضاً. وقد ترك المغول سجلاً مقروءاً بهذه السلع؛ فقارورة الخمرة كانت تحمل علامة الصانع أو المراقب مختومة على الفخار.

وبوسع علماء الآثار أن يستعينوا بقوائم (كتالوجات) العلامات المختومة تحديد تاريخ القبر ذي العلاقة لمدى يراوح بين عشر وخمس عشرة سنة. كما أن من الممكن تأريخ الفخار من دراسة طرازه.

لم يعثر في مدافن تولستايا موغيلا على بقايا قوارير خمرة مؤرخة، غير أنه عثر بجوار القبور على أطباق مطلية كتلك التي كانت مستخدمة في أثينا عام ٣٥٠ق.م حتى عام ٣٢٠ق.م.



عالم آثار يتفحص تابوتاً ويدرس مدفناً لم يتعرضا للنهب في كريميا التي ينتشر فيها لصوص آثار القبور في الوقت الحاضر

آثارهم تدل عليهم

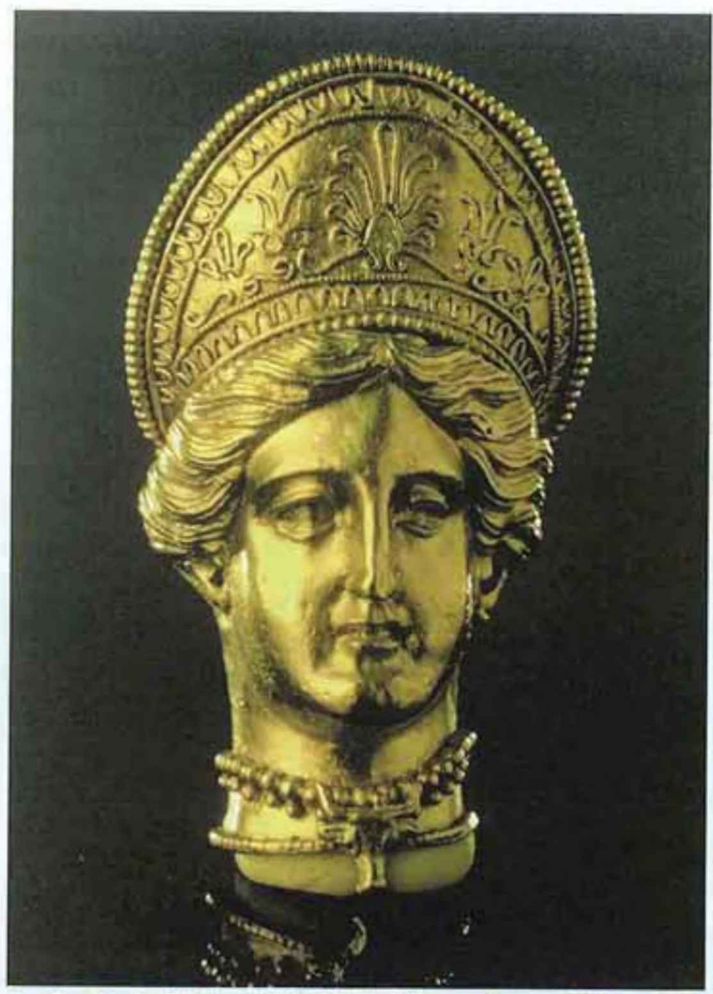
وتكشف آثار هضاب المدافن التي عثر عليها عن امتلاك المغول سرابيل قتال، بما فيها من دروع ذات حراشف معدنية مقاومة للسهام مخيطة على الجلد. وأنهم استخدموا السيوف الحديدية، (وكانت سلعة جديدة وقتها). وصنعوا رؤوس السهام من الحديد أيضاً، وكذلك من البرونز والعظام، وكانت أكثريتها شائكة (ذات شوكة) لتمزيق اللحم عند نزعها منه.

وفي ذات يوم سمح لي في مدينة كييف أن أدخل القبو المغلق للمعهد الأوكراني للآثار، حيث شاهدت جنادي يفدو كيموف ـ صاحب عدد كبير من الاكتشافات الأثرية ـ يفتح صندوقاً يحتوي على أخشاب محفوظة، ومع أنها كانت شذرات، فإنها كانت ثمينة فهي قوس سهام مغولي، يتوافر إلى جانبه قوسان مكتشفان فقط؛ وهذا القوس مصفح باستخدام شرائح من الصفصاف، وجرار الماء مثبتة بغراء السمك. ويصل طوله إلى اثنتين وثلاثين بوصة، وهو مزدوج الثنية بشكل الحرف اليوناني سيغما. وقد ورد في نقش يوناني محفور على حجر في قرية أولبيا التجارية (قريباً من البحر الأسود) وصف لقوس انطلق منه سهم إلى مسافة خمسمئة وسبعين ياردة، وينطبق عليه صفات القوس الموصوف آنفاً. ـ وهذا أمر مدهش لو صح!

لقد شاهدت وجه نبيل مغولي يعيد تشكيله بالجص نحّات، عن جمجمة يرجع تاريخها إلى أكثر من ألفين وستمئة عام، وكان الوجه طويلاً، وعظام الصدغين بارزة، وشكل الأنف رفيع حاد؛ وكان ذلك في متحف ستافروبول، وهي مدينة قريبة من جبال القوقاز. وكانت معي فلاديميرا بترنكو، وهي جدة وقورة، وقد وقفت على افتتاح أعمال التنقيب في اثنتي عشرة هضبة من هضاب المدافن (الكورجانات)؛ وقد قالت: إن الوجه الموصوف «وجه من شمال إيران»، بينما قد يرى آخرون: أنه «وجه هندي أوربي».

كانت الجمجمة لشخص مهم كما يبدو واضحاً من القبر الذي استخرجته منه فلاديميرا. وكان الميت قد دفن مع مجموعة من الأسلحة وتسعة جياد لخدمته في عالم الحياة الأخرى ـ حسب اعتقادات القوم ـ، ويظن أن الجياد قد قتلت قبل إغلاق القبر الضخم. ووجدت مع جماجم الجياد قطع برونزية للجام؛ وعثر في القبر الآخر على ما يشبه بقايا مركبة، وأجراس كانت تدق مع جريان المركبة.

وكان دفن الجياد عادة من عادات المغول الكثيرة التي تطرح أن ثمة علاقة ثقافية وارتباطاً عشائرياً وصلة نسب بين المغول والأقوام (البدو) الرُحل الآخرين؛ كالبازرق PAZYRYK المعروفين لعلماء الآثار، ويعتقد أن تقديس النار بسبب العلاقة العشائرية نفسها.



قرط بحجم الكشتبان يحمل صورة آلهة مغولية كما تخيلها صانع إغريقي. عثر عليه بعد أن غفل عنه سراق الآثار الذين نهبوا كنوز أحد المدافن قرب مدينة فليكا بيلوزيركا

أسفر تنقيب فلاديميرا في إحدى هضاب الدفن عن العثور على ضريح حجري مع موقد مسود. وفي منطقة ستافروبول استهل العهد المغولي وجوده في السهول الأوربية في النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد.

وترى فلاديميرا أن المغول وجدوا في آسيا الوسطى ثم هاجروا غرباً طلباً لمراعٍ أفضل، وبحثاً عن أقوام يغزونهم. وعند عبورهم جنوب غرب آسيا، نهبوا نينوى وبابل وغيرهما من المدن بل إنهم أغاروا على فلسطين أيضاً. ويعتقد بعض المؤرخين أن النبي أرميا حذر بني إسرائيل من محاربين قادمين، وهم قساة لا يعرفون الرحمة، وأصواتهم كهدير البحر، ويمتطون الجياد، مصطفون متأهبون للقتال. وعند وصول المغول إلى السهوب، شعروا بالبهجة لمرأى السهل المترامي الممتد أمامهم، إذ كان بساطاً من العشب الأخضر الوافر، فكان المكان الأمثل لحياة مثل هؤلاء الفرسان الذين يربون الماشية والأغنام والماعز.

وفي ذات يوم رافقت مدير متحف ستافروبول نيكولاي أوكهونكو إلى غابة ملتفة ذات تضاريس مختلفة، وسرنا فوق حاجز عريض منحنٍ من التراب والحجارة؛ يبدو أنه سور مدينة. وقد قال نيكولاي: إن هذا المكان كان مأهولاً قبل وصول المغول، ولكن لم نعرف هوية القوم الذين كانوا فيه، إلا أنهم يوصفون إجمالاً بأنهم ذوو علاقة بحضارة الكوبان Koban، والتسمية هنا جغرافية محلية. ويعتقد أنهم قاوموا الغزاة، لأنه قد عثر في المقابر على جماجم اخترقتها رؤوس السهام المغولية واستقرت فيها؛ وعلى مر الزمن اختلط الغزاة مع مواطني البلاد. وامتزجت الفخاريات الكوبانية في الأرض بالجرار المغولية، بأشكالها البسيطة. ولا يتوافر في الفخاريات المغولية ما يميزها، ولكن من المعروف أنه عندما ازدهرت تجارة المغول مع الإغريق استوردوا الزُّهريات والصحون اليونانية الجميلة التي وجد الكثير منها في مدافنهم. وشارك شعب الكوبان في التوسع المغولي غرباً حتى وصل إلى أوكرانيا في القرن السابع قبل الميلاد.

وذكر يفجيني شافشنكو أن كل قبر يشبه وليداً جديداً، أي إنه يقدم أملاً جديداً، وإثارة، بل ربما خيبة أمل أيضاً.

يفجيني وفريقه

كان المنقبون يعيشون في العراء طوال الأسبوع الذي انقضى مع يفجيني وزملائه في منتصف الطريق إلى نهر الدون على بعد ستين ميلاً جنوب مدينة فورونيش؛ وفي روسيا يعد هذا المكان الحد الشمالي الشرقي للنفوذ المغولي، حيث لم تعد السهوب بساطا من



العشب الأخضر، بل من الشجر.

وفي الوقت الحاضر، فإن الغابة المذكورة آنفًا قد أزيل معظم غطائها الشجري، واختلطت تربتها السمراء بالدّبال. ومع أن هضاب المدافن المغولية كانت كثيرة، فإن أواسط منطقة الدون كانت مأهولة على نحو رئيس من جانب مجموعة أخرى خاضعة لسلطان المغول، ومن المحتمل أن يكون أولئك من البودينيين BUDINI الذين وصفهم هيرودوتس بأنهم أصحاب عيون صافية وبشرة محمرة. ويعتقد بعض العلماء أن البودينيين كانوا في الحقيقة من الفينو أوجرانيين Finno Ugrians، أجداد الفنلنديين Finns، والشعوب ذات الشعر الأشقر في سيبريا.



تحفتان مذهبتان لفارسين مغوليين على جواديهما



صورة مطلية بالذهب لأعداء يتحاربون، وجدت على قمة قبر عمره ٢٤٠٠ سنة، استخرجت من مدفن مغولي. وقد وصف هيرودوتس المغول بأنهم مقاتلون مرعبون ساديون. لقد كانوا يصنعون عباءاتهم من فروة رؤوس ضحاياهم، ويستخدمون قحوف جماجمهم كؤوسًا للشراب

قام فاليري جوليف بتنفيذ أولى الحفريات الأثرية على امتداد نهر الدون قبل خمسة وثلاثين عامًا، ورسم صورة لحركة تجارية نشيطة عبر النهر. وكشفت الحفريات الأثرية عن الخمرة وزيت الزيتون والحلي الذهبية والمرايا البرونزية الإغريقية، والخرز الملون المصري التي كان يتم نقلها عبر نهر الدون، وقد يكون تبادلها مقابل الحبوب والفراء وشمع النحل والرقيق المتوافر عند المغول.

كان فاليري رائد الكشف الأثري وسط منطقة نهر الدون قد تلقى تمويلاً شحيحًا من جانب أكاديمية العلوم. وبينما كان الطلبة وعلماء الآثار الآخرون ينصبون الخيام، كان فاليري ينفق بعض روبلاته القيمة في استئجار جرافة لاستخدامها في مزرعة تعاونية، وعادة يستخدم علماء الآثار السوفييت الجرافات لأن القبور، وهي الكنز المطلوب، مدفونة





جياد أوكرانية

على عمق عدة أقدام تحت الركام.

تفشى في المخيم خبر وجود قبر كبير عندما أخذت قطع صغيرة من سقف القبر الخشبي تظهر، وأصبح محيط الحفرة واضحاً للعيان، وبلغ عرضها واحداً وعشرين قدماً.

وبعد مرور ثلاثة أيام ساد الظن أن محتويات القبر لم تتعرض للنهب، لأن تجريف الجرافة لم يكشف وضع التربة الذي أحدثه عبور اللص للقبر. وكانت المعنويات مرتفعة ومشوبة بالترقب لأن وجود مدفن كبير وسليم في آنٍ واحد، حالة نادرة بالفعل.

وكان المشاركون يصارعون البعوض، ويتغذون على لحم الضأن والمعكرونة التي أكسبها الطباخ الماهر المرافق مذاقاً جميلاً بإضافة الكمأة الملتقطة من الغابات، وكان أمامهم نهر ماء قارس للاستحمام؛ وبالتأكيد فإن الحياة المغولية لم تكن مختلفة كثيراً عن حياة فريق التنقيب الأثري بما فيها من: خيام، ولحم ضأن، وبعوض.

وقد سألت علماء الآثار عن وضع المرأة المغولية، وأجاب يفجيني سافشنكو أنه يعتقد أنها تمتعت بالمساواة مع الرجل، واستدل على ذلك بالقبور الكثيرة التي وجدت فيها الأسلحة موضوعة إلى جانب جماجم النساء. وذكر أنهم وجدوا في السنة المنصرمة امرأة مدفونة ومعها رماح وثلاثون سهماً، مما دفعه إلى الاعتقاد أن النساء كُنّ شقائق الرجال في القتال.

أجاب فاليري جولييف بتحفظ: أنّ الكُتّاب الإغريق لم يتطرقوا إلى ذكر النساء المحاربات عند المغول، ومن المفترض أن يتم تسليحهن للدفاع عن المكان الذي يقطنون فيه، خاصة عند غياب الرجال بعيداً عن المكان.

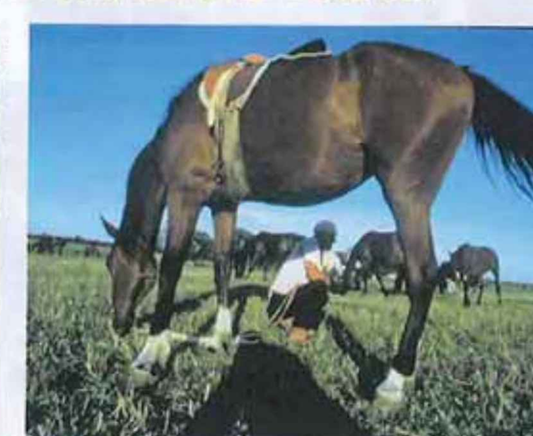
وفي اليوم الرابع توقف عمل الجرّافات، وأخذ الرجال ينقبون

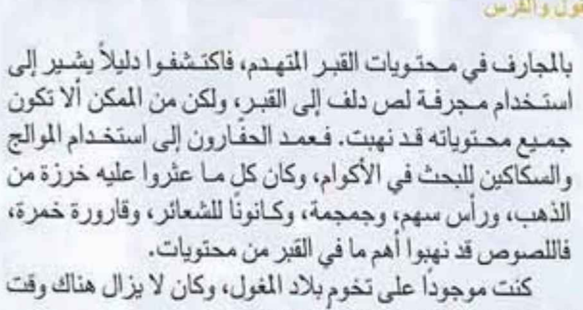


المغول- مع أن اسمهم قد أصبح مضرب المثل على المحاربين الهمجيين إلا أن هذا الشعب الذي يكتنف تاريخه الغموض قد فعل أكثر من النهب والإحراق. ففي أوج قوتهم في القرن الرابع قبل الميلاد، كانت لهم الهيمنة على منطقة شاسعة شملت معظم أراضي أوكرانيا الحديثة، وسهول جنوب روسيا.
وقد وجدت علاقات تجارية بين المستوطنات الإغريقية على سواحل البحر الأسود وحكام المغول الذين كان لهم دور الوسطاء بين المناطق الداخلية في الشمال، والعالم التقليدي في الجنوب.
ولا يعرف سبب تلاشي حضارتهم المزدهرة، ويعزو بعض الخبراء، ذلك إلى فترة الجفاف الطويلة التي ضربت بلادهم أو تردي الغطاء العشبي لمراعيهم، كما يذهب بعضهم الآخر إلى أن قبائل السارماتيين التي أغارت عليهم من الشرق قد مزقتهم وشردتهم، وقد تكون حياة الاستقرار والخمول هي التي بعثت فيهم الضعف، وأفضت إلى انهيار قوتهم وثقافتهم



راع كريمي يراقب قطيع الأغنام وهو في عربته التي يجرها الجواد، ويتذكر الرعاة المغول الذين برزت ركام قبورهم فوق الأفق القاصي. لقد كانت الضأن والجياد والبقر عماد حياة أهل السهوب الرحل، وتلك الحياة بحركيتها الدائبة قد جعلت منهم قوما تصعب غلبتهم





ارتباط كبير بين المغول والفرس



نهر دنيبرو ساهم في تشكيل حياة المغول

بالمجارف في محتويات القبر المتهدم، فاكتشفوا دليلاً يشير إلى استخدام مجرفة لص دلف إلى القبر، ولكن من الممكن ألا تكون جميع محتوياته قد نهبت. فعمد الحفّارون إلى استخدام الموالج والسكاكين للبحث في الأكوام، وكان كل ما عثروا عليه خرزة من الذهب، ورأس سهم، وجمجمة، وكانوناً للشعائر، وقارورة خمرة، فاللصوص قد نهبوا أهم ما في القبر من محتويات.

كنت موجوداً على تخوم بلاد المغول، وكان لا يزال هناك وقت للعمل الاستكشافي في قلب أوكرانيا.

مع أن هيرودوتس لم يشاهد نهر دنيبرو، غير أنه كتب عنه بإعجاب؛ ومن المحتمل أنه وصل إلى مدينة أولبيا - التي تبعد أربعين ميلا غرب النهر حيث أقام ملوك المغول فترة - في رحلة

نحو عـام خممسين وأربعمـئة قبل الميلاد؛ ويعـتقد أنه سرد تفـاصيل سمعها عن ماء نهر دنيبرو الذي كان أعذب أنهار بلاد المغول، كما كانت أسماكه ـ بما فيها سمك الحفش ـ الألذ والأوفر.

ومما يلاحظ أن معـظم أسـمـاك الحفش قد تـلاشت، عندمـا أعاقت السـدود تكاثرها، ولم يعد ماء نهـر دنيبرو صالحـا للشرب؛ لأنه ملـوث بالنفـايا الصناعـيـة والبـشرية، عـلاوة على تـلوثه الإشعاعي من مفاعل تشيرنوبل.

ذهبت لأطل على خزان نهـر دنيبرو جنوب مدينة زابوريـشيا، وكانت المنطقة الريفية هناك ملأى بهضـاب المدافن، ومغطاة بحلة قرمزية حاكتها ألوان ثمار الطماطم الناضجة، ولاحت فيها سنابل القـمح الذهبـية أيضـا، وشاهـد فرقـة من المتطوعين من طلـبة الجامعات والمدارس الثانوية يرتعون تحت أشعة شمس يوليو/تموز الحـارة، ويطـردون التـراب الرمـلي من الحفـر، ويعملون بـجد تشـجيـعاً من قـائد البعـثة جينادي توشيف، وزوجـته عـالمة الآثار سـفيـتلانا أندروخ، وكـان هذا المكان المسـمى مـامي جـورا أوسع مناطق المدافن المغوليـة، على الرغم من أنه لم يكن مقصوراً على

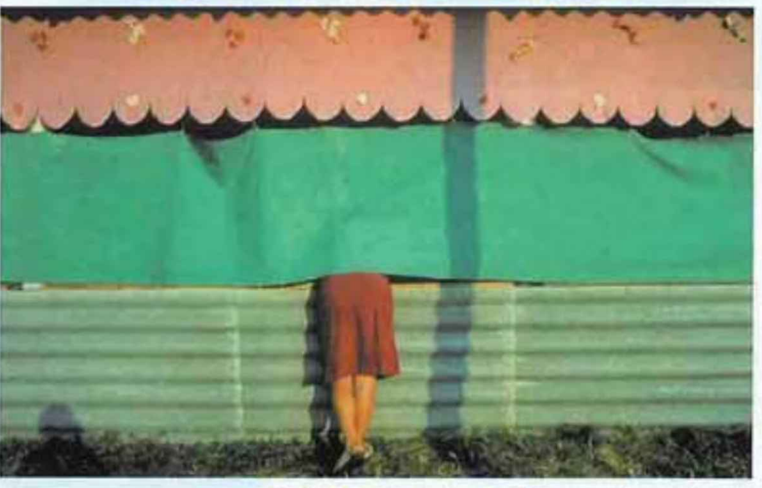

امرأة تتباهى بسمكة كبيرة من الحفش (الاستروجون)


مزرعة خيول في أوكرانيا يلتقي فيها عمال متأثرون بالتقاليد المغولية


مغوليات يعددن أطباقا شعبية في إحدى المناسبات


عروس مغولية


رجل يحلق في إحدى المناسبات مستخدماً مرآة وضعها على حافلته


امرأة تنظر من خلف ستارة في أحد المعارض

المغول وحدهم فقد سبق لشعوب قديمة أخرى أن اتخذوا مقابرهم فيه؛ وقد ضم سبعاً من هضاب المدافن الكبيرة، إضافة إلى ثلاثمئة من هضاب المدافن الصغيرة؛ كما دفن فيه الآلاف من عامة الناس في قبور مسوّاة خلال القرون الخوالي.

على بعد أربعة أقدام عثر المنقبون على جمجمة كانت محفوظة على نحو حسن، ولم تك لمغولي، بل لرجل عاش قديماً ربما قبل خمسة آلاف سنة قبل الميلاد. وقد حثّت سفيتلانا على الحفر في المكان المجاور لموقع الجمجمة؛ إذ كان المغول غالباً يدفنون موتاهم متجاورين، ولكن على بُعد أعمق من قبور القُدامى. ثم عثر على جمجمة أخرى على عمق قدمين أخريين، واستنتجت سفيتلانا أنها كانت لامرأة بين الأربعين والخامسة والأربعين من عمرها، ولم يعثر على ذهب معها، ووجد أنها دفنت مرتدية سواراً من الحديد، وعقداً من الخرز الزجاجي الصغير؛ وذهبت سفيتلانا إلى أن المرأة كانت مغولية، وعاشت في القرن الرابع قبل الميلاد، استناداً إلى مشاهداتها لمثل هذه الحليّ المتواضعة في مقابر عادية مؤرخة في هذه الفترة.

المغول والحشيش

وقد أثنى جينادي على العمل المثمر للمنقبين، ودعاهم إلى تناول الآيس كريم. سُقت دُعابة حول عمل جينادي وسفيتلانا القائم على ميزانية شحيحة من ثلاثة آلاف دولار فقط لتغطية جميع النفقات مدة شهرين، (معظم النفقات كانت من مالهما الخاص)، وكان المتطوعون يحضرون على دراجاتهم الطماطم والبصل اللازم لغدائهم اليومي المكون من حساء البرش النباتي الذي كانوا يتناولونه في أوعية من خشب البلوط. وقد وقع بصري في أثناء تناول الغداء على نبتة أوراقها المؤشرة الطويلة معروفة لملايين الأمريكيين علاوة على الشرطة، إنها نبتة الحشيش التي لها تاريخ طويل هنا.

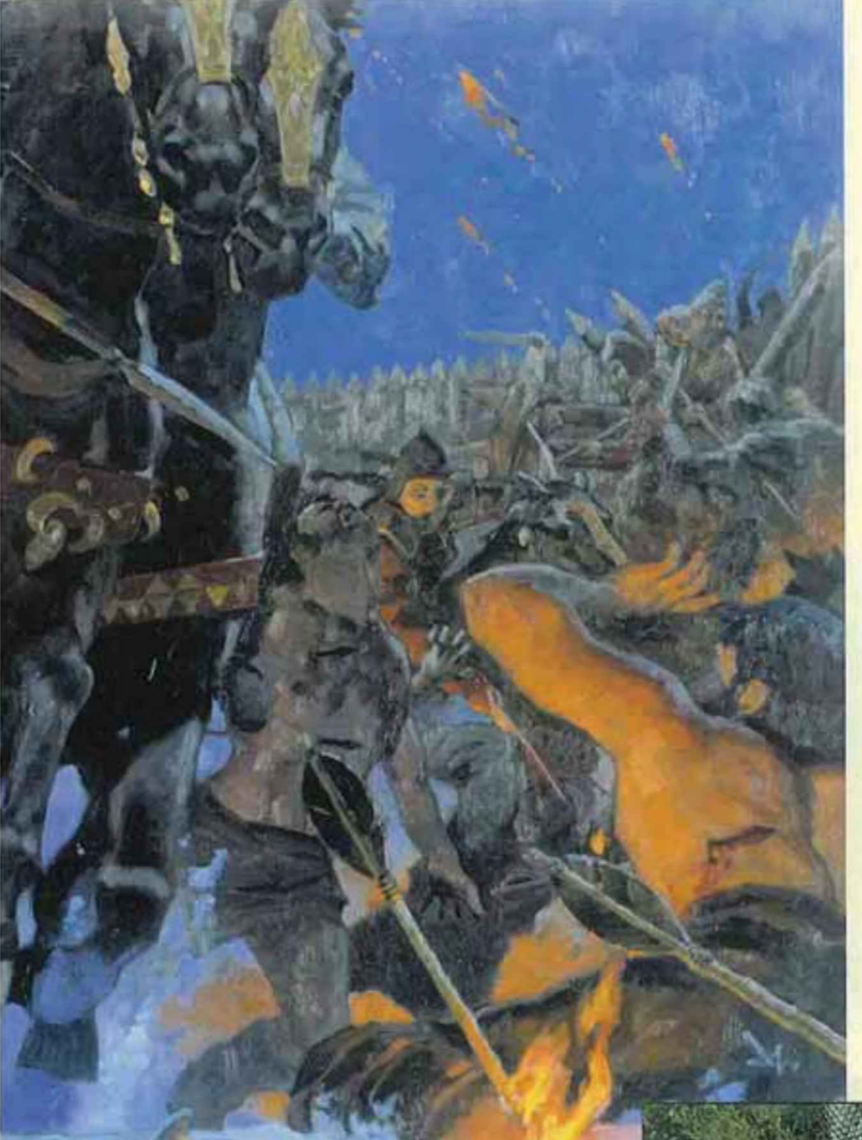
كتب هيرودوتس أن المغول كانوا يدقّون بذور الحشيش على حجارة ساخنة، فينتشر شذاها، فيشتمونه، فيصخبون بنشوة وجذل. وقد ذكّرت هذه القصة سفيتلانا بأحد القبور الذي عثرت فيه على دليل لإجراء عملية جراحية في جمجمة أحدثت فيها ثلاثة ثقوب لمعالجة الورم. وقد عثر بجوار الجمجمة على مخبأ للحشيش المدّخر لتسكين آلام الصداع عند المتوفّى في عالم الحياة

الأخرى؛ وهناك حالات قليلة عثرت فيها سفيتلانا على هياكل دون جماجم؛ وهي تعتقد أن التمثيل بالقتلى كان جزءاً من شعائر المغول. وفي الحقيقة، كانت الشعائر تستبد بالمغول؛ فعندما يموت ملك ما، يحمل جسده على عربة تشق طريقها بين الناس. وكتب هيرودوتس أن مناحاتهم كانت دامية؛ وكان النائمون يجدعون أجزاء من آذانهم، ويشرطون أذرعتهم، ويثقبون أيديهم اليسرى بالسهام. وبعد مرور سنة على الدفن الملكي، يقتلون خمسين خادماً وخمسين جواداً ويعلقونها على السواري المضروبة حول المدفن الملكي، وتكون الجياد في أوضاع قائمة، وقد اعتلت ظهورها جثث الرجال كالغيلان.

الأثل غير كافية

قد يكون المغول المدفونون في موقع مامي من سكان مستوطنة على بعد عشرة أميال عن النهر، وأصبحت تدعى اليوم كامنسكويا، وقد اندمجت مع مدينة كاميانكا ـ دينبروفسكا الصغيرة. وتبلغ مساحة كامنسكايا خمسة آلاف أكر (الأكر يساوي ٤٠٠٠ م٢)، وهي الأوسع من نحو مئة موقع استيطاني للمغول على امتداد نهر دنيبرو، وكانت محاطة بسور طوله عشرة أميال، وارتأى علماء الآثار أن كامنسكايا كانت عاصمة بلاد المغول مما توافر لهم من قرائن قبل أربعة عقود. ويستنتج من هذا الافتراض أن هؤلاء القوم الرُحل قد استقروا، ويبدو أن ذلك صحيح؛ غير أن اكتشافات أخرى قد ألقت ظلالاً من الشك على العاصمة المفترضة. لقد كان على المنقبين في كامنسكايا العثور على آثار حقيقية لبناء مغولي حيث لم يكن يتوافر بعد غير دلائل على وجود جدران من الأعواد والطين.

ويتفق كثير من الباحثين في الوقت الحاضر مع نادشدا جافريليوك المسؤول عن حفرية كامنسكايا،



اقتحام فرسان المغول لمعسكر، وتقطيعهم

والذي ينزع إلى الاعتقاد أنه لم يكن هناك عاصمة للمغول، وقد تكون العاصمة متنقلة حسب تحركات الملك، غير أنه من المؤكد أن المغول عاشوا بسعادة هنا ـ كما يرى نادشدا ـ لتوافر المراعي الخصيبة والكلأ والحيوانات، واستدل على ذلك من العظام التي عثر عليها في الموقع.

وقد تاجر المغول مع الإغريق، واشتغلوا في صهر خام الحديد المستخرج من مناجم محلية لصناعة الأدوات التي احتاجوا إليها، وكان ذلك في القرن الرابع قبل الميلاد الذي شهد عصر ازدهار



أشلاء أعدائهم بالرماح والفؤوس وأقواس السهام، وقد جعلت الجياد السريعة والأسلحة الفاتكة فرسان المغول قوة ضاربة مرعبة

بلاد المغول. كما يستشف من قطع الذهب التي عثر عليها في قبورهم، وتزايد تعدادهم بصورة كبيرة في ذلك القرن، وواصل نادشدا القول، فذكر أن قرابة نصف مليون من المغول كانوا يقطنون بين نهري الدانوب ودون، ويقدر خبراء آخرون بمزيد من التحفظ عددهم بعشرات الآلاف.

وكانت الكارثة التي ألمت بالمغول في القرن الثالث قبل الميلاد، إذ لم يعثر لهم على أثر فيه! وشاع لسنوات بين المختصين بالدراسات المغولية أن محاربي المغول المرعبين قد بدّد شملهم السارماتيون SARMATIANS، وهم شعب آسيوي رحّل، ومن المعروف أن السارماتيين قد عبروا أراضي المغول الشرقية في القرن الرابع قبل الميلاد، كما ثارت الاضطرابات في غربها حيث يعتقد بعض المؤرخين أن المغول قد تحاربوا مع المقدونيين.

ولا تتوافر قرينة على احتلال قلب أراضي دنيبرو من جانب السارماتيين أو غيرهم حتى مرور زهاء قرن على تلاشي المغول.

واستدل نادشدا من آثار نفايات المطابخ التي ترجع إلى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد أن قطعان الحيوانات المغولية قد أخذت أحوالها تتردى. ومن الفرضيات المطروحة لتفسير ذلك تغير المناخ، مما نجم عنه جفاف شديد. وقد يكون نزوح الكثيرين من المغول مع قطعانهم إلى منطقة نهر دنيبرو إثر مدافعة شعوب أخرى انتهكت حدود بلادهم وشردتهم.

ماذا حلّ بالمغول؟

ولم يك غريباً أن يشبّ القتال بين القبائل للاستيلاء على المراعي أو للاستئثار بالهيمنة السياسية؛ غير أن يفجيني شيرننكو لم يقتنع بكل هذه الطروحات حول مصير المغول، ويعد شيرننكو من علماء الآثار الأوكرانيين المرموقين؛ فهو يقول: «نحن لا نعرف ماذا حلّ بالمغول، ولربما انهارت دولتهم بسبب ضغوط داخلية كما حدث للاتحاد السوفييتي».

كتب الجغرافيّ الإغريقي سترابو عن نزوح بعض المغول غرباً باتجاه منطقة مصب نهر الدانوب، مؤسسين دولة مغولية صغيرة مستقلة، بينما نزح آخرون منهم جنوباً صوب كريميا.

واحتل قسم آخر من المغول شبه الجزيرة الكريمية، وعاشوا فيها بسعادة، حيث السهول المنبسطة المترامية المشمسة التي سرحت فيها القطعان، وتسامقت جبالها المغطاة بأشجار الصنوبر بجمالها الأخاذ مجاورة للمياه الخضراء للبحر الأسود. ومشيت ذات صباح على إحدى الهضاب التي كساها غطاء أزرق من الهندبا البرية، وكانت تطل على المرتفعات العالية لمدينة سيمفروبول، العاصمة الكريمية، التي تشير الحجارة المتناثرة فيها إلى آثار مبان متعددة كانت فيها، وربما كان البناؤون الإغريق قد احتجروها، غير أن هذه المدينة كانت مغولية!



مزارع يقوم بحرق حقله الذي يعتقد أنه بقايا لمستعمرة مغولية من القرن ٦-٧ قبل الميلاد

مدينة المغول الجديدة

ويعتقد خبراء كثيرون أنها كانت عاصمة مغولية، ووجد في الضريح الكبير الذي عثر عليه فيها نحو مئتين وألف من دبابيس الزينة والحلي الذهبية الأخرى. ويرجع تاريخ تأسيس المدينة إلى عهد المغول في القرن الثالث قبل الميلاد، أي تقريباً في الوقت نفسه الذي شهد نزوح المغول من السهوب الأوربية إلى كريميا. ولم يعرف اسمها المغولي، وما وصلنا هو اسمها الإغريقي: نيبولس المغول أي مدينة المغول الجديدة. وتساءلت هل هناك مدينة قديمة في مكان ما؟ فأجاب: ما من أحد يستطيع أن يجزم بوجود مثل هذه المدينة، لأن الغموض يكتنف حياة المغول في كريميا أكثر من قرنائهم الذين فروا في السهوب الأوربية. وأن الكثير من الآثار الدالة التي قد تساهم في تعرف خفاياهم قد تعرضت للنهب.

وذهبت ذات مرة إلى منطقة مدافن مغولية وسارماتية على منحدر قريب من البحر، وأخذ المسير فيها مسلكاً متعرجا لتجنب الحفر الشبيهة بالاستحكامات؛ ولم تك تلك الحفر سوى قبور للعامة، ولم تحتو على الكثير من الذهب، غير أنها قد اشتملت - أحياناً - على فخاريات إغريقية رقيقة مما يرغب جامعي الآثار في اقتنائها؛ لذلك لم تسلم من إغارة اللصوص عليها ونهبها.

تجدر الإشارة إلى أن سرقة الآثار وباء متفش في كريميا، تعرضت له مئات المقابر في السنوات الخمس الأخيرة.

وهناك أشياء فخمة كالفسيفساء الرائعة، والأعمدة المزخرفة قد اجتثت من الأرض في موقع شيرسونيسوس، الذي تبرز آثاره الإغريقية بجوار ميناء سيفاستوبول على مرأى سفن أسطول البحر الأسود السوفييتي سابقًا.

إنه من السهل تخيل المحاربين المغول وهم يمتطون جيادهم ميممين شطر شيرسونيسوس، لا لمشاهدة المسرحيات المعروضة في مسارحها، بل لأخذ عينات النبيذ وتذوقها من باعة الخمرة، لأن معظم الخمرة التي كانوا يعاقرونها منتجة في هذه المدينة وغيرها من المدن الإغريقية على الساحل الكريمي. ورأى شيرننكو أن العلاقة بين المغول والإغريق كانت تكافلية؛ فالمغول احتاجوا إلى الإغريق لأنهم أرادوا الحصول على الخمرة، والمسكوكات الذهبية، والسلاح، كما أن الإغريق لم يكن باستطاعتهم البقاء من غير وجود المغول الذين يشترون بضاعتهم، وكان بعض الإغريق يشتري القمح الذي كان يزرعه مُقطَعو(٣) المغول، وتحمله السفن إلى أثينا وجزر بحر إيجه.

لماذا الإغارة على الإغريق؟

والسؤال ماذا عن سبب إغارة المغول على المدن الإغريقية؟

ففي القرن الثالث قبل الميلاد كان المغول يغيرون على تلك المدن؛ يحرقون ويخربون وينهبون، ثم ينسحبون؛ أما في العقود اللاحقة، فقد احتلوا عدة مدن إغريقية وانتقلوا إليها وقروا فيها.

ويذهب بعض الخبراء إلى أن المغول قد طمعوا في الاستيلاء على المدن الإغريقية الغنية، كما يذهب آخرون إلى أن المغول قد استهدفوا من حملاتهم على المدن الإغريقية إكراهها على دفع الجزية لهم.

ويعتقد آخرون أن السارماتيين لا المغول هم الذين أغاروا على المدن الإغريقية.

لقد تمخضت غارات المغول وما صاحبها من أعمال نهب وسلب عن كوارث. ففي عام ١٠٨ ق.م أفلح الإغريق في تحريض جيوش مملكة بونتوس في الأناضول على مهاجمة أعدائهم الذين تسببوا في إيذائهم؛ ولم يك مغول كريميا ببأس محاربي المغول القدامى الذين تحدوا داريوس قبل أربعة قرون، فلم تقو على الصمود أمام الكتائب النظامية لجيوش بونتوس.

ويروي سترابو أن مصير قوة المغول كان الهلاك، وأن كتائب بونتوس المظفرة تقدمت صوب نيبوليس؛ وأخبر عالم الآثار فاديم كوتايسيف الذي نقّب في نيبوليس أن التربة السمراء في الموقع تدل على أن المدينة قد أضرمت فيها النيران. وانطلقت جحافل غزاة آخرين من

الهون Huns والمغول من الشرق للاستيلاء على السهوب وعلى كريميا، وأما السلافيون فقد وفدوا إلى المنطقة دون قتال من الغرب، وقدم من الشمال وفد الفايكنجيون والقوط.

ويعتقد العلماء أنه ما يزال سبعمئة ألف من الأوسيتيين OSSE-TIANS يعيشون حتى الآن، وهم يمثلون بقايا المغول، ويتوزعون في منطقتين متباعدتين عبر جبال القوقاز. وتشكل أوسيتيا الشمالية المنطقة الكبرى لهم وتقع داخل روسيا، بينما تمتد منطقة أوسيتيا الجنوبية عبر حدود جورجيا، ويروي الأوسيتيون أنهم من نسل الألانيين ALANS، وهم قبيلة من سلالات المغول والسارماتيين الذين لحقوا بالمغول قادمين من السهوب الأسيوية. ويبدو أن هناك اختلافاً بين ملامح الأوسيتيين وما بدا من ملامح جثث المغول المحفوظة في متحف سنافروبول كعظام الصدغين البارزة وشكل الأنف الرفيع الحاد؛ لأن الأوسيتيين قد امتزجوا بغيرهم من الشعوب، غير أن الملامح المذكورة تظهر عند بعضهم. ولا ينبغي النظر هنا إلى الملامح الجسدية فحسب، بل ينبغي الأخذ في الحسبان اللغة والتقاليد التي تدل على الروابط بين الأوسيتيين والمغول.

في أحد أودية القوقاز المجاورة لنهر متدفق بمياهه التي بدت كالحليب ـ بسبب الطبقة الجليدية التي تفترشه ـ جلس الكاتب مع فيتالي جوسالوف وهو مؤرخ له معرفة واسعة بعدد من اللغات القديمة والحديثة؛ فأشار إلى أن ذاك النهر يسمى أردون، وشدد على لفظ المقطع دون، وقال إنه يعني: النهر في أوسيتيا؛ وهو مشتق من لغة شرقية قديمة متفرعة عن اللغة الإيرانية، لغة المغول والسارماتيين أيضاً. ويؤكد العلماء استمرار استخدام أسماء الأنهار القديمة حتى الوقت الحاضر في روسيا وأوكرانيا بما فيها أنهار: دون ودنيبرو ودنيستر التي تشتمل أسماؤها على أشكال للمقطع «دون» من الإيرانية القديمة.

وتقدم الكلمات المغولية المتضمنة في نصوص الكتابات الإغريقية علاقات لسانية أخرى باللغة الأوسيتية. واستغرقت رحلتنا بالسيارة ساعتين عبر الجبال، منطلقا من فلاديكافكاز عاصمة أوسيتيا الشمالية، حتى وصلت إلى منزل داختسيكهو بزيكوف ـ ويلاحظ تعقيد صيغ الأسماء هناك ـ. والشخص المذكور يبلغ الحادية والثمانين من العمر، وكان لا يزال يدمن التدخين، ويعيش حياة مستقلة بعد أن ترك العمل في إحدى المزارع التعاونية، وامتنع عن سداد شيكات شهرية مترتبة عليه لتوفير المال اللازم لزراعة أكرات قليلة كانت تزوده بكل ما يحتاج إليه.

كان داختسيكهو يمتلك جوادين، فقد كان للجياد منزلة أثيرة في نفوس الأوسيتيين كأسلافهم من المغول، وقد تحدث عن الجنائز في العقود المنصرمة خلال التجوال مع الكاتب بين الجدران الحجرية لقريته، وأخبره أنهم عادة كانوا يذهبون بالجواد إلى القبر ويرددون أنهم يرغبون في أن يأخذ المتوفى الجواد إلى عالم الحياة الأخرى، ثم يدورون به حول القبر ثلاث مرات، ثم يطلقون له العنان ليجول أنى شاء. و تذكر الرجل قصة الجواد الذي قتلوه ذات مرة عند دفن أحد الموتى قبل خمس عشرة سنة، وسألت عما إذا كانت إدارة مزرعة الدولة قد أبدت اعتراضها على إضاعة الجياد، فرد أنه ما كان بوسع أحد أن يسألهم عما فعلوه؛ لأن ما فعلوه كان من التقاليد التي توارثوها عن الأجداد! كما أن من تقاليدهم إسباغ هالة من التقديس على النار. فما تجد أوسيتياً واحداً يقدم على إطفاء النار، بل تترك لتخمد تدريجياً من تلقاء ذاتها.



للجياد منزلة أثيرة في نفوس الأوسيتيين كأسلافهم من المغول

وكان المغول يستخدمون المشاعل لتطهير القبور، وأما الأوسيتيون فيوقدون النار بجانب القبر. وذكر الكاتب عن حضوره مراسم جنازة في قرية نار NAR الجاثمة على السفوح المحفوفة بأشجار الأرز؛ وكان جثمان ماولدار خيتاجوروف مسجى في تابوت مكشوف، وكان سائق شاحنة، وقد اخترمته المنية في منامه؛ وبدت عظام صدغيه بارزة، كما بدا أنفه رفيعاً حاداً.

وفي تأبين أحد زعماء قريته له ذُكر أن ماولدار كان عاملاً صالحاً، وسعى إلى راحة والدته، ووفق المعتقدات الأوسيتية فإن ماولدار قد غادر الدنيا إلى العالم الحقيقي في السماء، وهم يأملون أن يطل عليهم من عليائه، ويتمنى لهم السعادة ومواسم حصاد وافر؛ وحمل نعشه في موكب رزين إلى المقبرة الواقعة في طرف القرية، ثم جلس الرجال إلى الوليمة المهيأة لهم، ويبدو أن أقرباء ماولدار قد قفلوا راجعين إلى المقبرة مساء إشارة إلى تسليمهم بمآلهم إليها. واستنتجت ذلك من مشاهدتي للقبر ثانية في اليوم التالي، وبجواره بقايا الفحم وآثار الرماد التي خلفها زائروه.

الهوامش

ـ بإذن خاص لمجلة الفيصل من NATIONAL GEOGRAPHIC، عدد سبتمبر ١٩٩٦م، ص٥٤ ـ ٧٩ بعنوان SEARCHING FOR THE SCYTHIANS BY MIKE EDWARDS PHOTOGRAPHS BY SISSE BRIMBGRG.

١ـ الغرفين: حيوان خرافي نصفه نسر ونصفه أسد. المورد، منير البعلبكي، ص٤٠١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٩م.

٢ـ ضمير المتكلم في المقالة يرجع إلى مايك إدواردز معد هذا الاستطلاع في نصه الإنجليزي.

٣ـ المقطع: شخص يقطعه السيد الإقطاعي أرضاً لقاء تعهده بتقديم المساعدة العسكرية إليه.... [الفيصل]

نشأة الطباعة العربية في أوربا

محمد همام فكري
الدوحة - قطر

يقدر هواة اقتناء الكتب القديمة ومحبوها قيمة ما لديهم من كتب نادرة، ويبحث بعضهم عن الطبعات الأولى لما يرغبون في امتلاكه، وخاصة تلك التي طبعت مع بدايات اختراع الطباعة، ويبذلون في ذلك جهدًا ومالاً كبيرين للحصول على نسخة نادرة من كتاب ما، فإذا حصلوا عليه فإنهم يشعرون وكأنهم تملكوا أثرًا تاريخيًا، لأنهم يدركون جيدًا أهمية أن يمتلك المرء جزءًا من التاريخ.

وحتى نقدم لهؤلاء دليلاً يعينهم على تلمس هذه الحاجة العزيزة، فإننا سنتتبع هنا نشأة الطباعة العربية في أوربا، ونقدم للدارس الباحث عن المصادر الأولية لهذا الموضوع فهرسًا لأوائل الكتب العربية المطبوعة في أوروبا، ونعرض ضمنيًا لأهم المطابع التي اعتنت بطباعة الكتب العربية، ونشير في الوقت نفسه إلى أهم الكتب المطبوعة فيها، مع إشارة خاصة لبعض الكتب التي وقفنا عليها في مكتبة الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني في مدينة الدوحة - قطر.

وهو مبحث وجدنا من الأهمية بمكان التعرض له على أنه مدخل إلى نشأة الطباعة العربية في أوربا،



صورة لصفحة عنوان كتاب «وسائل تعلم اللغة العربية ومعرفتها» وهو من تأليف بدرو ده ألكالا Pedro d Alcole. ومطبوع في غرناطة عام ١٥٠٥م

وهو في الوقت نفسه يؤرخ ضمنيًا لمولد حركة الاستشراق التي خرجت من عباءة الاستشراق التبشيري، ويظهر إجمالاً مدى اهتمام أوربا بالثقافة العربية، في فجر الحوار الحضاري بين الغرب والشرق العربي والإسلامي.

والمقصود هنا بالطباعة العربية هي تلك الكتب التي تمت طباعتها وفقًا لتقنية الطباعة بالحروف المتحركة Movable type وذلك بالأبجدية العربية كتابة ونطقًا، وتأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تعتمد اعتمادًا مباشرًا على المصادر الأولية، وهي الكتب التي وقفنا عليها بالفعل، وليس نقلاً عن أحد إلا في مواضع التوثيق حسبما يستدعي البحث.

نشأة الطباعة في أوربا

ولا يفوتنا هنا أن نمهد في إيجاز شديد لتاريخ هذا الفن العظيم (الطباعة) الذي كان ابتكاره في منتصف القرن الخامس عشر

بمنزلة ابتكار لذاكرة جديدة للبشرية، فشكلت بدورها وعاء حفظ لنا تراث الإنسانية، وكان فاتحة خير للفكر الإنساني الذي تسابق في الإبداع يقدح بعضه بعضا، متحفزا لتسجيل تاريخ البشرية جمعاء وواقعها ومستقبلها، فنقلها من عصر محدود المعرفة إلى عصر المعرفة غير المتناهية الذي نعيش فاصلاً منه الآن ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين.

سجل التاريخ للألماني الشهير المدعو يوحنا جنسفلايش، والمعروف باسم يوحنا جوتنبرج Johann Gutenberg (١٣٩٧-١٤٦٨م) أنه المخترع الأسبق للطباعة بالحروف المعدنية المتحركة Movable type عندما بدأ تجاربه في مطبعته الخشبية على سبك الحروف، وكان ذلك بدءا من عام (١٤٣٦ أو ١٤٣٧م) نقول: إن جوتنبرج هو المخترع الأسبق للطباعة، لأن هناك زعما بأن الهولندي لورنس كوستر Coster في مدينة «هارلم» في هولندا قد سبقه بعام في هذا الاختراع، وهو زعم لم يجد من يؤيده بإجماع بين جمهور المؤرخين.

لقد نشأت الطباعة في مدينة ماينس Mainz(١) بألمانيا في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، عندما افتتحت أول مطبعة فيها عام ١٤٥٠م، وكان صاحبها جوتنبرج ومعه المطبعي الشهير فوست Fust، فأحدثت في العالم ثورة ثقافية وحضارية هائلة.

أوائل مطبوعات جوتنبرج

أما أول كتاب يطبع وفقًا لتقنية الطباعة بالحروف المتفرقة Movable type التي اخترعها جوتنبرج فقد كان كتاب: «مرآة الخلاص» الذي يعده المؤرخون المحاولة الأولى في الطباعة، وذلك عام ١٤٥٠م، وكان باللغة اللاتينية Latin ككل الكتب التي طبعت في ذلك الوقت؛ وبعده طبع كتاب: «الكتاب المقدس» (الإنجيل) Bible Mazaraine نسخة الكاردينال مازاران، وهي النسخة الأشهر آنذاك، وقد طبع باللغة اللاتينية بين عامي ١٤٥٢ و ١٤٥٥م، وفي مصادر أخرى عام ١٤٥٦م، ويرجّح خليل صابات أستاذ الإعلام أنها كانت عام ١٤٥٩م(٢)، وعدّت طباعة هذا الكتاب من أكمل المحاولات التاريخية الناجحة التي تمت في ذلك الوقت، فلقد صدر ذلك العمل في مجلدين بالحجم الكبير، وطبع النص على عمودين، كل عمود اثنان وأربعون سطراً، وبلغت صفحاته ١٢٨٠ صفحة.

حروف الهجاء العربية كما وردت في كتاب وسائل تعلم اللغة العربية ومعرفتها، وهي مطبوعة بالحروف القوطية ومكتوبة وفقًا للطريقة المتبعة في شمال إفريقية

وانتشر بعد ذلك فن الطباعة Printing (على الرغم من معارضة النساخ الذين تخوفوا على مستقبل مهنتهم من هذه الآلات العجيبة) في أنحاء دول أوربا كافة بعد أن سارع زعماؤها إلى إدخال هذه الصناعة إلى بلدانهم وتطويرها لأغراض دينية وسياسية وتعليمية.

وكانت إيطاليا أسبقهم عام (١٤٦٧م) لأسباب دينية في المقام الأول، ثم انتقلت إلى فرنسا في نهاية القرن الخامس عشر، وبلجيكا عام (١٤٧٢م)، وهولندا عام (١٤٧٣م)، وإنجلترا (حيث طبع أول كتاب باللغة الإنجليزية عام ١٤٧٤م)، وأسبانيا عام ١٤٧٤م، والنمسا عام ١٤٨٢م، وبولندا عام ١٥٧٨م، ثم لبنان عام ١٦١٣م، والسويد والدانمارك عام ١٦٤٤م وغيرها.

بداية الطباعة العربية في أوربا

بدأت طباعة الكتب العربية بحروف عربية في أوربا متأخرة.. فبينما كانت الطباعة في أوربا تتقدم بخطا سريعة خلال القرن السادس عشر، وبينما كانت المطابع تنشر الكتب باللغات الشرقية والغربية المختلفة، كانت البلاد العربية وبلاد الشرق بصفة عامة لا تزال في طور النسخ(٣).

ومع بداية طباعة الكتب العربية كان عدد النسخ التي طبعت في

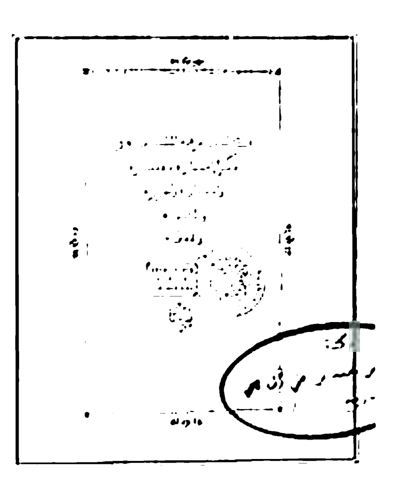
ذلك الوقت قليلاً جداً؛ وذلك لقلة الطلب على الكتب العربية من جهة، ولصعوبة تمثل تقنية حفر الحروف العربية وسبكها لطبيعتها المتصلة من جهة أخرى. والثابت تاريخاً أنها بدأت في أوربا قبل الدول العربية، وعلى وجه التحديد في إيطاليا التي أدخلت الطباعة العربية مبكراً لأسباب دينية، فقد كان غرضها الأساسي طبع الكتابين التوراة والإنجيل ونشرهما بلغات شرقية، منها العربية ضمن جهودها للتبشير في بلاد المشرق العربي من جهة، ومن جهة أخرى كانت ترمي إلى توحيد الكنائس الشرقية، وكان ذلك في بداية القرن السادس عشر (عندما انتقل عاملان من العمال الذين كانوا يعملون مع جوتنبرج لينضما إلى المطابع التي أسسها الكردينال دوق تسكانيا الكبير فرديناند دومديتشي).

لذا سنجد أن معظم الكتب العربية التي طبعت في أوربا في الفترة من عام ١٥٠٩ إلى ١٥٣٨م كانت كتب دين مسيحي، وهي الكتب التي قام بوضعها رجال الدين المسيحي من مستعربين ومستشرقين على حد سواء، وتزامن ذلك مع انطلاقة الحركة الاستشراقية، بالإضافة إلى اهتمام ملوك روما بعلوم العرب كالملك ليون العاشر.

كما كانت أوربا العطشى إلى المعرفة مهتمة بالإنتاج الفكري الإسلامي المسجل باللغة العربية، وخاصة المتمثل في أعمال الأطباء والعلماء المسلمين، كأعمال الرازي، وابن سينا، والزهراوي، وابن ماسويه، وجابر بن حيان، والإدريسي، وابن حوقل، وغيرهم.

المحاولات الأولى
مدينة ماينس الألمانية

في البدء كانت هناك محاولة مبكرة للطباعة بالحروف العربية



صورة لصفحة عنوان كتاب «نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق» للشريف الإدريسي، عام ١٥٩٢م

تعدّ المحاولة الأولى في التاريخ، يقول عنها كميل أبو صوان: «ظهرت الحروف العربية لأول مرة في كتاب مطبوع في أوربا في عام ١٤٨٦م؛ وذلك عندما طبع راهب دومنيكي يدعى مارتان روث P.M. Roth لدى الطابع بالحفر إرهارد رويفتش في ماينس القصة الشهيرة التي عنوانها: «الرحلة والحج فيما وراء البحار إلى قبر السيد المسيح بمدينة القدس المقدسة» من علم وتأليف: برنارد ده برايدنباخ باللاتينية، وفي هذا الكتاب الأصيل تحفل القصة بمشاهد من حياة المدن، وهو ما كان في ذلك العصر ظاهرة جديدة، ومن المعتقد أن إرهارد رويفتش قد رسم وحفر الألواح الخاصة بطبع هذا الكتاب، والتي ظهرت عليها لأول مرة أبجديةٌ عربية كاملة مطبوعة بالنقش على الخشب، ومصحوبة بكتابتها باللاتينية، وبخريطة للقدس ورسم جميل محفور يمثل جماعة من اللبنانيين (وصفوا بأنهم سوريون) في كرمة وعلى رؤوسهم عمائم فاخرة» وعنوانه الأصلي:

Dis buch ist innhaltend die heiligen reysen gein iherusalem zu dem heiligen grab vnd furbasz zu der hochgelobten jung - frowen vnd merteryn sant katheryn.

علماً بأنه طُبع أكثر من إحدى وأربعين طبعة(٤).

الطباعة في إسبانيا (غرناطة)

هناك إجماع من المؤرخين على أن أول كتاب عربي يطبع باللغة العربية في العالم يرجع إلى قيام فرديناند وزوجته إيزابيلا الملكين الكاثوليكيين بخطة لتنصير مسلمي الأندلس بدأت بوضع كتابين لمساعدة المبشرين الذين سيقومون بالتبشير، الأول بعنوان: «فن تعلم اللغة العربية بسهولة» أو «وسائل تعلم اللغة العربية ومعرفتها» وعنوانه الأصلي: Arte para Le-

geramente saber la lengua a raviga(٥)، وهو للباحث الإسباني بدرو ده ألكالا Pedro d' Alcole، وذلك في مدينة غرناطة Granada وقد طبع بحروف عربية نقلت إلى اللاتينية بحروف (قوطية)، وكان ذلك عام ١٥٠٥م(٦) وكانت نسبة الحروف العربية في الكتاب لا تتجاوز ٥٪.

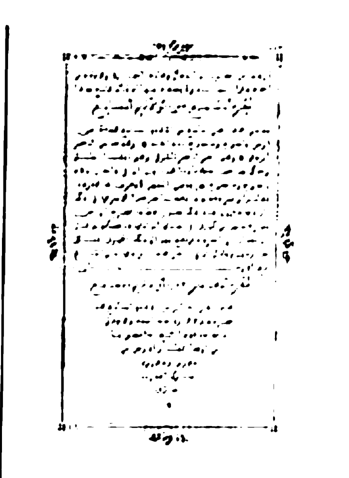
وقد خصصت الإحدى والعشرون الأولى من كتاب الوسائل لقواعد اللغة، وخصصت السبع والعشرون التالية لصلوات كاثوليكية مترجمة إلى العربية، وإرشادات للاعتراف بالإسبانية والعربية؛ وذلك بقصد تسهيل مهمة المبشرين للتعامل مع المسلمين العاديين بلغتهم اليومية.. فقد كان هذا الكتاب الذي يثير الاهتمام من ناحيتي علم اللغة وتاريخ الطباعة على السواء هو أول، وربما أصلح، المحاولات لنقل الحروف العربية إلى حروف لاتينية. ومن الملاحظ أن حروف الهجاء العربية الواردة في صفحة ٢٠ مكتوبة وفقاً للطريقة المتبعة في شمال إفريقية(٧)، أما الكتاب الثاني فهو معجم عربي بحروف قشتالية، وهو من وضع العالم خوان فاليرا(٨).

وقد اطلعت على كتاب «فن تعلم اللغة العربية بسهولة» في مكتبة الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني (الدوحة - قطر).

الطباعة في إيطاليا

تعد إيطاليا بإجماع المؤرخين المهد الأول الذي نشأت فيه الطباعة العربية، فقد أسست فيها أول مطبعة تمتلك حروفاً عربية في العالم، وسبقت غيرها من دول أوربا، وكان لها قصب السبق في طباعة الكتب العربية ونشرها.

- ففي مدينة «فانو Fano» بإيطاليا طبع كتاب بعنوان: «صلاة السواعي» أو الأورولوجيون Christian Prayer وأشرف على



صورة للصفحة رقم ٣٢٥ من كتاب «نزهة المشتاق»، تظهر الترتيب الذي جاءت عليه، وكذلك ترويسة الصفحات

طباعته Gregori de Gregoriis، ويقع في ٢١١ صفحة، وكان ذلك بالتحديد يوم ١٢ سبتمبر/ أيلول عام ١٥١٤م، وهو مجموعة نادرة من الصلوات الكاثوليكية، وعنوانه اللاتيني: -Septem horae canoni cae أو السواعية المختصرة -Horo logium breve Bm hgshuhj hgrhkmkd hgsfu(٩).

وقد طبع بأمر البابا جوليوس الثاني الذي قام بتأسيس مطبعة متخصصة في طباعة الكتب العربية، ويجمع عدد من المؤرخين على أنه الكتاب العربي الأول الذي طبع في العالم.

وفي مدينة جنوة Genoa التي كانت آنذاك مركزاً رئيساً لفن الطباعة، طبع كتاب: «الزبور: مزامير غويستنياني» وهو أول كتاب للمزامير متعدد اللغات، ونشر بعنوان: «سفر الزبور أو «المزامير» للأب الدومنكي أغومستينو Agostino Giustiniani عالم اللغات الشرقية. وكان عنوانه: «مزامير عبراني يوناني وعرابي وكلداني» Psalterium Trilingue Hebraem, Graecum, Arabicum حيث كانت اللغة العربية بحروف مغربية إحدى لغات خمس هي: العبرية واليونانية والكلدانية (نوع من السريانية) والعربية بالإضافة إلى اللاتينية، وكان ذلك عام ١٥١٦م، وهو من القطع الكبير قياس ٢٥سم× ٥ر٣٣سم، وبلغت صفحاته ١٨٤صفحة، وطبع بالحبر الأسود والأحمر بحروف مغربية (كوفي مبسط).

(ملحق رقم ٣) وقد اطلعنا على نسخة منه في مكتبة الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني (الدوحة - قطر).

مطبعة باغنيني PAGANINI البندقية

وفي مدينة البندقية بإيطاليا، التي كانت أكثر مدن العالم عناية

بطباعة الكتب الدينية باللغة العربية، طبع «القرآن الكريم» لأول مرة في التاريخ بأحرف عربية (مغربية) وكان ذلك عام ١٥٣٠م(١٠) ولكن النسخ صودرت وأتلفت بأمر من البابا، خوفاً من أن تؤثر في عقائد المسيحيين، ويجمع المؤرخون على عدم وجود نسخة منه في العالم، فقد أحرقت النسخ جميعها، بينما تؤكد الباحثة الإيطالية أنجيلا نيوفر من جامعة «ميلانو» بإيطاليا اكتشاف نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الدير الفرنسيسكاني للقديس ميخائيل بالبندقية: «ظهر اليوم كتاب، اعتُقد طوال عدة قرون، أنه ضاع وتلاشى في خضم أعقد الفرضيات، وطوته هالة من خيوط خرافة غامضة خبيثة، ظهرت نسخة القرآن في حالة جيدة بالبلد الذي طبعت فيه منذ أربعمئة وخمسين سنة، وهي النسخة العربية الأولى للقرآن في البندقية، والمطبوعة، والتي ظلت لغزاً وأحد الأسئلة الحائرة التي لم تجد لها حلا في البيبليوجرافيا، ومثلت خطوة أساسية في العلاقات بين بلدان المغرب والمشرق في العالم، وقد اكتشفت هذه النسخة من القرآن بعد بحث طويل في أنشطة ألسندرو بازغينو»(١١).

ثم توالت بعد ذلك المطبوعات العربية في عدد من المطابع الإيطالية خاصة بعد أن أخذ الطباعون يفتنُّون في صناعة الأحرف الشرقية ويزودون بها المطابع الأوربية، وكانت حروف اللغة العربية في مقدمة الحروف التي عنيت بها مطابع أوربا، ولاسيما مطابع المدن الإيطالية، ولكن معظم المطبوعات إن لم تكن كلها التي نشرت باللغة العربية في هذه المرحلة كانت في الديانة المسيحية؛ لأن معظم الذين اعتنوا بهذه الصناعة في ذلك الوقت كانوا

ميديتشي ومطبعة البروبغندة وسافاري وبادفيا والامبروزيانية وباليرمو وغيرها.

مطبعة مدرسة الآباء اليسوعيين

أنشأ مطبعة مدرسة الآباء اليسوعيين التابعة لجمعية يسوع Collegium Societatis Jesu في روما الآباء اليسوعيون أتباع القديس إغناطيوس دي لويلا، وذلك

صورة لصفحتي عنوان كتاب «مسابقة البرق والغمام في سعادة الحمام» العربية والفرنسية، وهو من تأليف ميخائيل بن نقولا بن إبراهيم صباغ، ترجمه من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية سلوستر دساسي في دار المطبعة السلطانية بباريس عام ١٨٠٥م، والكتاب يقع في ٩٦ صفحة من قطع الثمن ٧٥ ٨

من رهبان الدين المسيحي أمثال: الأب جرامانوس، والأب داكمو، والأب داتودي. ومع اتساع حركة الاستشراق اتجه الناشرون إلى طبع بعض الكتب العربية الأدبية، وقد تضمنت هذه الكتب العربية كثيراً من الرسوم والصور البديعة التي لا تزال عنواناً طيباً لذلك العصر(١٢).. وتأتي في مقدمة هذه المطابع: مطبعة مدرسة الآباء اليسوعيين بروما، ومطبعة

في نهاية القرن السادس عشر، بهدف طباعة كتب الدين المسيحي التي يحتاج إليها المبشرون في بلدان المشرق العربي، وذلك بدعم من البابا بولس الرابع، وقد قام بسبك حروفها المستشرق الإيطالي رايموندي يوحنا باتستا اليانو Rai-mondi Jovanni Battista (١٥٦٠ ـ ١٦١٤م) وكان على دراية كافية باللغة العربية، وهو من كريمونا.

من أهم مطبوعاتها

ـ كتاب «اعتقاد الأمانة الأرثوذكسية في كنيسة رومية» للبابا بولس الرابع ١٥٦٦م، وترجمه من اللاتينية إلى العربية الأب يوحنا باتستا إليانو، ونشر باللاتينية تحت عنوان: Fidei Orthodoxae Brevis Et Explicata Confessia Mrv Hudv (وقد أعيد طبعه عدة مرات فيما بعد).

ـ كتاب «مصاحبة روحانية بين عالمين» وعنوانه: «هذا مصاحبة روحانية بين العالمين واسم واحد منهما الشيخ سنان واسم الآخر أحمد العالم اللذان كان رجوعهما من الكعبة» وطبع عام ١٥٦٦م.

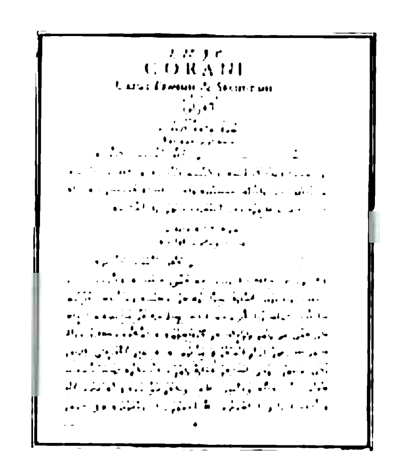
ـ كتاب «التعليم المسيحي» للبابا بولس الرابع وطبع عام ١٥٨٠م، وترجمه عن اللاتينية إلى العربية الأب يوحنا باتستا إليانو أيضاً.

المطبعة المديتشية

المطبعة الشرقية المديتشية بروما Medicea Orientale أول مطبعة عربية قائمة بذاتها تنشأ في العالم وتعرف باسم «بتوغرافيا مديتشي» أو Medici Oriental Press، وقد أمر بإنشائها الكردينال فرديناندو دي ميدنتشي Cardinal Fernando de Medici الذي عرف عنه حبه للمعرفة وولعه بالفنون والآداب، فأنشأ في فلورنسا.. بروما Romae هذه المطبعة التي قام بوضع حروفها العربية المستشرق الإيطالي جيوفاني باتستا وعاونه في سبك الحروف العربية أحد النقاشين الفرنسيين ويدعى روبرت جرانجون Robert Granjon.. (أمهر حفاري ذلك العصر) وأول ما طبعت:

ـ كتاب «الإنجيل المقدس» باللغتين اللاتينية والعربية عام ١٥٨٥م (وهو أول مطبوع عربي مصور).

ـ كتاب «البستان في عجائب الأرض والبلدان» للصالحي عام



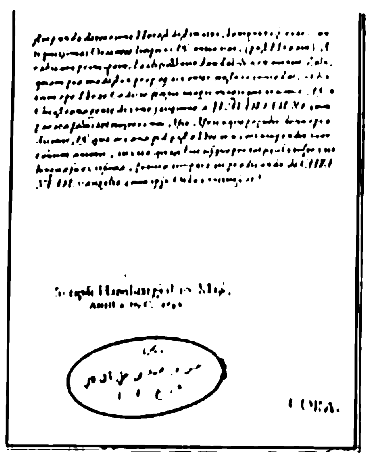
صورة مصغرة لإحدى الصفحات كما وردت في كتاب القرآن الكريم طبعة عام ١٦٩٤م.

١٥٨٥م. وهو أول كتاب عربي يطبع في العالم في موضوع أدب الرحلات ويتكون من ٢١٢ صفحة.

ـ أما الكتاب الشهير: «القانون في الطب» لابن سينا وفي آخره كتاب «النجاة» فهو أشهر ما طبع فيها، ويذهب بعض المؤرخين إلى وصفه بأنه أول ما طبع بها، ومن أبرز معالم الطباعة العربية في أوربا، فقد بدئ في جمعه وطباعته عام ١٥٨٦م وانتهى منه عام ١٥٩٣م وعنوانه اللاتيني.

Liber canonis de Medicina. Cujus auctore est abc Ali Alscheichalreislbn Sina: accedunt aliquot ejus opuscula. Logica physica Metaphysica - Romae. in typgraphia Medicea .M.D.XCIII. cum licentia Superiorum.

ـ الكتاب الأول يقع من ص ١ إلى ص ١١٢. والكتاب الثاني من



صورة مصغرة للصفحة الأخيرة من القرآن الكريم بإشراف المستشرق الشهير إبراهام هنكلمان Abraham Hinckelman، ويظهر فيها اسم المطبعة وسنة الطبع عام ١٦٩٤م

ص ١١٣ إلى ص ٢٨٠ (١٣).

وقد قامت المطبعة نفسها، في أثناء طباعة القانون، بطباعة الكتب التالية وهي من أشهر الكتب العربية التي طبعت في أوروبا في ذلك الوقت، وجاء ذكرها في جميع المصادر التي تناولت تاريخ طباعة الكتاب العربي منذ نشأة الطباعة:

ـ كتاب «الأناجيل الأربعة» Evongelia Quatuor في طبعة عربية عام ١٥٩٠م، ثم أعيدت

طباعتها في طبعة عربية وفي مقابلها الترجمة اللاتينية عام ١٥٩١م، ولا يعرف من قام بالترجمة العربية، وطبع منها ثمانية عشر ألف نسخة.

- كتاب «الكافية» لابن الحاجب «عثمان بن عمرو المتوفى سنة ٦٤٦هـ - ١٢٤٨م) وطبعت عام ١٥٩٢م. وهي مقدمة وجيزة في النحو سماها الكافية في الإعراب.

- كتاب «الآجرومية» لابن آجروم، محمد بن داود الصنهاجي المغربي (١٢٦٢ - ١٣٢٣م) وهي مختصرة شهيرة في النحو وتعرف بالآجرومية، وطبعت عام ١٥٩٢م.

- كتاب «نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق» للشريف الإدريسي، عام ١٥٩٢م، وقد قام بترجمتها في باريس جبرائيل الصهيوني، ويوحنا حصروني وهما مارونيان من لبنان.

- كتاب «تحرير أصول إقليدس» وهو تعريب هندسة إقليدس.. لنصير الدين الطوسي عام ١٥٩٤م وعنوانه باللاتينية: Euclidis: Elementorum Geometricorum Libri Tredecim MFUV.

وقد ورد في صفحته الأخيرة نص المرسوم (الفرمان) الذي أصدره السلطان مراد الثالث بالسماح لتجار الكتب في إيطاليا ببيع الكتب العربية في إيطاليا.

وبعد هذا الكتاب توقف عمل المطبعة ١٥سنة، ثم باشرت عملها ثانية وطبعت:

- كتاب «التصريف» للإمام العزي، وبه ترجمتان لاتينيتان مختلفتان في اللفظ والمعنى مع شروح موجزة قام بها ريموندي، وكان ذلك عام ١٦١٠م.

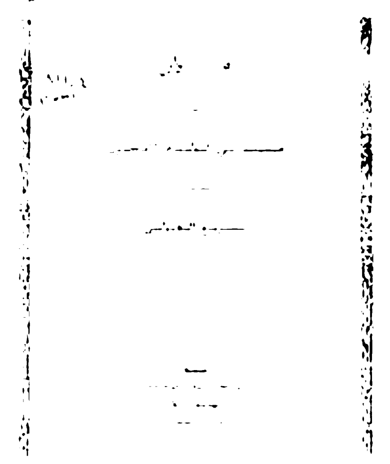
- كتاب «القصيدة الخزرجية» عام ١٦٢٢م.

- كتاب «قواعد اللغة العربية» من وضع بيترو ميتوسكالا عام ١٦٢٤م.

وقد وقفنا بأنفسنا على هذه الكتب (القانون، نزهة المشتاق، الكافية، تحرير الأصول لإقليدس، التصريف...) في مكتبة الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني، وهي بحالة جيدة جداً على الرغم من مرور أكثر من أربعمئة عام على طباعتها..

المطبعة الشرقية الغربية

وهي المطبعة التي أسسها يعقوب هلال قمر عام ١٥٩٥م في



غلاف ديوان ابن الوليد

روما وعرفت باسم المطبعة الشرقية الغربية Tipographia Linguarum extemarum، وكانت تطبع كتبها بالسيريانية والعبرية والعربية، وكغيرها من المطابع التي أنشئت في ذلك الوقت كانت تعنى بطباعة الكتب الدينية، وبدأت الطباعة باللغات العبرية واللاتينية؛ والسيريانية، ومن أهم مطبوعاتها باللغة العربية:

- كتاب «تاريخ الأب بريتوس الكبوشي» الذي طبع باللغة العربية واللاتينية وذلك عام ١٦٥٥م. ولم نستدل على غيره بالعربية لهذه المطبعة.

مطبعة الكلية الأمبروزيانية

وقد صدر عن هذه المطبعة، ومقرها ميلانو، - هي تعرف Imprimeric ambrosienne - كتاب «كنز اللغة العربية Thesaurus Linguea arabicae للفيروز أبادي، مع ترجمة لاتينية من عمل المستشرق الميلاني أنطونيو جيجيو Antonio Giggeo الذي طبع عام ١٦٣٢م في أربعة مجلدات ضخمة، ويعدّ هذا الكتاب أول معجم لغوي عربي لاتيني(١٤)، وهذا الكتاب هو الكتاب العربي الوحيد الذي طبع فيها.

المطبعة الملكية

وهي المطبعة التابعة لأكاديمية باليرمو الإيطالية Reale Stamperia a Palermo، وكان من أهم مطبوعاتها:

- كتاب «مجموعة من

النصوص العربية» وعنوان المجموعة:
Rerum arabicarum quae ad historiam Siculam Spectant ampia collectio من تأليف المستشرق الإيطالي روزاريو جريجوريو Rosario Gregorio وصدرت المجموعة باللغتين العربية واللاتينية عام ١٧٩٣م.

(ولم يظهر على الكتاب اسم المطبعة؛ إلا أنها في الأغلب الأعم من إنتاج المطبعة الملكية).

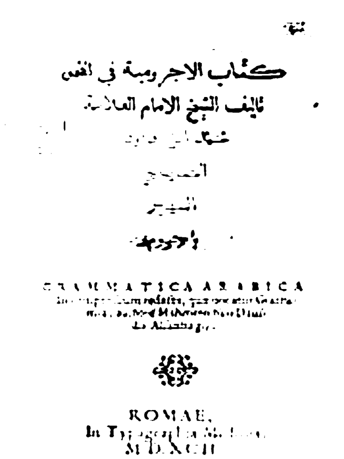
- كتاب «ديوان مصر» من تأليف يوسف فلا G. Vella؛ وذلك عام ١٧٩٣م.

- كتاب «القواعد العربية Grammatica arabica لأربنيوس Erpenio عام ١٧٩٦م وغيرها.

مطبعة معهد الرهبان في بادفيا

وهي المطبعة الملحقة بمعهد الرهبان في بادفيا Patavii بإيطاليا، وكانت في الأصل موجهة لخدمة حركة التبشير بالدين المسيحي في دول المشرق العربي، وقد أسسها لهذا الغرض الكردينال جراجوريو برباريجو Gregorio Barbarigo في أواخر القرن السابع عشر، واستقدم لها عمال طباعة متخصصين في سبك الحروف العربية، وكان من أهم ما طبعت:

- كتاب «زهور القواعد في اللغة العربية» Flores Grammaticales Arabici للأستاذ أغابتيو دابري Agaptio Dapra أستاذ العربية في مدرسة الرهبان



كتاب الأجرومية في النحو

الفرنسيسكان Idiomatis، وكان ذلك عام ١٦٨٧م، وهو أول كتاب يطبع فيها (والكتاب طبع بأحرف عربية نقلت من المطبعة المديشية)(١٥).

- كتاب «المجمل في الكمال المسيحي» عام ١٦٨٨م، وهو ترجمة عربية لكتاب Breve Compendio Della Perfezione Cristiana قام بها تيموتايو أنبيليني Timoteo Agnelini.

- كتاب «الأمثال المفيدة والصالحة في اللغات العربية والعجمية والتركية»، وهو ترجمة عربية لكتاب Proverbi Utili e Virtuosi In lingua Araba للأستاذ أغابتيو دابري قام بها تيموتيو أنبيليني Timoteo Agnelini، وكان ذلك عام ١٦٨٨م.

- كتاب «مناجاة الحبيب ونصايح القريب» لصافي الديار بكري عام ١٦٩٠م وعنوان الغلاف: Soliloquii ad dilectum et admonitiones ad Proximum، وهو مجموعة من الأشعار.

- كتاب «النص الكامل للقرآن الكريم» ترجمة، وعنوانه اللاتيني: لودوفيكو ماراكيوس (ميرتشي Marracci)، وهو راهب لاهوتي إيطالي قام بهذه الترجمة بتوجيهات من البابا أنوسنت الحادي عشر؛ وذلك للرد على المسلمين ومحاربة الإسلام من داخله، وليفتح طريقاً للجدل الديني.

ولقد تضمن الكتاب النص العربي مترجماً للاتينية مع هوامش توضيحية ونقض Refutation لكل آية أو فقرة قرآنية على حدة، بالإضافة إلى نقض مفصل للقرآن الكريم في الصفحة رقم ٢١٤. وتمت طباعته عام ١٦٩٨م في جزأين في مدينة Patavii الإيطالية، وهي في حجم قطع الربع ٨٤.

عنوانه باللاتيني هو:
Al Corani Textus Universus. In quo Per Quatuor Precipuas Vere Religions Notas Mohametanae Sectae falsitas ostenditur; Christianae Religionis Veritas Comprobatur in Ex Typographia Seminarii. quatuor Partes diuisus. 1698. Latin Patavii

- كتاب سيرة السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبي مظفر يوسف بن أيوب بن شاذي، وطبع سنة ١٧٣٢م.

- كتاب «علم الفلك عند العرب»

من جـــمع جـوزيف توالـدي عـام ١٧٩٠م.

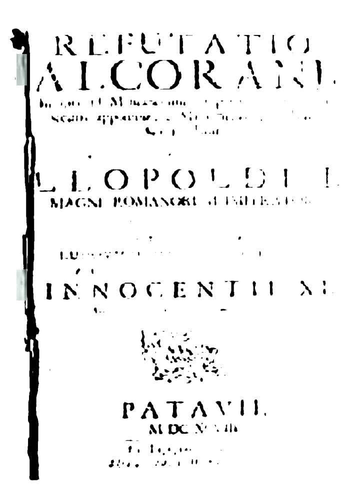
مطبعة سافاري دي بريف

أسـسـهـا في رومـا الـدبلومـاسي الفرنسي فـرانسـوا سـافـاري دي بـريـف Francois Savary de Breves سفير فرنسا في روما الذي سبق له أن عمل أيضـاً سـفـيـراً لفرنسا في تركيا لدى الباب العالي بالقسطنطينية في الفترة من ١٥٩١ إلى ١٦٠٦م، مما أتاح له أن يتبحر في العلوم الشـرقيـة: القرآن واللغـة العربية، وقام بحفر حروفها العربية والفارسية والسيريانية والعبرية في باريس مـسـتـعـيـنـاً في ذلك بعـمـال مطبعـة ميدتشي الـذين عملوا تحت يد رايمـوندي، أمـــثـــال الطبـــاع: ستيفانو بولوني Stefano Paolini، كما استعان أيضاً بخريجي المدرسة المارونيـة. وامـتـازت مطبـعـتـه من مطبـعـة «رايموندي» بجمـال شكل حـروفـهـا، وبدأت عـمـلهـا بطبـاعـة الكتب الدينية، وكـان من أهم وأول ما طبعت:

- كتاب «التـعليم المسيحي Doctrina Christana» لـلـكـردينـال روبيـرتو بـلارمن، وترجـمـه إلى العربيـة أستاذ العربيـة في جامعة رومـا الماروني نصـر الله شلق عام ١٦١٣م.
- كتاب «صناعـة النحـو» للقس جـبـرائيل الـصـهـيـوني والـشـمـاسي يوحنا الـحـصـروني، وهـمـا من خـريجي المدرسـة المارونيـة، وكـان ذلك عام ١٦١٣م.
- كتاب «المزامير» مزامير داود باللاتينية مع ترجمة عربية قام بها نصـر الله شلق والقس جـبـرائيل الصـهـيـوني عام ١٦١٤م. وأعيدت طباعتها عام ١٦١٩م.
- كتاب «أصول اللغة العربية Institutiones linguae arabicae» لفـرنسسكو مـارتلوتي Francesco Martlotti؛ وذلك عام ١٦٢٠م.

كما قامت بطباعة الكتب التالية:

- كتاب مبادئ اللغة العربية» أو


REFUTATIO
ALCORANI
LEOPOLDI I
INNOCENTII XI
PATAVII

غلاف REFUTATIO ALCORANI

مقدمة قواعـد اللغة العـربيـة Introductio ad grammaticam arabam للماروني نصـر الله شلق عام ١٦٢٢م.

- كـتـاب «نحـو اللغـة العـربيـة» لبطرس المطوشي الماروني في عـام ١٦٢٤م.
- ايسـاغـوجي.. أو «مـدخل إلى المنطق»، وهي ترجـمـة عربية لابن المقـفع، وطبـعـت عـام ١٦٢٥م. (ومعنى هذه الكلمـة «إيساغوجي» اليـونـانيـة «القـيـادة والإدخـال والتـدريب» والايسـاغـوجي ترجع لبرفيربوس ملخوس، وهو فيلسوف يوناني) وغيرها.

مطبعة مدرسة البروبغندا

وهذه المطبعة Tipografia della Sacra Congregazione de Propaganda Fide كـانت تتـبـع مـجمع انتـشـار الإيمان الذي أسس عـام ١٦٢٢م في رومـا بهـدف بث المذهب الكاثوليكي في الشـرق، لذا فـإنهـا مطبـعـة دينيـة في الأصل أسسها في روما البابا جريجوريوس الخامس عشر في مدينة روما بقصد طباعة المنشورات والكتب الدينية التي يرجع إلـيـهـا الدارسـون الشـرقـيـون في دراسـاتهم، وقـد حـصـلت على بعض الأحـرف العربيـة من مطبعـة ميديتـشي. وقد بدأت أعمالها في بداية القرن السابع عشر «عام ١٦٢٦م، ومن نـتـائجهـا الحـسـنى أنه زاد بهـا فـي أوربا الاعتناء بدرس اللغة العربية(١٦)، وكان من أهم إصداراتها:

- كتاب المختصر في أصول اللغة العربيـة أو خلاصـة اللغـة العـربيـة» لإبراهيم الحـاقـلاني Abramo Ecchellense عام ١٦٢٨م.
- كـتـاب «الأجـرومـيـة» لابن آجـروم وهـو في النحـو. المتن مع تعليق باللاتينيـة لتوماس أوبيـشيني Tommaso Obicini، وكـان ذلك عام ١٦٣١م.
- كتاب قواعد اللغـة العربيـة أو بناء اللغـة الـعـربيـة، وهو قـامـوس (عـــربي ـ إيطـالي) من وضـع

الراهب الصقلي الأب دومينيك جرمانوس سلازيا Germanus الأستاذ في الكلية المارونية بروما، وكان ذلك عام ١٦٣٦م، وعنوان الكتاب اللاتيني:

Febrica Overo Dictioario della Linguca Volgare arabica et italiana. وقد جعله المؤلف مقدمة للقاموس الضخم الذي طبعه بعد ذلك (وأعيد طبعه عام ١٦٣٩م)(١٧).

- قاموس عربي سيرياني لاتيني للمستشرق R. F THOMAI

- كتاب «الاقتداء بالمسيح» لتوما الكمبيسي Thomas da Kempis، ونقله إلى العربية المبشر اللبناني سلستين دي سانت Celestino di sant Lidvina، وهو راهب كرمليتاني (هولندي)، وهي أول ترجمة عربية تطبع لهذا الكتاب ط١، ١٦٦٣م، روما.

كما طبعت كمعظم المطابع في ذلك الوقت:

- «الكتاب المقدس» في ثلاثة أجزاء باللاتينية والعربية، وقد أشرف على طباعته البطريك الماروني سركيس الرزي، وكان ذلك عام ١٦٧١م.

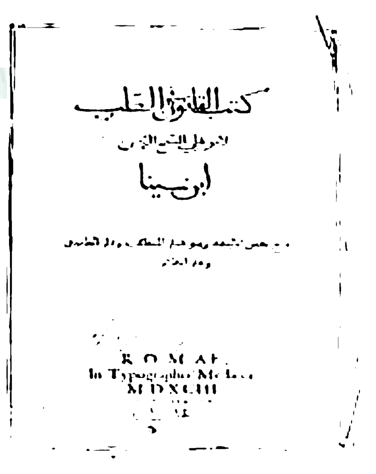
- النص الكامل «العهد القديم والعهد الجديد» Vecche Nuovo Testamento من عمل مجموعة من المستعربين الإيطاليين، وهو مكون من أربعة مجلدات عام ١٦٧٢م.

- العهد الجديد Novum Testamentum عام ١٧٠٣م بالعربية والسريانية.

- ترجمة كتاب «المتعبد لمريم العذراء» لبولس السنيري Polo Segneri عام ١٧١٦م(١٨).

- كتاب الحوليات الكنائسية Annal ecclesiastici لشيزري بارونيو؛ وذلك عام ١٦٧١م.

- «كتاب يشتمل على أجوبة أهل الكنيسة المقدسة الكاثوليكية عن اعتراضات الهراطقة ضد الكاثوليكيين» لميخائيل لوفيير، وطبع عام ١٦٨١م(١٩).



كتاب القانون في الطب

- كتاب: «كتاب في الدفاع عن الدين المسيحي» للراهب الصقلي الأب جرمانوس Germanus، وطبع عام ١٦٣٨م.

ومن أبرز مطبوعاتها المتأخرة أيضاً:

- كتاب «الاستعداد للموت» للفونسوس ليكوري، ترجمه مكسيموس مظلوم؛ وذلك عام ١٨٣٩م.

- كتاب «ليتورجيات». وهو أشبه بشعائر وتسابيح كنسية للقديس يوحنا فم الذهب رئيس أساقفة القسطنطينية، طبع عام ١٨٣٩م.

- كتاب «مرشد الكاهن» للأنبا بولص السيري عام ١٨٤٤م.

- كتاب «الزيارة اليومية» للفونسوس ليكوري، ترجمة مكسيموس مظلوم؛ وذلك عام ١٨٤٧م.

المطبعة الشرقية الملكية بباريس

وهذه المطبعة Imprimerie des langues orientales أول مطبعة تمتلك حروفاً عربية في فرنسا عام ١٦١٣م، وهي الحروف التي كانت تمتلكها مطبعة سافاري. أنشئت بأمر الملك لويس الثالث عشر عندما أراد طباعة التوراة ضمن مشروع عرف باسم التوراة الذي أشرف عليه «لي جاي» وغيرها من الكتب الدينية والأدبية، خاصة بعد أن تدعمت المطبعة عندما نقل سافاري دي بريف مطبعته العربية من روما إلى فرنسا (باريس) ليتابع نشر الكتب الدينية بالحروف العربية، مستفيداً من اثنين من رجال الدين المسيحي اللبنانيين الموارنة الذين كانوا يقيمون في روما: وهما القس جبرائيل الصهيوني الهدهداني الماروني، والشماس يوحنا الحصروني الماروني(٢٠) وكان يديرها إسطفانوس بولس؛ فعندما مات سافاري ضمت مطبعته إلى

المطبعة الملكية. وكان من أهم مطبوعاتها:

- التوراة (توراة لي جاي) عام ١٦١٥م.
- كتاب «مقاصد الحكم لفلاسفة العرب» الذي ألفه إبراهيم الاقلاني عام ١٦٤١م.
- نص المعاهدة التي عقدها سافري ملك فرنسا مع السلطان أحمد الأول.
- كتاب «العقيدة على طريقة السؤال والجواب» من تصنيف الكاردينال بلرمين عام ١٦١٣م. وترجمه إلى العربية فكتور شلق الكوراني.
- كتاب «النحو العربي» للقس جبرائيل الصهيوني والشماسي يوحنا الحصروني، اقتصر على تعليم مبادئ الخط العربي، وكان ذلك عام ١٦١٦م.

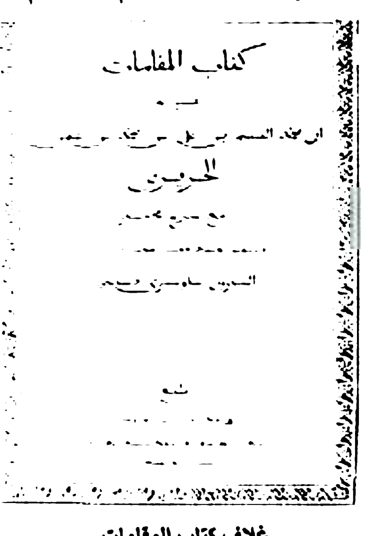
كما طبعت هذه المطبعة فيما بعد:

- كتاب «مسابقة البرق والغمام في سعادة الحمام» لميخائيل بن نقولا بن إبراهيم صباغ Michel Sabbagh، وقد ترجمه من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية سلفستر دي ساسي في دار المطبعة السلطانية بباريس عام ١٨٠٥م (الشكل رقم١٥) والكتاب يقع في ٩٦ صفحة من قطع الثمن ٨vo. وغيرها.

الطباعة في هولندا

مطبعة ليدن LEIDAE بهولندا، من المطابع الشهيرة التي اعتنت بطباعة كتب أمهات التراث العربي والإسلامي، وقدمت خدمات جليلة للدارسين من المستشرقين، وأنشأها رافلنجيوس F. Van. Ravelinen (١٥٣٩ـ ١٥٩٧م) في ليدن بهولندا عام ١٥٩٥م، وخلفه عليها توما فان أرب المعروف بأربنيوس Thomas Von Erpe, or Erpennius (١٥٨٤ـ ١٦٢٤م) أستاذ اللغة العربية في جامعة ليدن، والمستشرق الهولندي الشهير الذي قدم عدة دراسات في مجال اللغة العربية، وكان من أهم مطبوعاتها:

- كتاب «معجم عربي» من وضع رافلنجيوس F. Ravelinen Van. عام ١٦١٣م.
- كتاب «الأمثال» أو مئتان من الأمثال العربية، جمعها مؤلف عربي مجهول وشرحها، مع ترجمة لاتينية وتعليقات قام بها العالم الموسوعي جوزيف سكاليجر Josephi Scaligeri (١٥٤٠ـ ١٦٠٩م) وتلميذه توماس أربنيوس Thomas Erpenni عام ١٦١٤م.



غلاف كتاب المقامات

- كتاب «أمثال لقمان الحكيم وبعض أقوال العرب» عام (١٦١٥م) بشروح توماس أربنيوس Erpennius، وهي، حسب رأي عبدالرحمن بدوي(٢١)، خرافات منسوبة إلى لقمان الحكيم، وهي في الواقع تعديل لخرافات ايسوفوس اليوناني. حرره كاتب نصراني مصري مجهول، وبلغة عربية ذات رطانة مألوفة لدى الكتّاب النصارى الأقباط في مصر، وظهرت هذه النشرة بالعنوان العربي واللاتيني التالي:

Locmani sapienis Fabulae et selecta quaedam Arabum Adagia cum interpretatione Latina et notis Thomae Erpenii. Leidae, in Typographia Erpeniana Linguarum Orientalium, 1615.

وكما هو واضح من العنوان، فإن هذه النصوص العربية مشفوعة بترجمة لاتينية وتعليقات، وهو من قطع الثمن وعدد صفحاته ١٧٢ صفحة.

- كتاب «العهد الجديد» عام ١٦١٦م.
- كتاب «قصة يوسف» وهي من القرآن الكريم، طبع عام (١٦١٦م).
- كتاب «العوامل المئة في النحو» للجرجاني، طبع عام ١٦١٥م.
- كتاب «قواعد اللغة العربية» لتوماس أربنيوس طبع عام ١٦٢٠م، وعام ١٦٢٨م.

ـ كتاب «منتخبات من الحماسة لأبي تمام» متنًا وترجمةً لاتينية، وطبع عام ١٦٢٥م.

ـ كتاب «شذرة الأدب من كلام العرب» وفيها حكم لعلي بن أبي طالب، وهو من تأليف يعقوب جوليوس Jacob Golius (١٥٩٦ - ١٦٦٧م) من تلاميذ أربنيوس، وكان طبعه عام ١٦٣٩م.

ـ كتاب « تاريخ ابن المكين» المسمى بابن العميد المصري، وقد طبع متنًا وترجمةً لاتينية باعتناء العلامة توماس أربنيوس Thomae Erpennii، طبع عام ١٦٤٥م

ـ كتاب بعنوان «كتاب محمد بن كثير الفرغاني في الحركة السماوية وجوامع النجوم»، وهو من تعريب محمد بن كثير الفرغاني، عن مصنف بطليموس الفلوذي في علم الهيئة بتفسير الشيخ يعقوب جوليوس Jacob Golius، وطبع عام ١٦٦٩م.

وظهر الكتاب باللاتينية والعربية، ويعرف الكتاب الأصل لبطليموس الفلوذي الذي نبغ في القرن الثاني بعد الميلاد في الإسكندرية باسم المجسطي، وهي كلمة لاتينية معناها الأكبر أو الأعظم، لأن هذا المصنف كان حينئذ أشمل كتاب في الهيئة(٢٢) (وقد اطلعنا على النسخة بالمكتبة.. وهي لا تزال بحالة جيدة جدًا) .

ـ كتاب «لب الباب/ أو اللباب في الأنساب» طبع عام ١٧٥١م في بريل بعناية بطرس يوهان فيث.



غلاف كتاب RUDIMENTA

المطابع في إنجلترا

مطبعة لندن العربية

وقد أنشئت مطبعة لندن العربية في بداية القرن السابع عشر، واعتنت بكتب التراث العربي، بقصد خدمة الدراسات الاستشراقية، كما أولت اهتمامًا خاصًا لكتب التراث العلمي العربي، ومن أهم مطبوعاتها:

ـ كتاب «توراة موسى النبي عليه السلام» عام ١٦٢٢م. وهو باللغة العربية مع مقدمة لاتينية.

ـ كتاب تاريخ الدولة الخوارزمية لأبي الفداء عام ١٦٥٠م.

ـ كتاب «عجايب المقدور في أخبار تيمور» تأليف أحمد بن عربشاه عام ١٦٨٦م، وقد أعيد طبع هذا الكتاب عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م في مطبعة وادي النيل بالقاهرة، طبعة أولى. وغيرها.

مطبعة جامعة أكسفورد

وكانت ملحقة بجامعة اكسفورد Oxford، وقد أسسها وأشرف عليها العلامة والمستشرق البريطاني إدوارد بوكوك Pocock Edward الذي اعتنى بطباعة كتب التاريخ والأدب العربي لتزويد الدارسين والباحثين والمبشرين بمراجع عربية تعينهم على الدراسة والبحث والتبشير. ومن أهم مطبوعاتها:

ـ كتاب مختارات من تاريخ العرب «لمع من أخبار العرب»، وعنوانه اللاتيني Specimen Historiae Arabum وهو أول كتاب يطبع في أكسفورد بحروف عربية، والكتاب يبدأ بنشر صفحات من كتاب «تاريخ مختصر الدول» لأبي الفرج غريغوريوس المعروف بابن العبري، وهي الصفحات التي قدم بها ابن العبري عرضه للتاريخ الإسلامي عام ١٦٥٠م. (٢٣)

ـ لامية العجم للطغرائي عام ١٦٦١م، وترجمة لاتينية وشروح لبوكوك وعنوانها اللاتيني: Lamiato I Ajam Carmen Tograi.

واطلعنا أيضًا على طبعة عام ١٧٦٩م (مطبعة فرانكير)، والمتن عربي لاتيني بشروح سلوت Sloot.

ـ كتاب «تاريخ مختصر الدول» لابن العبري عام ١٦٦٣م.

ـ المعجم اللغوي.. وعنوانه باللاتينية Lexicon hep glottonta وهو لسبع لغات شرقية منها العربية، ونشره المستشرق آدموند كستال Edmond Castel عام ١٦٦٩م.

- كتاب «الصلوات لكل يوم على عادة بيعة الإنجليز» لبوكوك، وطبع عام ١٦٧٤م.

ومن مطبوعاتها أيضاً:

- كتاب «حي بن يقظان» لابن طفيل ونشره بوكوك Pococke عام ١٦٧١م. (أعيد طبعه عام ١٧٠١م ونشره بوكوك الابن).
- كتاب «الكنائس والأديرة في مصر» لأبي صالح الأرمني، متناً وترجمة إنجليزية مع شروح،

AL-CORANUS
S.
LEX ISLAMITICA
MUHAMMEDIS
FILII ABDALLÆ
Pseudoprophetæ,
Ad optimorum Codicum fidem edita
ABRAHAMI HINCKELMANNI
HAMBURGI,
Ex Officina Schultzio-Schilleriana,

غلاف AL_CORANUS

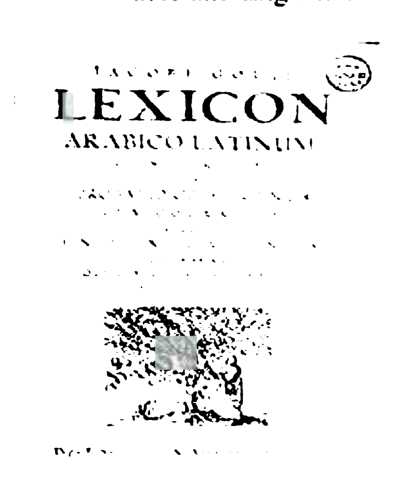
وطبعت عام ١٨٩٥م.

- كتاب «نثر اللآلئ لعلي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)» عربي لاتيني ويقع في ٤٢٨ص طبع عام ١٨٠٦م

مطبعة كامبردج

ومن أهم مطبوعاتها في هذه المجموعة:

- كتاب «مختارات من الشعر العربي من أقدم التاريخ إلى نهاية عصر الخلفاء الراشدين» عام ١٧٤٥م.
- كتاب «معجم عربي لاتيني» من وضع يوهان وليم ١٧٨٤م وعنوانه: Lexicon Lingvae Arabicae.
- كتاب «معجم المفردات الفارسية والعربية والإنجليزية في اللغة الهندية الحديثة» طبع عام ١٧٨٥م في مطبعة لندن، وهو من وضع وليم كيركباتريك. وعنوانه: A Vocabulary Persian, Arabic and English.....



غلاف LEXICON

مطابع ألمانيا

مطبعة هامبورج

طبعت مطبعة هامبورج Hamburg، عدداً من الكتب الإسلامية المهمة والتي يجيء في مقدمتها:

- القرآن الكريم.. عام ١٦٩٤م بإشراف المستشرق الشهير إبراهام هنكلمان Abraham Hinckelman.

وهي من المطبوعات النادرة والثمينة للقرآن، وهو أول مطبوع كامل من القرآن الكريم مع مقدمة باللاتينية لهنكلمان شغلت ثمانين صفحة من الكتاب، ولايزال منه عدة نسخ في المكتبات الأوربية العريقة، وقد وقفنا عليه في مكتبة الشيخ حسن في الدوحة.

مطبعة لايبسك

أنشئت في مدينة لايبسك LEIPZIG بألمانيا، وقامت بطبع عدد من كتب التراث العربي نذكر منها:

- كتاب «رسالة ابن زيدون» عام ١٧٥٥م.
- كتاب «منتخبات من شعر المتنبي» عام ١٧٦٥م.

ومن أشهر مطبوعاتها أيضاً:

- كتاب «أخبار الإسلام» لأبي الفداء، طبع عام ١٨٣١م.
- «مقدمة الأدب» للزمخشري، وهو قاموس عربي فارسي، صححه وتزستاين، وطبع عام ١٨٥٠م.
- كتاب «كامل التواريخ» لابن الأثير الجزري في ١٤ جزءاً، طبع بين عامي ١٨٥١ - ١٨٧٦م.
- كتاب «المعرَّب من الكلام الأعجمي» للجواليقي، طبع عام ١٨٦٧م، باعتناء العلامة الألماني كارلس إدوارد ساخاو.
- كتاب «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لمصطفى بن عبدالله كاتب جلبي المشهور بحاجي خليفة، والمطبوع عام ١٨٣٥ - ١٨٥٨م باعتناء العلامة فلوغل.

بالإضافة إلى:

- كتاب «قواعد اللغة العربية»

مطبعة روستشي عام ١٧٩٢م.

- رسالة في الصرف لابن جني مع ترجمة لاتينية، وطبعت عام ١٨٨٥م. وغيرها.

- كتاب «كتالوج الكتب والمخطوطات العربية والتركية واليونانية واللاتينية بالمكتبة المركزية الفرنسية» - مطبعة أبسالا عام ١٧٠٦م. وغيرها.

هذا عدا المطابع الأوربية الأخرى التي طبعت أيضاً عدداً من الكتب العربية في سعيها إلى التنصير من جهة، وتعرف التراث العربي والإسلامي فيما عرف بالحركة الاستشراقية من جهة أخرى، نذكر منها الكتب التالية، وهي الكتب التي وقفنا عليها أيضاً في مكتبة الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني بالدوحة ومنها:

- كتاب الدين والعبادات الإسلامية من تأليف/ أدرين ريلاند، وهو طبعة نادرة، ويقع في جزأين، طبع عام ١٧٠٥م في مطبعة Utrecht وعنوانه:

De Religione Mohammedica libri duo quorum prior exhibet...

- كتاب ذكر الأندلس للشريف الأندلسي بعناية وملاحظات جوزيف أنتوني كوندي والمطبوع في مدريد عام ١٧٩٤م، وعنوانه:

Descripcion De Espana



غلاف LINGUAE ARABICAE

- كتاب «نماذج من آداب اللغة العربية» مع دراسة تحليلية باللغة اللاتينية لقواعد اللغة العربية قامت بها مجموعة من المستشرقين، وطبعت عام ١٦٣٧م في روستوتش، وتتصدرها مقامات الحريري.

- كتاب «موجز قواعد اللغة العربية» من وضع دي سوسا، لشبونة عام ١٧٦٥م. وعنوانه: Compendio Da Grammatica Arabiga.

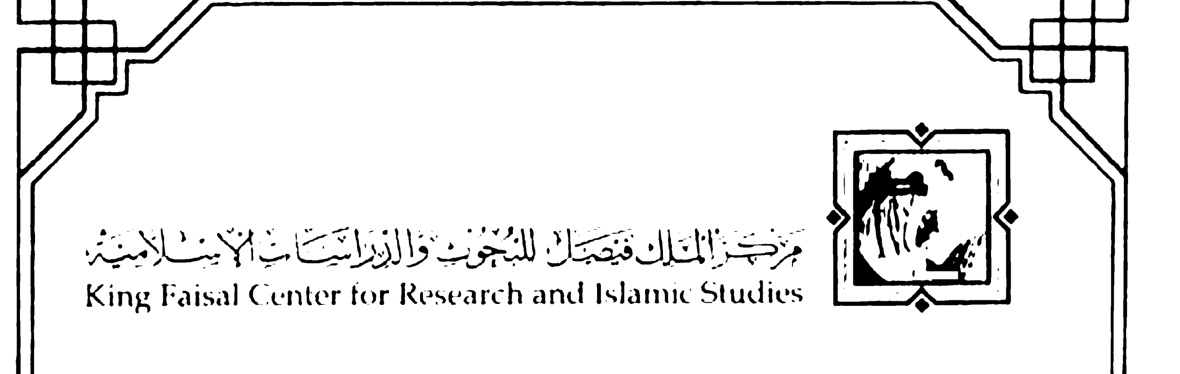
- كتاب «رسائل الرسول باولو» باللغة العربية من جمع جون أنتودي لشبونة عام ١٦١٢م. وعنوانه: D. Pavli Apostoli Epistola Ad titvm Arabice.

- كتاب «وصف مصر لأبي الفداء»، وهو لاتيني - عربي كتب مقدمته وترجمه إلى اللاتينية جونس ديفيد مايكل، وطبع عام ١٧٧٦م في مطبعة جوتنجن بالدانمارك.

- كتاب «مورد اللطافة» لجمال الدين بن تغري بردي، وهو من ترجمة كارليلي، طبع عام ١٧٩٢م.

المراجع

١. أبو الفتوح رضوان: تاريخ مطبعة بولاق، ط١، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٥٣م ص٤.
٢، ٣ - خليل صابات: تاريخ الطباعة في الشرق العربي، ط٣، دار المعارف بالقاهرة، ١٩٦٥م ص١٥.
٤. نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط٤، جـ١، ص١٠٤.
٥. كميل أبو صوان: بداية الطباعة العربية (مقال في مجلة رسالة اليونسكو العدد ٣٢٦ يوليو/تموز ١٩٨٨م ص٢٥.
6 Y.H. SAFADI: ARABIC PRINTING & BOOK PRODUCTION. LONDON 1977, P224.
٧. كميل أبو صوان: المصدر السابق ص٢٥.
٨. محمود الطناحي: مدخل إلى نشر التراث العربي، الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م، ص١٦.
٩. ألولفا بنتو: الطباعة العربية في إيطاليا، مجلة المشرق، مركز العلاقات الإيطالية - العربية، العدد ١ - ٢، ١٩٩٤م: ص٨.
١٠. إبراهيم عبده: تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة الفرنسية، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، ص٢٠.
١١. إنجيلا نيوفر: اكتشاف النسخة العربية للقرآن الكريم، دراسة في كتاب دراسات في الحوار الثقافي العربي - الأوربي، زغوان، تونس، ١٩٩٣م، ص٤١.
١٢. إبراهيم عبده: مصدر سابق ص٢٠.
١٣. عبدالرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٤م ص١١٠.
١٤. وحيد قدورة وآخرون: بداية الطباعة العربية في إستنبول وبلاد الشام، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية، زغوان، تونس، ١٩٩٢م، ص٢٨.
١٥. ألولفا بنتو. مصدر سابق ص١١.
١٦. أدورد فنديك: مصدر سابق ص ١٤، ١٥.
١٧. وحيد قدورة، وآخرون: مصدر سابق، ص١٨.
١٨. ألولفا بنتو: مصدر سابق ص٩.
١٩. وحيد قدورة وآخرون: مصدر سابق ص١٨.
٢٠. عبدالرحمن بدوي: مصدر سابق ص٣٨٤.
٢١. عبدالرحمن بدوي: مصدر سابق ص١١٠.
٢٢. أدورد فنديك: كتاب اكتفاء القنوع بما هو مطبوع من أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية، دار صادر، بيروت، مصور عن الكتاب الذي طبع في مطبعة الأليف «الهلال» بالفجالة - مصر عام ١٨٩٦م. تصحيح السيد محمدعلي الببلاوي ص ٢٤٢و٢٤٣.
٢٣. عبدالرحمن بدوي: مصدر سابق ص٩١.



Mohammed AL-Osaimi

The Politics of Persuasion

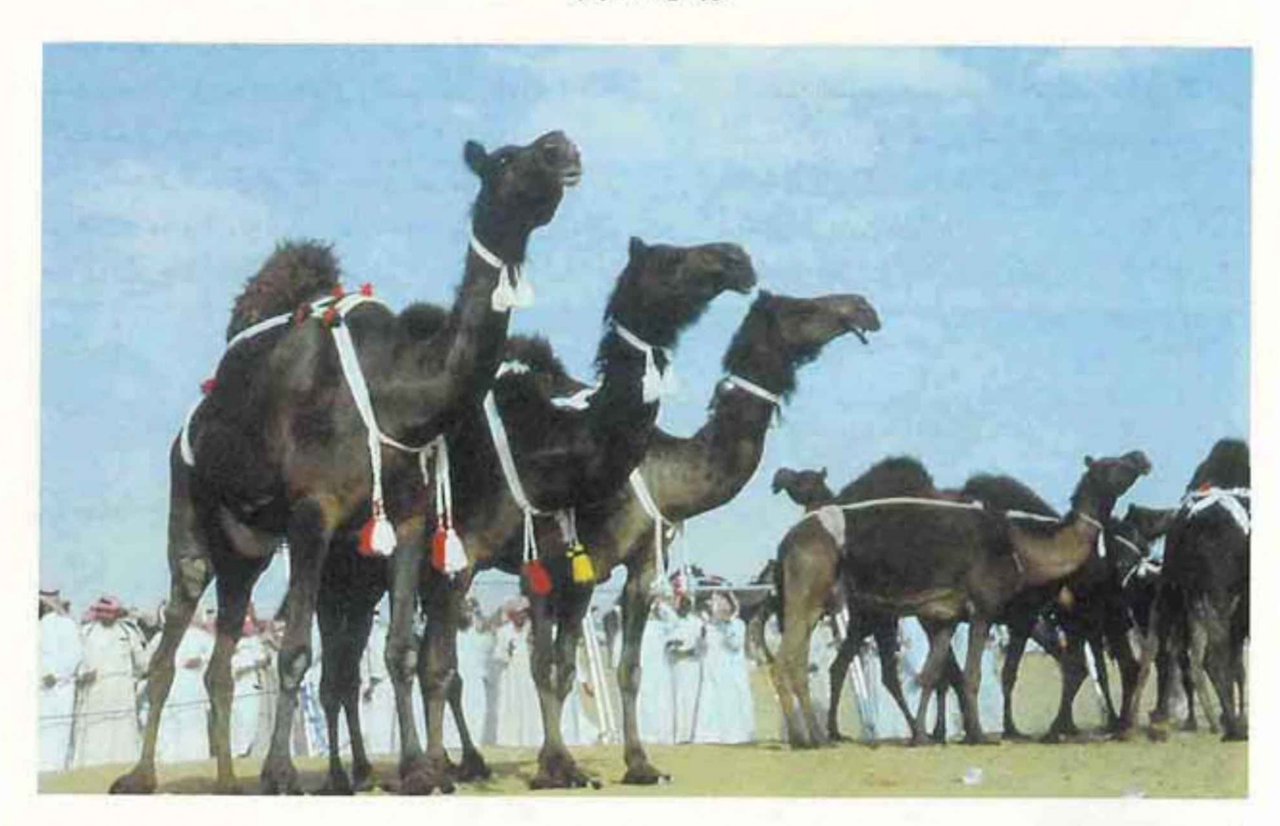
The Islamic Oratory of

King Faisal Ibn Abdul Aziz

KING FAISAL CENTER FOR RESEARCH
AND ISLAMIC STUDIES
Riyadh
2000

مسابقة جَمال الإبل
«مزاين الإبل»

محمد بن حسين بنونة
الرياض ـ السعودية



يهتم أهل البادية، منذ القدم، اهتمامًا واضحًا بإبلهم، لما تربطهم بها من علاقة حميمة، ولاعتمادهم الكبير عليها في حياتهم، حتى أصبحت محل مباهاة بينهم، ولذا لم يعد غريبًا أن ينظموا مسابقات تأخذ شكلاً عصريًا، ترمي إلى التشجيع على امتلاك الإبل والعناية بها، بوصفها جزءًا أساسيًا في حياتهم، وعنوانًا لها. ومن أشهر أنواع هذه المسابقات تلك التي تجرى سنويًا في صحراء الدهناء بمنطقة الملسونية الواقعة شمال طريق الرياض ـ الأحساء القديم، والتي تغلب على تضاريسها الطبيعة الصخرية المنبسطة مع بعض الهضاب البسيطة، وتغطيها الرمال في بعض المناطق بغطاء نباتي خفيف ومتفرق. وجاء اختيار هذه المنطقة الصحراوية لتوسطها بين دول مجلس التعاون الخليجي.

ضمت المسابقة التي جرت في يوم ٢٨ محرم الماضي جمعاً غفيراً من أبناء البادية من دول مجلس التعاون الخليجي على الرغم من شدة الحرارة وسوء الطقس.

ويعرف أهل البادية هذه المناسبة السعيدة بالنسبة إليهم بمزاين الإبل، حيث ينتشر الناس من مختلف الجنسيات، والإبل والسيارات على مساحة كبيرة من الأرض.

تنظيم المسابقة

تقوم بتنظيم هذه المسابقة السنوية التي تشهد كل عام تطوراً في التنظيم وتزايداً في عدد الحضور والمتابعين دولة الإمارات العربية المتحدة منذ ما يقارب أربعة أعوام.

واستعداداً لبدء المسابقة بُني صيوان ضخم «خيمة» يتوسط المنطقة، عليه أعلام إماراتية وسعودية. يُجمع فيه الناس لوجبات الطعام مجاناً، ويقدم فيه الشاي والقهوة العربية، وتدور فيه الأحاديث بين الحضور.

ويتطلع كل متسابق إلى الفوز بإحدى الجوائز القيمة التي تقدم في هذه المناسبة والتي تتمثل في سيارات (صالون) وسيارات نقل صغيرة، إلى جانب جوائز نقدية مجزية.

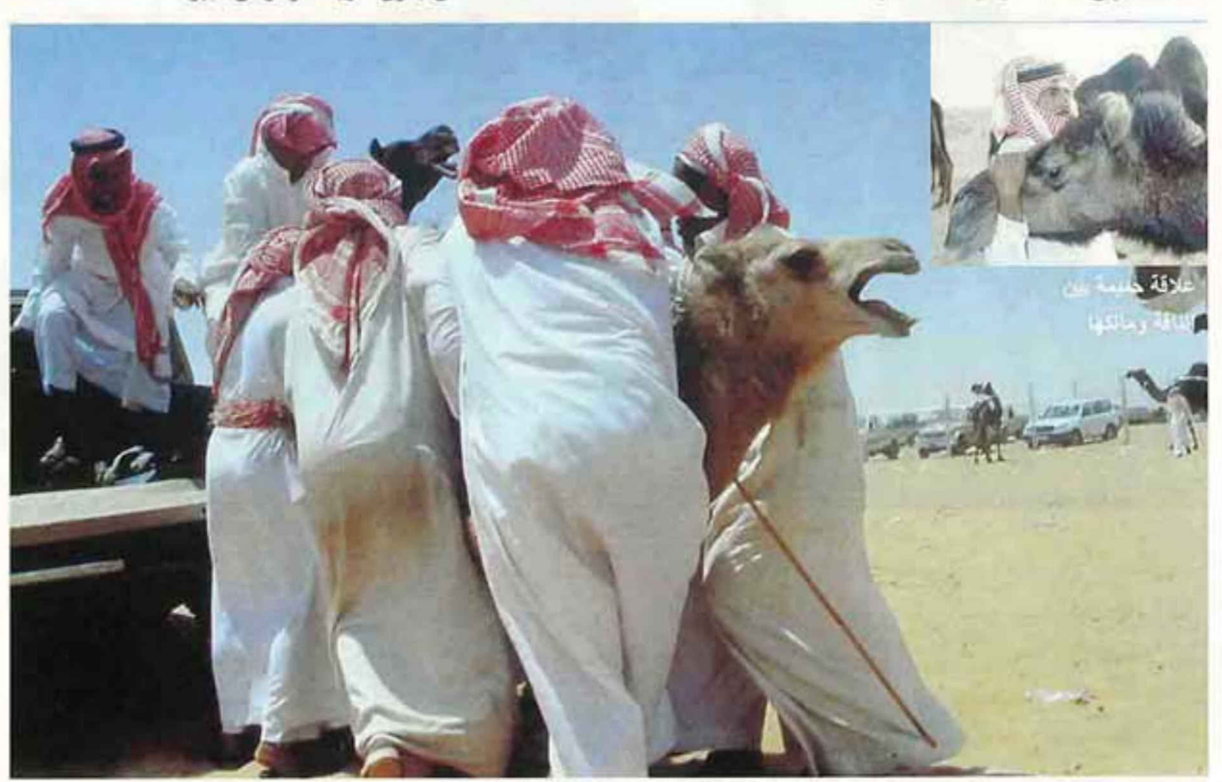
ولتحديد الفائزين يتم تشكيل لجنتين للفرز والاختيار؛ الأولى لجنة سعودية تختار الإبل الإماراتية، والثانية لجنة إماراتية تختار الإبل السعودية حتى تكون النتائج مرضية للجميع. وضماناً لحيادية القرارات يشرف على اللجنتين العميد محمد بن كردوس، ويشرف على الحفل بشكل عام وعلى صرف جوائزه الشيخ محمد بن بطي بن حامد.

وتبدأ أولى الخطوات بتجميع الإبل في الصباح الباكر في (شبك) كبير، ثم تتم تصفية الإبل ولا يبقى في هذا الشبك إلا النياق التي ستدخل السحب النهائي على الجوائز. ويهتم مالكو الإبل بتزيينها، وغسلها بالماء و«الشامبو»، ووضع قلادات كحلية عليها.

كيفية المفاضلة

وضع القائمون على المسابقة مجموعة من المعايير لتحديد الإبل والنياق الفائزة، تتمثل في الصفات التالية:

- **المشافر**: أن تكون ضافية ومهدلة إلى أسفل
- **اللحي**: أن يكون طويلاً.
- **الخد**: أن يكون عريضاً والرأس كبيراً.

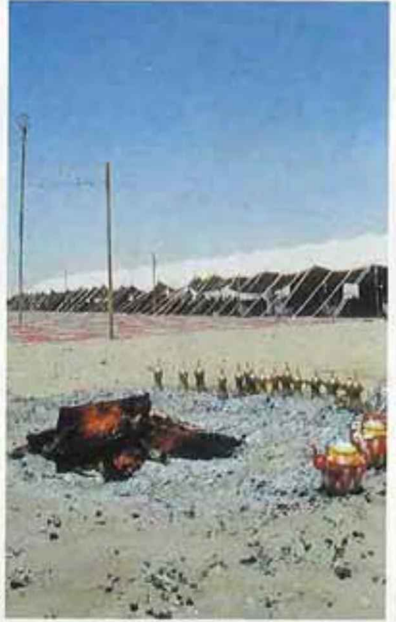


علاقة حميمة بين الناقة ومالكها

النوق الصغيرة تستبعد فلا تبقى إلا أمهاتها



النياق التي وصلت إلى التصفيات النهائية



موقع الصيوان الرئيس



السيارات وقد اختلطت بالإبل

- الرقبـة: أن تكون طويلة وممتدة إلى الأمام.
- النحر: أن تكون ذات نحر وزور واسعين.
- الذراع: أن يكون جليل العظم عريضه.
- الساموح: أن يكون طويلاً عريض العظم.
- الخف: أن يكون واسع الاستدارة، وتكره ذات الخف الصغير.
- الطول: تفضل الناقة الطويلة.
- الديد (الثدي): تفضل ذات الديد المركن.
- العرقوبان: تكون المسافة بين العرقوبين واسعة، أي فجحاء، وأن تكون جليلة عظم الكراع.
- الساق: أن تكون جليلة عظم الساق.
- الهلب: كثيرة شعر الذيل وقصيرة جذع الذيل.
- عكرة الذيل: أن تكون عكرة ذيلها عريضة.
- العيز ـ الردف ـ الفقار: قصيرة المسافة بين نهاية السنام وعكرة الذيل، وأن يكون عريضًا إذا نظر إلى الناقة من الخلف، أي أن تكون المسافة بين الوركين عريضة.

ـ **الفخذ:** أن تكون أفخاذها مكتنزة باللحم.
ـ **السنام:** أن يكون متأخراً وعريضاً مستديراً.
ـ **شعفة السنام:** وهو الشعر الذي يغطي السنام فتفضل ذات الشعر الكثير الملتوي كأنه حلقات؛ لأن ذات الشعر المستقيم «السائب» لا ترغب.
ـ **الغارب:** تفضل ذات الغارب المارق، أي المرتفع إلى أعلى والممتد إلى الأمام.
ـ **المعذر (الفاعوس):** تفضل ذات المعذر العريض، وأن يكون به شعر.
ـ **الأذن:** تفضل ذات الأذن الطويلة الحادة.
ـ **العرنون (العرنين):** تفضل ذات العرنون المرتفع المقوس، وأن يكون وجهها حديداً إذا نظر إليه من الأمام.
ـ **الجنب ـ الشقة:** وهي المسافة بين برجمة الكتف وزر الورك، ويفضل أن تكون هذه المسافة واسعة ما أمكن.
ـ **الشاكلة:** أن تكون الشاكلة طافية وغير مرتفعة.
ـ أن يكون رأس السنام أي ذروته مقابلة للصرة. علماً بأن هذه المواصفات تختلف من ناقة إلى أخرى. فالمواصفات مثلاً في المجاهيم (السوداء اللون) تختلف عن المغاتير (البيضاء اللون)، وهكذا. وهناك رسم يوضح أجزاء الإبل التي تؤخذ صفاتها في الحسبان عند الترجيح والاختيار. ويبدأ توزيع الجوائز بمنح جائزة لأجمل ناقة من النياق الإماراتية المشاركة، ثم أجمل مجموعة لمالك، ثم أجمل ناقة للإبل السعودية، ثم أجمل مجموعة لمالك سعودي، ثم الثنايا ـ فالجذاع ـ فالحقائق ـ فاللقايا ـ فالمفاريد فالصغار.

سوق وأسعار خيالية

تصاحب هذه المناسبة مجموعة من الفعاليات التي تعطيها طابعها، فهناك سوق لبيع الإبل وشرائها، ووصل أعلى سعر للناقة إلى أكثر من ٤٥٠ ألف دولار أمريكي. وكذلك سوق شعبية شاركت فيه نساء من البادية بمصنوعاتهن اليدوية مثل الشمايل، والأعقلة، والحليات التي توضع لتجميل النياق المشاركة. وسوق أخرى لبيع الشعير، والتبن، وبقالات متنقلة لبيع المواد الغذائية والمشروبات المبردة.

سعيدو الحظ

بعد أربعة أيام من التنافس في جو أخوي، وعمل شاق



ناقة تستعرض جمالها أمام الحضور



امرأة تعرض مصنوعات يدوية للبيع



صورة من الموقع، ويبدو جزء من اللافتة الخاصة بالمناسبة

قامت به لجان الاختيار، استقرَّ الرأي على منح محمد عوض المنهالي من الإمارات العربية المتحدة جائزة أفضل مجموعة لمالك، وفاز الشيخ محمد بن بطي بن حامد بجائزة أفضل ناقة (شيخة)، أما أفضل ثنية (دهُامة) فكانت من نصيب راشد غدير المنصوري.
ومن السعودية فاز بأفضل مجموعة ناصر مهنا المسبيعي،

ولاطلاع القارئ الكريم على مزيد من المعلومات عن سفينة الصحراء، وللوقوف على الاهتمام الذي يوليه العرب لهذا الحيوان الأليف الذي يقاسم أهل البادية حياتهم نقدم تعريفات ببعض أجزاء الإبل وألوانها وصفاتها:

أعضاء الإبل

المشفر: جمعه مشافر: بمنزلة الشفة من الإنسان.
الجران: من مذبح البعير إلى منحره.
الزور: صدر البعير.
الجشم: صدر البعير.
الخلف: الضرع.
الخيف: جلد الثيل.
الطبي: حلمة الضرع التي فيها اللبن.
الضرة: الضرع كله ما خلا الأطباء.
مساعر الإبل: آباطها ومارقّ منها.
الغارب: الكاهل.
الملاطان: جانبا السنام.
التامك: السنام.
الشاكلة: ما ولي الجنب.
المقلم: قضيب البعير وغلافه.
الثيل: القضيب.
الحياء: فرج الناقة.
العجب: أصل الذنب
العجاوة والعجاية: عصب في قوائم الإبل تنحدر من ركبة البعير إلى الفرسن.
الخف من الإبل: كالحافر من الخيل، والظلف من الشاء والبقر.
الفرسن: طرف خف البعير.
البخصة: لحم أسفل خف البعير.
المنسم: طرف الخف.
ناقة خثماء: مستديرة الخف قصيرة المناسم.
بعير أرح: عريض الخف.

ألوان الإبل

بعير أحمر: لم يخالط حمرته شيء.
بعير أورق: أسود يخالط سواده بياض.
بعير أدهم: اشتدت ورقته حتى يذهب البياض الذي فيه.
ناقة جرشية: حمراء.
بعير أشكل: يخالط سواده حمرة أو غبرة.
المغض: البيض من الإبل الخالصة البياض.
الأدم: الشديد السمرة، وقيل: الأبيض فإن خالطته حمرة فهو أصهب.
الأعيس: الذي خالط بياضه شقرة.
الأكهب: من الكهبة وهي غبرة مشربة سوادًا.
الهجان: البيضاء الخالصة اللون.
الأخضر: الذي اغبرّ حتى يضرب إلى الخضرة.
الأحوى: الذي خالط خضرته سواد وصفرة.
الأكلف: الشديد الحمرة يخلط حمرته سواد ليس بخالص.
الأحسب: الذي في سواده حمرة أو بياض.
الأمغر: في وجهه حمرة مع بياض صاف.
الأسمر: الذي يضرب إلى البياض في شهبة.
الغيهب: المظلم.

صفات الإبل

القريع من الإبل: المختار للضراب.
الفنيق: الذي نعم وسمن للفحلة ونجابة الضراب.
المختاف من الإبل: كالعقيم من الناس.
الحوار: ولد الناقة حين يولد إلى أن يفطم.
الفصيل: الذي يأكل الشجر ويشرب الماء بعد أن يفصل عن أمه إذا بلغ سنة.
القعود: الذكر الثنيّ الذي لا يتبع أمه.
والقلوص: الثنية بمنزلة الفتى والفتاة.
الناقة الرائم والرؤوم: العطوف على ولدها.
العلوق: التي لا ترأم ولدها، ولكنها تشمه ولا تدرّ عليه.
الظئر والظؤور: التي تعطف على ولد غيرها.
الجراض: اللطيفة.
الواله: التي يشتد وجدها على ولدها.
العجول: التي مات ولدها.
الحلوب: ذات اللبن.
الشصوص: التي لا لبن لها.
جمل علندي: شديد ممنّ.
ناقة دوسرة: صلبة شديدة، وجمل دوسر ودواسر صلب شديد.
ناقة عنس: الشديدة الصلبة شبهت بالصخرة.
ناقة كوماء: عظيمة السنام.
الدهانج: البعير ذو السنامين.
الحرجوج: الناقة الضامرة الطويلة.
القبعثرى: الفصيل المهزول، والجمل الضخم.
ناقة عذافرة: عظيمة.
ناقة سرداح: عظيمة طويلة.
ناقة جسرة: عظيمة طويلة.
ناقة كناز: كثيرة اللحم.
ناقة هرجاب: ضخمة طويلة.
ناقة قرواح: طويلة القوائم كأنها تمشي على أرماح.
ناقة دفواء: طويلة العنق.
ناقة سرحوب: طويلة سريعة.
ناقة خنشليل: طويلة.
ناقة سبطر: جسيم طويل.
ناقة عيطموس: التامة الخلق الحسنة.
ناقة فنق: القليلة اللحم.
ناقة عيطل: حسنة تامة.
ناقة شمردلة: حسنة جميلة.
جمل دعبل: عظيم جميل.
ناقة عيسجور: شديدة.
ناقة عرمس: شديدة.
ناقة عنتريس: الشديدة الكثيرة اللحم.

[الفيصل]

وبأفضل ناقة (عيّالة) محمد صالح المخطبية المري، وبأفضل ثنية (مشيخة) رابح الكربي المري.

وهذه المناسبة التي تبدو عليها الطرافة قد لا يفهم أبعادها وأهميتها الإنسان الحضري الذي تغيب عنه طبيعة العلاقة الخاصة بين البدوي ونياقه؛ فهي علاقة حب وحياة؛ لأنها هي التي تهبه الاستمرار في الحياة بفضل الله، فتعطيه المكانة الاجتماعية، وتمنحه الغذاء، وتهبه وسيلة النقل. ولن يصدق الإنسان إذا سمع أن ناقة طُلبت للشراء من صاحبها بأكثر من ٤٥٠٠٠٠ دولار أمريكي فرفض، وعندما أعاد المشتري المحاولة وسأل مالك الناقة: اطلب المبلغ الذي تريد، فبكى بكاء شديداً؛ وذلك لشدة حبه لهذه الناقة وتعلقه بها، فهي أطوع له من بنانه، يناديها باسمها فتقبل عليه، وتقاسمه أفراحه وأحزانه، وتقطع معه الفيافي من غير شكوى من تعب أو جوع أو عطش.

المراجع

١- سمو الأمير خالد السديري.
٢- المخصص لابن سيدة، كتاب الإبل ج٧/١-٧٦.

الفوائد الطبية للأسماك

درويش الشافعي
إربد - الأردن

يتعرض الإنسان في هذا العصر إلى عدد كبير من الأمراض الخطيرة بسبب تلوث الهواء والماء والغذاء من ناحية، وبسبب ترك بعض العادات الغذائية الأصيلة، واتخاذ أنماط غذائية خاطئة من ناحية أخرى، وقد كشفت الأبحاث والدراسات دور بعض الأغذية في الوقاية من بعض الأمراض، أو معالجتها واستئصالها في حالة الإصابة بها، وكانت الأسماك وبعض حيوانات البحر ونباتاته من بين الأغذية التي حظيت بدراسات وتجارب مكثفة، أثبتت قدرة الأسماك على معالجة عدد كبير من الأمراض الخطيرة، مثل: السرطان، والجلطات القلبية والدماغية، وتصلب الشرايين، وضغط الدم، والروماتيزم، والصدفية وغيرها.

والحقيقة أن فكرة معالجة الأمراض بمنتجات البحر ليست جديدة، فمنذ زمن بعيد قال أفلاطون: «إن البحر يغسل كل أمراض الإنسان وعلله»، كما جاء في كتاب «القانون في الطب» لابن سينا - ٤٢٨هـ، وكتاب «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان» لابن جزلة يحيى بن عيسى البغدادي - ٤٩٣هـ ذكر فوائد الأسماك العلاجية والغذائية، ولا أدل على أهمية دور الأسماك في حياة البشر من قول الله تعالى: *وهو الذي سخَّر البحر لتأكلوا منه لحمًا طريًا وتستخرجوا منه حليةً تلبسونها*. النحل: ١٤.



وقوله تعالى: *وما يستوي البحران هذا عذبٌ فراتٌ سائغٌ شرابُه وهذا ملحٌ أجاجٌ ومن كلٍّ تأكلون لحمًا طريًا وتستخرجون حليةً تلبسونها*. فاطر: ١٢.

أين تكمن قدرة الأسماك العلاجية؟

أثبتت عدة دراسات علمية أن الزيت الموجود في لحم الأسماك دواء فاعل في علاج عدد من الأمراض، والاضطرابات الصحية، وقد تعرّفنا نوعين من زيت الأسماك: أحدهما مستخلص من كبد الحوت، والآخر مستخلص من لحوم الأسماك، يحتوي الأول على مقادير قليلة من حمضين دهنيين هما حمض أيكوسابنتا أيونيك EICOSAPENTAENOIC ACID ويرمز له بـ EPA



يحتاج الإنسان إلى وجبتين من الأسماك أسبوعياً



من أسباب زيادة الأمراض في هذا العصر قلة تناول الأسماك

والثاني حمض دوكوساهكسا أونيك DECOSAHEXAENOIC ACID ويرمز له بـ DHA، وهما من مجموعة الأحماض الدهنية أوميغا - ٣ OMEGA -3 FATTY ACID وفيتامين (أ، د). أما الثاني فيحتوي على هذين الحمضين الدهنيين بكميات وافرة.

الأمراض التي يُعالجها زيت السمك

- أمراض القلب والشرايين:

لاحظ العلماء أنه في القرن التاسع عشر كانت أمراض القلب (احتشاء عضلة القلب، والخناق الصدري وغيرها) قليلة جداً، ويقول اللورد ترنشارد في كتابه «رجيم الإنسان» DIET OF MAN بهذا الخصوص: إن الشخص الواحد في بريطانيا كان يأكل خلال الفترة من (١٩٠٩ إلى ١٩١٣م) ما يقدر بعشرين كغ من السمك سنوياً، لكن هذه الكمية انخفضت بشدة في الفترة بين (١٩١٣و١٩٤١م)، ثم ارتفعت مع نهاية الحرب العالمية الثانية، ومع انخفاض استهلاك السمك كانت تتزايد إصابة الناس بأمراض القلب والشرايين، وكان الدكتور سينكلير وغيره قد لاحظوا أن أمراض القلب والشرايين

نادرة الحدوث عند سكان الإسكيمو، وعدد من سكان الجزر الذين يكثرون من تناول الأسماك.

هذه الملاحظات وغيرها أثارت انتباه الأطباء والباحثين، وشجعتهم على إجراء التجارب المخبرية والسريرية لمعرفة آلية عمل الأحماض الدهنية الموجودة في زيت الأسماك، وقد اكتشفوا عدة أمور من أهمها ما يأتي:

- تعمل الأحماض الدهنية الموجودة في زيت الأسماك على تنظيم نسبة الكولسترول في الدم، حيث تقلل نسبة الدهون القليلة الكثافة LDL التي تمتلك خاصية الالتصاق بجدران الأوعية الدموية مسببة تضييقها وتصلبها ATHEROSCLEROSIS، وفي الوقت نفسه تزيد نسبة الدهون المرتفعة الكثافة HDL التي تقلل نسبة الدهون القليلة الكثافة. وفي دراسة أجراها الدكتور ويبروليف عام ١٩٨٨م تبيّن أن الأحماض الدهنية الموجودة في الأسماك تقلل أيضًا أحد أخطر الدهون في الدم التي يرمز لها بـ V.L.D.L وهذه الدهون تساعد الغليسريدات الثلاثية TRIGLYCERIDES على البقاء في الدم والتجول فيه مما يؤدي إلى جعل الدم أكثر ميلاً للتخثر ويصعب جريانه في الأوعية الدموية خصوصًا في الشرايين الدقيقة. وبالإضافة إلى ذلك تقلل الأحماض الدهنية احتمالات تشكل التخثرات بطريقتين: إحداهما: الحث على إفراز مادة تسمى ثرومبوكسان أـ٣ THROMPOXAN - A3 وهي تمنع فرط التصاق الصفائح الدموية وتجمع بعضها مع بعض، أما الثانية فتعمل على تخفيض كمية مادة بروتينية تسمى فيبرينوجين وهي المسؤولة عن تخثر الدم وتزداد عادة عند المدخنين.

تناول الأسماك يقلل من الإصابة بجلطات القلب والدماغ

كما يعمل الحمض الدهني EPA على زيادة إنتاج البروستغلاندين PROSTAGLANDINS -E3 الذي ينظم عملية تخثر الدم ونسبة الكولستررول الذي يضيق الشرايين.

ووفقًا لما جاء في مجلة لانست البريطانية «فإن الإصابة بالأمراض القلبية متعلقة بتصلب الشرايين»، ويجمع الأطباء على أن عمر المرء يقاس بعمر شرايينه.

ثم هناك وظيفة مهمة يؤديها الحمضان EPA , DHA وهي قدرتهما على الدخول في غشاء كريات الدم الحمراء، ويزيدان في مرونتها وقدرتها على تغيير شكلها من كروي إلى بيضاوي مما يمكنها من الانزلاق بسهولة عبر الأوعية الدموية الدقيقة وتغذية الأنسجة بما تحمله من أوكسجين وغذاء، وتعد هذه الوظيفة على درجة عالية من الأهمية خصوصاً لعضلات القلب وأنسجة الدماغ.

وفي ضوء الحقائق السالفة الذكر تتبين وظائف زيت الأسماك في رفع كفاءة الجهاز الدوري، وتنظيم دهون الدم، ومنع حدوث الجلطات القلبية والدماغية التي أصبحت شائعة في هذا العصر.

- التهاب المفاصل نظير الرثوي:

ولقدرة زيت الأسماك على رفع كفاءة الدورة الدموية، وتعزيز تروية الأنسجة بالدم وتأثيره في البروستغلاندينات المسؤولة عن الألم، فإن لزيت الأسماك أثرًا في الحد من الالتهابات المفصلية وآلامها. وقد أجريت دراسات وتجارب سريرية على مرضى الالتهاب المفصلي بينت أن إعطاء زيت السمك مع أغذية غنية بدهون غير مشبعة مدة تسعين يومًا أدى إلى تخفيف الآلام المفصلية وتحسن حركة المفاصل، وقد لوحظ أنه عندما أوقف إعطاء المرضى زيت السمك مدة شهرين عادت أعراض المرض إلى عهدها

السابق. ومع أن آلية عمل زيت السمك في تخفيف التهابات المفاصل نظير الرثوي غير معروفة تماماً إلا أنه من الواضح وجود تأثير من نوع ما على كبح جماح الوسائط الكيماوية التي تنتج من مكان الالتهابات. وجدير بالذكر أن سكان الإسكيمو أقل إصابة بالالتهابات المفصلية من سائر الشعوب.

- إصابات الدماغ والسكري:

يشكل الحمض الدهني DHA عنصراً أساسياً في تركيب الأنسجة الدماغية، ويقوي انتقال النبضات العصبية IMPULSE مما يسهم في شفاء مرضى الجلطات الدماغية، ومرضى الزهايمر.. كما يعزز نمو الخلايا خصوصاً في المرحلة الجنينية. ولما كان هذا الحمض يدخل أيضاً في تركيب شبكية العين فإن مرضى السكري الذين يتعرضون لأضرار جسيمة بشبكية العين هم بحاجة إلى تناول الأسماك وزيوتها بكثرة، ويعتقد أن الأحماض الدهنية الموجودة في الأسماك تنشط البنكرياس وتحفزه على إفراز الإنسولين.

وهناك عدة أمراض مثل الصدفية PSORIASIS، والتهاب الجلد التحسسي، وارتفاع الضغط الشرياني.. يفيد زيت السمك في شفائها، أو التخفيف من حدتها.

أما كمية الأسماك اللازمة للإنسان بهدف الإفادة من خواصها الشفائية أو الوقائية فهي ما يعادل وجبتين أسبوعياً من الأسماك الغنية بالزيت (بحرية كانت أم نهرية) مثل السلمون، والتروت، والرنكة، والسردين، والتونة، وإذا ما وجدت صعوبات في الحصول على الأسماك، أو لم يكن هناك رغبة في تناولها لأسباب نفسية أو صحية فمن الممكن تناول كبسولات زيت السمك SOFTGELS بحيث لا تزيد الجرعة على (١-٣) كبسولات في اليوم ويفضل تناولها مع وجبات الطعام، وهذه الكمية تحقق الغرض المطلوب.

وإذا كنا بيّنا بعض الفوائد الطبية للأسماك المأكولة فهذا لا يعني خلو حيوانات البحر الأخرى من هذه الفوائد، فقد أمكن استخلاص عدد كبير من المواد ذات التأثير الطبي من المرجان، وشقائق النعمان، والقواقع البحرية، وخيار البحر، والإسفنج وغيرها، لمعالجة السرطان، والالتهابات الفيروسية، ووقف النزيف والتخدير.

وفي الختام لابد من تأكيد الأمور الآتية:

- العودة إلى تناول الأغذية التقليدية الأصيلة، والتمسك بالعادات الحميدة التي توارثها الأبناء عن الأجداد، لأن ما ثبت سلامته في الماضي عبر اختيار الإنسان الطويل لا يمكن أن يظهر خطؤه بالسهولة التي يتصورها بعض الناس.

- تكثيف الأبحاث المتعلقة بغذاء الإنسان وبيئته ونشر التوعية الصحية والتثقيف الغذائي بين أفراد المجتمع.



زيت الأسماك دواء فاعل في علاج كثير من الأمراض

- صرف الانتباه إلى التفكر في الخلق، وأخذ العبر، والتأمل في المخلوقات جميعاً؛ لأن كل ما في الكون جلّ أو حقر لا يصح من وجهة النظر الإسلامية إهماله، بل إيلاؤه ما يستطاع من درس وإعمال فكر لما ينجم عنه من ترسيخ للإيمان بالله وحكمته، ثم من فوائد تعود على الإنسان في حياته وتدبير معاشه. وما ذكْرُ القرآن الكريم لعدد كبير من أصناف النباتات والطير والحيوان والحيتان والأسماك إلا للفت النظر إلى أسرارها وفوائدها، وأخذ المواعظ والعبر: *إن في ذلك لآيةً لقوم يتفكرون*. **النحل: ٦٩**.

القاتل المتسلل!

خالد حسن
الإسكندرية . مصر

يعد التلوث البيئي بمبيدات الآفات ظاهرة حديثة عرفها الإنسان مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وكان استخدامها ضروريًا لحماية المحاصيل الزراعية من الآفات التي كانت تستهلك جانبًا مؤثرًا من المزروعات، فيقل الإنتاج وترتفع أسعار الحبوب والفواكه والخضراوات وغيرها من المواد الغذائية، ويقول المدافعون عن المبيدات: إنها جنبت البشرية مجاعة كانت لابد واقعة لو تركت الطفيليات من دون مقاومة.. كانت المبيدات إذن، من أجل سعادة البشر ورفاهيتهم. ولكن.. بعد مرور عدة سنوات على استخدامها اكتشف العلماء أن لها وجهًا قبيحًا..


أطنان من المبيدات المهلكة تصدرها الدول الصناعية وتستخدمها الدول النامية

والمبيدات اصطلاح يطلق على كل مادة كيماوية تستعمل لمقاومة الآفات الحشرية أو الفطرية أو العشبية وأية آفة أخرى تلتهم المزروعات اللازمة للإنسان في غذائه وكسائه.

وتنقسم المبيدات ثلاث مجموعات رئيسة، تشمل المبيدات الحشرية Insecticides، والمبيدات الفطرية Fungicides، والمبيدات العشبية Herbicides، كما تشمل أيضًا مبيدات القوارض Rodenticides، ومبيدات الديدان Nematicides وغيرها.

وفي البداية استخدم الإنسان بعض المواد المحضرة من النباتات الطبيعية لمقاومة الآفات مثل مادة النيكوتين المحضرة من نبات التبغ، ومادة الروتينون، المحضرة من جذور نبات الدريس، وهذه المواد مازالت تستخدم على نطاق محدود، إذ تعدّ وفقا لهذا الاستعمال من مبيدات الآفات الآمنة Safe Pesticides، كذلك استخدم الإنسان بعض الكيماويات غير العضوية مثل كبريتات النحاس، وبعض المركبات الأخرى المحتوية على عناصر الزئبق والرصاص والزنك والكبريت، حتى عرف الإنسان المبيدات العضوية التخليقية ذات الفاعلية الكبيرة في القضاء على الآفات كالمبيدات الحشرية والعشبية..إلخ.

ويشهد العالم بأسره الآن تسابقًا حادًا حامية الوطيس في توزيع المبيدات على المزارعين بشتى التسهيلات، فقد ارتفعت مبيعات العالم من المبيدات من ٨٥٠ مليون دولار أمريكي عام ١٩٦٠م إلى أكثر من ٢٦ ألف مليون دولار عام ١٩٩٠م، وهي نسبة مذهلة. وتأتي الولايات المتحدة صاحبة أعلى مبيعات خلال عام ١٩٩٠م (٢٣٪ من مبيعات العالم) تليها اليابان وفرنسا وألمانيا والبرازيل.

ولكن بنظرة مدققة نجد أن ذلك كله يتم في عجلة أو تعجل؛ لأن الإيقاع المادي طوى الحياة، وجعل المال في المقدمة والإنسان والنبات في المؤخرة..ويا لها من مهزلة! فلو نظرنا إلى آلاف الأطنان من هذه المهلكات تُصدّرها الدول الصناعية الكبرى إلى دول الشرق التي اعتصم علماؤها بالصمت، بينما حُرّم استخدام كثير منها في كثير من هذه البلدان. من ذلك يتبدى لنا أن الأمور لها أبعاد في دنيا المال والاقتصاد والإنتاج، كما أن لها أبعادًا أخرى أخلاقية وإنسانية، وهذه يتجاهلها بل يتناساها الكثيرون.

اللبن يستغيث

من أغرب القرارات التي صدرت عن الدوائر الصحية في ألمانيا الغربية في عام ١٩٨١م، قرار موجه إلى الأمهات اللاتي يرضعن أبناءهن أن يكففن عن القيام بهذه المهمة، ويتوقفن عن الإرضاع خلال العام نفسه.

وقد يبدو للكثيرين أن هذا النداء ضرب من الهوس العلمي، أو الإفراط في التشاؤم يقوده أناس بعيدون عن تيار الحياة الجارف، وهم يلبسون نظارات سوداء فلا ترتسم لهم الصور إلا قاتمة، ولكن في الحقيقة أن القرار الموجه إلى الأمهات، على غرابته، لم يأت من فراغ، بل صدر بعد بحوث دقيقة، وقياسات متأنية، وتشاور وتداول بين خبراء شاؤوا أن يوجهوا هذه النصيحة ؛ لتكون هناك وقفة أمام حقيقة مرة.. لقد وصلت المبيدات إلى الغذاء الطبيعي للأطفال الرُضّع الذي هو لبن الأمهات!! ولا شك أن هذا قد أتى نتيجةً طبيعية لازدياد استخدام المبيدات في المجال الزراعي لمقاومة الآفات الزراعية ومكافحتها وإبادة الحشرات في مزارع الإنتاج الحيواني.



تظل المبيدات أعوامًا طويلة في التربة الزراعية

وتتمثل المشكلة في أن بعض المبيدات تتميز ببقائها وثباتها في التربة الزراعية أعوامًا طويلة، وكذا بعدم تأثرها بعمليات الأيض داخل جسم الإنسان أو الحيوان، ومن أهمها المركبات الكلورونية مثل: هبتا كلور، ديلدرين وغيرهما، وجميعها يفرز باللبن، إذ إن هذه المواد تتجمع في الدهون الموجودة في جسم الحيوانات التي تتعرض لها؛ وذلك لشدة ميلها للذوبان في الليبيدات التي تخرج في اللبن، وعلى الرغم من منع استخدام كثير من هذه المبيدات، إلا أن بعضها لا يزال مستخدمًا في بعض بلدان العالم الثالث.

ويؤكد ذلك دراسة أجريت عام ١٩٧٠م، وجدت تركيزات عالية جدًا من المركبات الكلورونية باللبن المنتج في كينيا موازنة بمثيله في البلاد الأوربية، ولسهولة امتصاص المبيدات داخل أجسام الحيوانات ويسره نتيجة التغذية على عليقة ملوثة، أو تنفس هواء ملوث، أو حتى من خلال الجلد، فقد تبين إمكانية وجود مبيد، مثل: الملاثيون في ألبان أبقار مساء يوم رش هذه الحيوانات نفسه، واستمر تواجد المبيد باللبن مدة شهرين عقب الرش وفي دراسة أخرى وجد أن ٣ - ٤٪ من عينات اللبن تحتوى على مبيدات أعلى من

النسب المسموح بها، وعلى مدار خمس سنوات من إيقاف استخدام المبيد.

وعن تأثر خواص اللبن الطبيعية والكيماوية نتيجة تلوثها بالمبيدات تبين أن وجود مركبات (الألديكارب والديكاثرين واللندين) تؤثر في كل من نسبة الدهن والمحتوى البروتيني وتركيز سكر اللاكتوز والمواد الصلبة الكلية، في حين لم تؤثر هذه المبيدات في لون اللبن أو درجة حموضته، كما تؤثر المبيدات في حفظ الألبان وتصنيع منتجاتها، فقد أثبتت الدراسات أن مركبات (اللندين والملاثيون والأندرين والألديكارب) ذات تأثير مثبط في نمو بعض أنواع بكتيريا حامض اللاكتيك التي تستخدم في صناعة منتجات الألبان ونشاطها وعددها، كما تؤثر في مقدرة هذه البكتيريا على إنتاج حامض اللاكتيك، أي إن هذه المبيدات لها تأثير مثبط في تقدم الحموضة في اللبن الزبادي، وكذا جبن الشيدر، كما ثبت أن عمليات بسترة اللبن والمعاملة عند درجات حرارة مرتفعة (كالتعقيم) ذات تأثير طفيف في تركيز مخلفات المبيدات باللبن.





تتأثر خواص اللبن الطبيعية بالمبيدات الكيماوية

أخطار تحيط بنا

لقد كشف بحث لهيئة الأغذية والعقاقير الأمريكية عن أن نسبة التلوث بالمبيدات في عدد من العينات في ستة أنواع من الطعام تراوح بين ٢٣ و٥٠٪، وأن أعلى نسبة تلوث توجد في الفاكهة. كما تبين أن ما يزيد على ٣ ملايين طفل أمريكي في سن ما قبل المدرسة قد غزت أجسامهم الغضة مبيدات الفوسفور العضوي الخطيرة، بتركيزات أعلى من المستويات المأمونة التي تسمح بها الهيئات العلمية.

وقد أثبتت الدراسات أن أكثر من ٥٠٪ من حالات الإصابة بالسرطان في الكبار، نتجت من تناول فواكه ملوثة بالمبيدات المحتوية على مواد مسببة للسرطان في السنوات الخمس الأولى من طفولة المرضى، ولم يظهر المرض إلا في وقت متأخر من العمر، وهكذا.. فإن المخيف في المشكلة أن يكون المرض كامناً في الصغار دون أن ندري!

وبالإضافة إلى الغذاء الملوث، تمثل مخلفات المبيدات في مياه الشرب مشكلة خطيرة بالنسبة إلى صحة الإنسان، وقد ثبت أن لبعض المبيدات، مثل مبيد «المجناسيد» و «الأكروبين» سمية حادة عالية جداً وتأثيراً ضاراً في الجهاز التنفسي والجلد والعيون، وقابلية للاشتعال تحت ظروف معينة، فضلاً عن التفاعل مع المعادن بشراهة. ومن المؤسف أن عمليات التنقية التي تجري للمياه حتى تصبح صالحة للشرب لا تخلصها من مخلفات المبيدات المتبقية.

وفي بحث أجري على مزارع الدجاج البيّاض في

مركز بلبيس بمحافظة الشرقية (مصر)، اتضح من نتائج التحليل وجود بقايا المبيدات في غذاء الدجاج، وفي المياه التي يشربها، وفي البيض الناتج، كذلك أشار البحث إلى وجود بقايا المبيدات الحشرية المستعملة في أثناء تربية الدجاج مرتفعة في الدهون وأنسجة الدجاج.

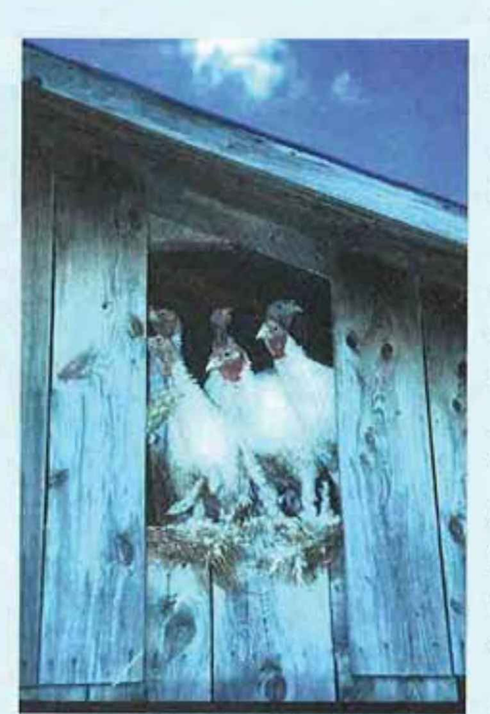
ولم تنج الأسماك من الخطر، فلقد ظهرت أعراض التسمم على الأسماك عند تعرضها لتركيزات بسيطة من مبيدات الحشائش المائية، ووصل أعلى تركيز تراكمي للمبيد بلحوم هذه الأسماك بعد أسبوعين من تعرضها للمياه الملوثة، واختفت بقايا المبيدات في خلال أسبوع واحد من عودة الأسماك إلى المياه النقية.

وعن دراسة معملية وحقلية لتقدير الآثار الجانبية لأربعة من مبيدات الحشائش (الماشيت ورونستار وساتيرن والريفيت) المستخدمة في حقول الأرز في سمكة المبروك عند موازنتها بالسمك غير المعرض للمبيدات، تبين أن جميع المبيدات أحدثت نقصاً في كمية البروتين والأحماض الأمينية ومحتوى الدهن ونسبة الرطوبة بفضلات الأسماك المعرضة للمبيد، موازنة بالأسماك غير المعاملة، بالإضافة إلى أعراض السمية ونسبة موت الأسماك، وإن اختلفت شدتها من مبيد لآخر.

وهناك دراسة أخرى حذرت من تناول هذه الأسماك من حقول الأرز المعاملة بالمبيدات؛ لأن كلى الأسماك ضعيفة وتتراكم المبيدات بداخلها وبلحومها، وتؤدي إلى التأثير السلبي في صحة الإنسان.

وليس هذا فقط، بل وصلت المبيدات إلى عسل النحل، ذلك الغذاء الطبيعي الذي يفرزه النحل ويساعد على الشفاء من كثير من الأمراض التنفسية والهضمية والعصبية والجلدية وغيرها، والآن أصبح عسل النحل معرضاً للتلوث بالمبيدات (مثل شرائط الأستان وخلافه) والتي تستخدم في القضاء على حشرة (الفاروا) التي تصيب النحل وتقضي عليه.


التسمم المزمن للحيوانات يؤثر في صحة الإنسان المستهلك للحومها


بقايا المبيدات تظل في لحم الدجاج

وتكتمل المأساة بتلوث اللحوم بهذه السموم وتأثيرها في المستهلكين، وكثيراً ما تتعرض الحيوانات للتسمم بالمبيدات مباشرة في أثناء الرش، وكذلك بطريقة غير مباشرة من جراء تناول عليقة ملوثة.

إن الخطورة تكمن في التسمم المزمن لحيوانات المزرعة بالمبيدات في صحة الإنسان المستهلك للحوم هذه الحيوانات، حيث لا تبدو أعراض التسمم المزمن واضحة على الحيوان، مما يستتبع عرض اللحوم للبيع مع احتوائها على بقايا المبيدات مما يشكل خطورة جسيمة على المستهلك، ويا للأسف الشديد لا يوجد حصر لمدى


الـ (د.د.ت) يطرد الطيور من أوكارها


التزام نسب الاستخدام يحد من خطورة المبيدات

وجود مخلفات المبيدات في لحوم الحيوانات المعروضة في الأسواق في مختلف بلدان العالم.

الـ (د.د.ت) وقصب السبق

هناك صورة أخرى ترسم «لعنة المبيدات» في بلاغة ليس لها مثيل في الحماقة، والبطل فيها هو مبيد قديم يطلق عليه اسم (د.د.ت) والذي أصبح مثالا صارخًا لما ألم بالبيئة من جراء استخدام الإنسان له.

فقد حصل العالم بول مولر Paul Muller على جائزة نوبل بعد اكتشافه السحري لمركب (د.د.ت) في عام ١٩٣٩م، وما كادت الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها، حتى علمت أرجاء المعمورة أسطورة (د.د.ت) وما أنقذ من أرواح نتيجة تعفير الجنود به وإعطاءه نتائج مذهلة، ودخل به العالم في حرب عالمية ضد عدد من الآفات والحشرات.. وكم كانت قوته الإبادية لا تقاوم من قبل تلك المخلوقات التي طالما عاثت في الزرع فسادًا، ولكن لم يدم هذا الحال طويلاً.

وتحضرني في هذا المقام قصتان عن التلوث بذلك المبيد اللعين: إحداهما في أمريكا، والأخرى في إنجلترا، فلم ير معظم الأمريكيين عقابهم الأصلع الذي اختاروه في عام ١٧٨٢ شعارًا لدولتهم، محلقًا فوقهم في السماء حرًا طليقًا. وهم لا يكادون يعرفونه إلا من خلال الملصقات وأوراق المكاتبات الرسمية؛ والسبب في ذلك أنه طائر نادر الوجود، بل هو معرض للانقراض.. فلم يسلم العقاب الأصلع من الدمار الذي ألحقه مبيد الـ (د.د.ت) بمختلف الأنظمة البيئية، فقد أدى رش الحقول والغابات بهذا المبيد إلى تشويه بيضة العقاب، إذ تسبب ذلك المبيد اللعين في إحداث نقص شديد في الكالسيوم في الفراخ الصغيرة، فأصبحت قشرتها رقيقة جدًا وعاجزة عن حماية الجنين حتى يأتي موعد الفقس.

أما القصة الأخرى، ففي إحدى مقاطعات بريطانيا ذات الطابع الريفي كانت تقطن سيدة عجوز في منزلها الذي يطل على حديقتها الصغيرة، وقد فقدت نعمة البصر، وفي أثناء تغيرات الفصول وقدوم الربيع باتت تنتظر سماع أنغام العصافير والطيور التي كانت تغرد فرحًا بالربيع، ولكن هذا لم يحدث.. فلم تغرد العصافير ولم تحس بانتقالها بين الأشجار، وراحت تسأل.. لماذا ضنت العصافير بتغريدها الجميل على قريتها؟ على الرغم من أن معظم أهل القرية الذين يتمتعون بنعمة البصر لم يلاحظوا هذه الظاهرة! وتعالت صيحاتها وتساؤلاتها عن أسباب هذه الظاهرة، وقام أحد العلماء بدراسة القرية، ولاحظ استخدام فلاحيها المكثف لمبيد (د.د.ت).

وبدأت قصة التلوث وموت الطيور تطرق كل الأبواب العلمية، وكُتب هذا في كتاب جميل في معناه - خطير في هدفه - وسمته هذه السيدة [الربيع الصامت]، وهو علامة بارزة بين ما صدر من مؤلفات في مجال علم البيئة. وبدأت تنكشف آثار مركب (د.د.ت) في البيئة، وما لبثت التجارب أن أثبتت تورطه في الأمراض السرطانية وأمراض العقم وكثير من الأمراض يوماً بعد يوم..

فقد أرجع آخر تقرير لمنظمة الصحة العالمية تدهور الإحساس بالرغبة الجنسية عند الرجال والنساء؛ نتيجة أحد نواتج تحطم مركب (د.د.ت) وهو مركب (د.د.ت.ي)، وكذلك لمركبات مشابهة من الملوثات الصناعية تسمى PCB، وهي تماثل الهرمون الجنسي الآدمي «استروجين» في التركيب الكيماوي الفراغي Steriochemistry، وعند دخول مثل هذه الملوثات لأي جسم يفقد الهرمون الأساسي الكثير من مستقبلاته، ومن ثم لكثير من تأثيره ونشاطه وتحكمه في الغرائز الجنسية. كما اتضح من التجارب الكثيرة التي أجريت على حيوانات التجارب، أن التعرض لتركيز زائد من مبيد (د.د.ت) يسبب عدة أمراض منها: حدوث بعض الاضطرابات في وظيفة كل من المعدة والكبد، وفقدان الذاكرة وبعض مظاهر التبلد والخمول، وقد يؤدي أيضاً إلى تدمير العناصر الوراثية في الخلايا وتكوين أجنة مشوهة، لذا فقد قام كثير من الدول (مثل الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والسويد) بحظر استخدام مبيد (د.د.ت) لأنه مبيد.. سام.

تأثير مباشر

لقد وجد أن بعض المبيدات الحشرية والعشبية تتسبب في قتل الكثير من الكائنات الدقيقة التي تعيش في الماء، ولهذه الكائنات دور مهم في حفظ التوازن الطبيعي للبيئة، حيث تساهم في حفظ الماء من عوامل التلوث؛ لأنها تساعد على الحفاظ على نسبة الأكسجين الذائب في الماء.

وتتسبب المبيدات الحشرية كذلك في قتل الكثير من الكائنات الحية عن طريق ما يعرف بسلسلة الغذاء Food Chain، فقد تلتهم حشرة صغيرة إحدى وريقات نبات ملوث بمبيد حشري، ثم تأتي حشرة أكبر فتلتهم بعض الحشرات الصغيرة، ثم يأتي طائر صغير فيأكل عدداً كبيراً من هذه الحشرات الكبيرة، وفي النهاية يأتي طائر أكبر ويلتهم بدوره الطائر الصغير، وفي الخطوات المتتالية السابقة يزداد تمركز المبيد الحشري في جسم الكائن الحي، فيبلغ أقصى تركيز له في جسم الكائن الحي الذي يقع في نهاية هذه السلسلة الغذائية.



غسل الفواكه والخضراوات جيداً يقي كثيراً من أضرار المبيدات

ويؤدي الإسراف في استخدام هذه المبيدات الحشرية إلى فقدان التوازن الطبيعي بين الآفات والأعداء الطبيعية لها، ومن أمثلة ذلك انتشار آفات العنكبوت الأحمر، ودودة اللوز في مصر بعد الإسراف الشديد في استخدام المبيدات الحشرية.

كما يؤدي الإسراف في استخدام هذه المبيدات إلى تلوث التربة الزراعية، وغالباً ما يتبقى جزء كبير من هذه المبيدات في الأراضي الزراعية، وقد تصل نسبته إلى نحو ١٥٪ من كمية المبيد، ولا يزول أثر هذه المبيدات المتبقية في التربة إلا بعد انقضاء مدة طويلة قد تصل إلى أكثر من عشر سنوات.

ويصاب الإنسان كذلك بالكثير من الأضرار، فيصاب

العمال الذين يعملون في مصانع إنتاج هذه المبيدات، وهذا ما أكدته دراسة لكلية طب القاهرة بالاشتراك مع الوكالة الدولية للتنمية والبحوث بكندا IDRC على نحو ٦٠٠ عامل، وأظهرت الدراسة الأعراض والمظاهر المرضية الآتية:

- اضطراب الأعصاب الطرفية المتعدد، الذي تم التأكد من تشخيصه بواسطة راسم العضلات الكهربائي، ولقد زاد هذا الاضطراب بطول مدة التعرض المهني لأنواع المبيدات المختلفة.

- اضطراب راسم الدماغ كهربائياً أكثر من العينة الضابطة بست مرات.

- ظهور أعراض الحساسية الصدرية والربو عند المهنيين أكثر من العينة الضابطة بنحو ٤ مرات، وقد تم التأكد من تشخيصه بواسطة وظائف التنفس.

- ظهور أعراض تصلب الشرايين، وتأثر شرايين القلب بواسطة رسام القلب الكهربائي.

- تضخم الكبد في نحو ٣٠٪ من العاملين محل الدراسة، واضطراب وظائف الكبد، وتم التأكد من تضخمه بواسطة إجراء فحص بالموجات الصوتية على البطن.

- ما يربو على ١٠٪ من العاملين محل الدراسة ظهرت بينهم أمراض جلدية وأعراض مرضية بالعيون.

- تغييرات في السلوك والحالة النفسية في نحو ٣٠٪ من العاملين.

- انخفاض نسبة أنزيم الكولين استيريز فيما يربو على نصف العاملين.

- ظهور نسب من المبيدات المتداولة في عينات مصل الدم عند ما يربو على ثلث العاملين.

الوقاية والعلاج

من الخطورة بمكان أن هناك الكثيرين من الناس يسرفون في استعمال المبيدات داخل بيوتهم لمقاومة الحشرات الطائرة والزاحفة بالطرق الخاطئة دون أخذ الاحتياطات اللازمة عند استعمال هذه المبيدات، فهذه المبيدات شديدة الضرر على الأطفال وكبار السن والنساء الحوامل.

وقد يتساءل بعضنا: ألا يمكن الاستغناء عن المبيدات الحشرية وغيرها كي نتجنب أضرارها ومخاطرها؟

والجواب: هو أن هناك إجماعاً على ضرورة استخدام المبيدات خاصة في الصيف مع انتشار الحشرات.. أو تلك التي ترش بها الخضراوات والفواكه.. وبهذا أصبح لا يمكن الاستغناء عن دورها الإيجابي في مقاومة الآفات أو الوقاية من أضرارها، على الرغم من أصوات التحذير التي يطلقها علماء الصحة والبيئة.

عموماً.. لابد لنا أن نراعي ما يأتي:

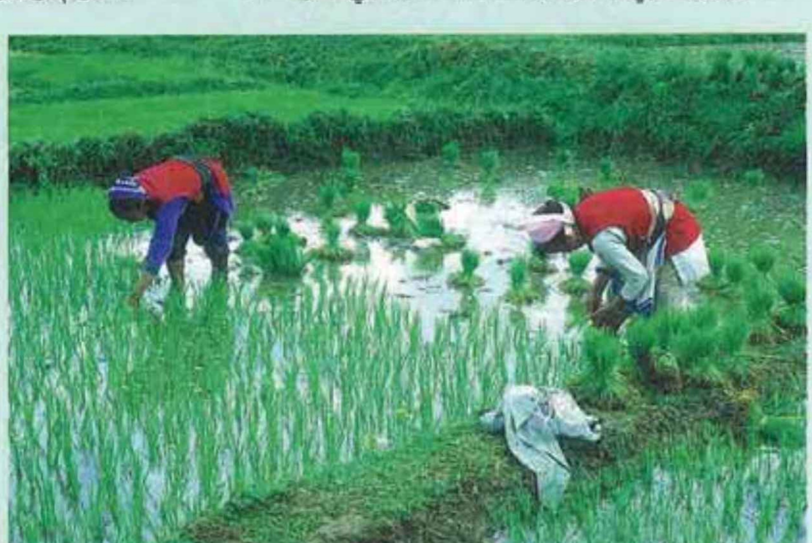
- التزام توفير عوامل الأمان مثل غسيل الأيدي جيداً عقب استعمال المبيد وفتح منافذ التهوية بعد فترة؛ لتجديد الهواء الملوث ووضع المبيدات بعيداً عن متناول الأطفال.

- غسل الفواكه والخضراوات بالماء جيداً وفترة طويلة؛ للتخلص من بقايا المبيدات الملتصقة بها.

- يستحسن التخلص من القشرة الخارجية للفواكه والخضراوات كلما أمكن ذلك.

- شراء الثمار السليمة حتى لا تختلط المبيدات بعصارتها.

- طهي الطعام جيداً؛ إذ إن الطهي



الدراسات تحذر من تناول الأسماك من حقول الأرز المعاملة بالمبيدات

يعمل على تكسير أنواع من مركبات المبيـدات التي قد تكون وصلت إلى داخل الثمرة.

- قد يكون من المفيد الاستغناء عن الدهون المرتبطة باللحم الأحمر، أو بلحم الدجاج، أو الموجودة في الأسماك؛ فقد ثبت أن بعض أنواع المبيدات تتركز في هذه الدهون.

ولابد لنا أن نشير إلى التعليمات الخاصة بالتعامل مع المبيدات والتي تتمثل في:

- **قبل شراء المبيدات:** ضرورة طلب المشورة من المتخصصين عن نوعية المبيدات التي يوصى باستخدامها وأماكن الحصول عليها، وتركيزها، وتوقيت الرش، وتكرار المعالجة والأسلوب الأمثل للرش والاحتياطات الواجب اتخاذها عند مزج المبيدات وخلطها ورشها.

- **عند الشراء:** تجنب شراء عبوات كبيرة الحجم أكثر من اللازم، وفحص العبوات بعناية، والامتناع عن شراء العبوات المعطوبة أو التي يتسرب منها المبيد، وغير المغلقة بإحكام والتي ليست في عبواتها الأصلية، والتي من دون بطاقة استدلالية ملصقة، وضرورة الانتباه إلى احتياطات الأمان والسلامة المدونة على البطاقة والرسوم التحذيرية.

- **عند تخزين المبيدات:** ضرورة مراجعة ملصقات المعلومات للاطلاع على النصائح الخاصة بالتخزين، وتجنب وجود مصادر حرارية قريبة من أماكن المبيدات، ويجب أن تكون المبيدات بعيدة عن متناول الأطفال، والحيوانات، والمواد الغذائية، ومصادر المياه، وضرورة الاحتفاظ بالمبيدات دائماً في أوعيتها الأصلية والمحافظة على بقائها جافة، والبعد عن أشعة الشمس المباشرة.

- **عند استخدام المبيدات:** التزام نسب الاستخدام حسب التوصيات؛ وعدم التعامل بمنظور أن التركيز الأعلى يؤدي إلى نتائج أفضل، والتركيز الأقل سيكون أقل فاعلية، كذلك ضرورة ارتداء الملابس الواقية، وتجنب تلوث الجلد، ومنع الأولاد من الاقتراب، والاحتراس من تلويث مصادر المياه، وفي حالة تلوث الجلد لابد من غسله فوراً بالماء مدة لا تقل عن ١٠ دقائق.

- **بعد استخدام المبيدات:** يجب التخلص من جميع العبوات الفارغة بأمان، وذلك بغسل العلب ثم تعبئتها وطمرها في الأرض، وتجنب ثقب عبوات الأيروسول، وبالنسبة إلى العبوات الكرتونية فتحرق بعيداً عن المساكن والمزروعات، والعبوات البلاستيكية تقفل ثم تثقب وتحرق بعيداً عن قنوات الري.



الإسراف في استخدام المبيدات يؤدي إلى فقدان التوازن الطبيعي

المراجع

١. توفيق محمد قاسم، التلوث مشكلة اليوم والغد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
٢. علي محمد علي عبدالله، التلوث البيئي والهندسة الوراثية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
٣. رجب سعد السيد، مسائل بيئية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
٤. سعد شعبان، التلوث لعنة العصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
٥. محمد السيد أرناؤوط، الإنسان وتلوث البيئة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
٦. محمد عمرو، المبيدات بين الصحة والبيئة، كتاب الناس والطب، ١٩٩١م.
٧. مهدي عبدالجواد، دراسة عن أثر المبيدات الحشرية على الحيوانات ومنتجاتها، كلية الطب البيطري، الزقازيق، ١٩٩١م.
٨. جريدة الأهرام، بتاريخ ٢٠٠٠/٦/٣٠م.

ملامح من الدور الحضاري للوقف في التاريخ الإسلامي

محمود محمود النجيري
دمياط - مصر

الوقف نظام إسلامي خالص، جعله الإسلام نظامًا شرعيًا وترتيبًا دينيًا، وأيده ببواعث الخير في القلوب، فازدهر ازدهارًا عظيمًا، خدم حياة الأمة الإسلامية، وأسهم في تقدمها في جميع مناحي الحياة. ولم يُعرف الوقف قبل الإسلام في أمة من الأمم، أو حضارة من الحضارات، أو تشريع من التشريعات.

وكان أهل الجاهلية في جزيرة العرب لا يعرفون الوقف الذي هو نظام اقتصادي خيري تكافلي، يحبس الأصول عن التصرفات لضمان استمرار ريعها في الخيرات. ولكن عرف العرب بعض العادات السيئة قبل الإسلام، كانوا يحبسون فيها بعض الدواب عن أن ينتفع بها، وواضح أن تحريم الانتفاع بهذه الدواب عكس مقاصد نظام الوقف الإسلامي الذي يحاول تأبيد الانتفاع بالأعيان. ولهذا وغيره انتقد القرآن هذه العادات الجاهلية بقوله تعالى: *ما جَعَلَ اللهُ من بَحيرةٍ ولا سائبةٍ ولا وَصيلةٍ ولا حامٍ ولكنّ الذين كَفَرُوا يفترُونَ على اللهِ الكذبَ وأكثرُهم لا يعقلون*. المائدة:١٠٣.

وإذا أردنا الدقة قلنا: إن صورة واحدة من الوقف كانت موجودة قبل الإسلام، وهي أماكن العبادة، بوصفها ليست ملكًا لأحد من الناس بعينه، وإنما هي لله تعالى ومنفعتها عامة، وليست لأغراض مدنية، وما رصد على المعابد للصرف عليها وعمارتها يعد من هذا الباب أوقافًا، سواء أكانت بيعًا أم معابد أم كنائس أم مساجد. ومن ذلك الكعبة المشرفة والمسجد الحرام والمسجد الأقصى.

ولكن الوقف في الإسلام تجاوز المعابد والمناسك وما رصد لها من أموال، وجمع في لحمة الدين والدنيا وسداه، وشرع الوقف للمقاصد المدنية، وجعلها صدقات وقربات إلى الله تعالى. ولم يترك المسلمون جانبًا من الحياة الإنسانية إلا وقفوا الأموال عليه، بل وقفوا على الحيوان أيضًا! وأول وقف في الإسلام هو وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقف أرضه التي كانت بخيبر على ما اشتهر. والظاهر أن وقف عثمان بن عفان رضي الله عنه، بئر رومة كان قبله، لأنه كان بعد الهجرة مباشرة. وهذان الوقفان أشاد بهما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم(١). ثم لم يكن أحد ذو مقدرة من الصحابة إلا وقف من ماله. وهذا يدل على أن الوقف صار ظاهرة عامة في حياة الصحابة الكرام(٢).

والتشريعات الخاصة بالوقف التي وضعت في هذا الوقت تؤكد أصالته في الشريعة الإسلامية، وأن الفقه الإسلامي لم يتأثر بالقانون الروماني ولا بغيره من القوانين وتشريعات الأمم. فلم تعرف هذه القوانين نظام الوقف ولا تشريعاته.

نشأة دواوين الأوقاف

من الثابت أن الوقف مرّ بمراحل تشريعية وتنظيمية وتاريخية. وفي البداية نقرر أن كل قطر فتحه الإسلام كان يشهد عقب الفتح حركة ناشطة للوقف بعد دخول أهله في الإسلام، وهجرة القبائل العربية إليه؛ إذ كان هؤلاء المهتدون يجدون في تشريع الوقف بعد دخوله رغبة قوية لنشر الخير المستمر في القلوب المؤمنة، وذخرًا للثواب الدائم في الآخرة. ولكثرة الأوقاف نشأت الحاجة إلى إدارة خاصة ترعى عملها وتشرف على أعيانها. وقد جعل الشرع للقضاء الولاية العامة على الأوقاف وتعيين النظار وعزلهم ومراقبة عملهم.

ومن هنا نشأت أول إدارة خاصة للإشراف على الأوقاف في مصر في عهد هشام بن عبدالملك. والقاضي الذي أنشأ هذه الإدارة هو قاضي مصر: توبة بن نمير (ت ١١٨هـ)، فنظم الأوقاف وراقبها حفاظًا عليها من الضياع والاستملاك، وسميت هذه


من مساجد القاهرة القديمة

الإدارة ديوان الأوقاف، وتميزت من بقية دواوين الدولة(٣).

وتطورت أهمية الأوقاف بتطور حياة المجتمع الإسلامي، وأدت دوراً اختلفت أهميته من عصر إلى آخر، فكان - أحياناً - دوراً محدوداً يمثل حالات خاصة حتى نهاية القرن الخامس الهجري، ثم بدأت تظهر متغيرات جديدة تبعها اهتمام كبير بالأوقاف، وتحول عملها من حالات خاصة إلى ظاهرة عامة أدت دوراً خطيراً في تشكيل الحياة الإسلامية في الأقاليم المختلفة، ولا سيما مصر والشام والجزيرة ونتيجة لذلك صار للأوقاف ثلاثة دواوين في عهد المماليك هي:(٤) ديوان أحباس المساجد، وديوان أحباس الحرمين الشريفين وجهات البر الأخرى، وديوان الأوقاف الأهلية. وشهد هذا العصر بروز شخصيات عظيمة من الملوك والأمراء العادلين الزاهدين العابدين المتمسكين بالشريعة، فقربوا أهل الخير، ووسّعوا على الفقراء والمعوزين، وأنشؤوا المدارس والمساجد والمستشفيات والمكتبات، كما قرّبوا أهل العلم، ووقفوا الأموال على طلبته، ومن هؤلاء: نور الدين الشهيد محمود بن زنكي (ت: ٥٦٩هـ)، وصلاح الدين الأيوبي (ت:٥٨٩هـ). وقد تركا سيرة حسنة لمن أتى بعدهما في عمل الخير ووقف الأوقاف في كل سبيل.

الوقف صانع الحضارة الإسلامية

إذا كانت الحضارة الإسلامية قد شهدت ازدهارها في هذا الوقت، فإن الوقف كان له الدور الرئيس في ذلك حتى يصح أن ندعوه مع بعض الباحثين «صانع الحضارة الإسلامية»، لما أدى إليه من تطوير المجتمعات الإسلامية، وتوفير الخدمات الأساسية للمجتمع، ورعاية أوجه تقدم العالم الإسلامي وتطوره بما وفره من تمويل مالي مستقل لا يتأثر بغوائل الزمان، ولا يضعف بقلة الموارد المالية للدولة، ولا ينتهي بتدخل خارجي أو تقهقر محلي، وفوق ذلك له صفة الاستمرارية بإذن الله(٥).

وأنشأ الوقف في هذا الوقت عدة منشآت خاصة به، سواء منها ما أنشأه الحكام والأمراء، أم ما أنشأته الرعية. ويمكننا أن نقول: إنه قد حدث تكامل بين الجهود الرسمية والشعبية، إذا صح التعبير، للإنشاء والتعمير للمنشآت الدينية والتعليمية، وذلك من خلال الوقف. كما أن هناك منشآت أخرى تؤدي خدمات اجتماعية وإنسانية وثقافية. وهكذا عاونت الرعية الحكام في إقامة المنشآت العامة وتشغيلها.

والدارسون للعمارة والمدنية الإسلامية في هذا الوقت يؤكدون ما قامت به الأوقاف من عمران، إذ إن آلية الوقف تستلزم حركة عمرانية مطّردة. وقد تضمنت أحكام الوقف

مشروعية تنميتها واستثمارها بزيادة المباني والأراضي الموقوفة عن طريق الشراء أو البناء. ومع الثراء الاقتصادي للمماليك ونظرتهم للأوقاف كمخرج لتأمين مستقبلهم ومستقبل ذريتهم، كان لابد من الانطلاق الإنشائي في مناطق أصبحت مهيأة لامتداد عمراني متزايد وسريع(٦).

وكان المماليك تلاميذ للأيوبيين في هذا المضمار، كما كانوا تلامذة لهم في مضمار السياسة. وحين استولى صلاح الدين الأيوبي على مصر وقضى على الخلافة الفاطمية بها بدأ في إقامة منشآت جديدة ذات طابع خاص لتخرج أجيالاً من الفقهاء والمتصوفة، فأنشأ المدارس للمذاهب الفقهية السنية الأربعة، وأنشأ الربط والزوايا للمتصوفة. وهي منشآت تطلب إنشاؤها واستمرارها في أداء وظائفها أوقافاً كثيرة تدر ريعاً يصرف منه على أرباب الوظائف بها، وعلى ترميم مبانيها وإعمارها. كما تطوع كثير من الرعية لوقف الأوقاف لتحقيق هذا المقصد(٧).

وهذا التغيير الثقافي الجذري علّم المماليك أهمية الأوقاف البالغة في نظام الدولة، سواء على صعيد الإنشاء والعمارة، أو على مستوى المؤسسات الدينية والعلمية، أو على مستوى المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية. إضافة إلى ميزات المماليك الخاصة التي اندفعت في هذا الاتجاه، من حب للخير، ورغبة في الثواب، ورغبة بعضهم في تخليد أسمائهم على منشآت وقفية، إضافة إلى أن الوقف الأهلي كان ضماناً للحفاظ على المال الخاص في عصر انتشرت فيه القلاقل السياسية وانقلاب أمراء المماليك بعضهم على بعض، وكثرة القتل بينهم والمصادرة للأموال التي في أيديهم.

الأوقاف الاستعمالية والأوقاف الاستثمارية

كان المماليك يملكون أرض مصر قسمة بينهم؛ فتوافرت لديهم الثروات الطائلة، ولأنهم كانوا يفتقدون الشرعية الحقيقية لحكم البلاد، أرادوا أن يتقربوا إلى الرعية عن طريق الخير والبر. وتمثل كل هذا فيما أنشؤوه من مدارس ومساجد وسقايات وخانات وخوانق وبيمارستانات وأربطة وأسبلة ومكتبات ومدافن. وكلها كان من الأوقاف، كما كان يوقف عليها أوقاف أخرى لضمان استمرارها، بأن تدر عليها ريعاً لصيانتها وترميمها ولرواتب وظائفها. وهذه الأوقاف الأخيرة مثل: البساتين والأراضي الزراعية والحوانيت والخانات (الفنادق)، يمكن أن نعدها أوقافاً استثمارية، وكان الواقفون يتجهون إليها رغبة في تنميتها، فشجع ذلك النشاط التجاري والاقتصادي والعلمي، إذ إن توافر هذه المنشآت ضروري للحركة الاقتصادية والعلمية. وقد ازدادت كثرة حتى بلغت في عهد السلطان برقوق (٨٠١هـ-١٣٩٨م) نصف أراضي الدولة.

وكان ضياع هذه الأوقاف الاستثمارية يعني توقف المؤسسة التي تنفق عليها. وقد حدث هذا للبيمارستانات خاصة، فأحياناً كانت تباع في أثناء الحروب للإنفاق على البيمارستان. ومن ذلك بيمارستان الملك المؤيد شيخ بن عبدالله (ت: ٨٢٤هـ) الذي توقف عن العمل بسبب ضياع أوقافه، فحوله السلطان برسباي (ت ٨٤١هـ) إلى مسجد.

> **وفر الوقف التمويل الذاتي لمؤسسات خدمة المجتمع إنشاءً واستمراراً، وضمن لها حرية العمل، وأفرز أجيالاً من العلماء والفقهاء والكتاب والأدباء، وحفظ الأموال من الضياع**

ويكشف ذلك عن أهمية الأوقاف في الحفاظ على المنشآت الموقوفة، سواء أكانت منشآت دينية أم خيرية، كالبيمارستانات والأسبلة وأحواض الدواب. وإن كثيراً من المنشآت والمرافق العامة الموقوفة درست بسبب ضياع أوقافها(٨).

واهتم السلاطين المماليك بإنشاء المكتبات وخزائن الكتب الملحقة بالجامع العلمية، وإجراء الأرزاق عليها، ورصد الأوقاف لها مساعدة لطلاب العلم، كما ألحقت مكتبات بالمدارس والمساجد. ومن هذه المكتبات: خزانة جامع الحاكم، وخزانة جامع الحطيري ببولاق، وخزانة القبة المنصورية التي وقفها عليها المنصور قلاوون، وخزانة جامع المؤيد شيخ.

ويعد المسجد هو المؤسسة الوقفية الأولى التي اهتم بها المسلمون، وبعد المسجد تأتي المدرسة، وهي مؤسسة وقفية لم تقم إلا بالوقف. وكان لها بنظمها الرواقية، وأوقافها المستقرة المنتظمة شأن كبير في نشر العلم بين أعداد متزايدة من الشعب. ويبين محمد بن علي بن طولون (ت: ٩٥٣هـ) أن هذه المدارس كانت كثيرة جداً حتى إنه يذكر عن أحد أزقة دمشق أنه كان فيه على قصره سبع مدارس(٩).

ومن أهم المؤسسات الوقفية في هذه الحقبة البيمارستان، وهو من المنشآت الصحية التي يساويها الآن المستشفى. ولكن البيمارستان كان يوقف عليه الأوقاف ليعالج العامة بالمجان. ومع تطوره صار يتبعه مكان لتدريس الطب، ومكان لتحضير الأدوية، وقاعات متنوعة للجراحة والرمد والحميات وغير ذلك من الأمراض، كما كان به مطبخ لتجهيز طعام المرضى.

وكان ينفق على البيمارستان نفقات ضخمة؛ لذلك اختص بإنشائه في الغالب السلاطين والملوك. ومن أهمها البيمارستان

القلاووني الذي أنشأه السلطان قلاوون الألفي (ت: ٦٨٩هـ) نجاه المدرسة الظاهرية، ووقف عليه عدة ضياع وأملاك وبساتين. وجعل له في كل يوم من الرواتب ألف دينار، واشترط في وقفه ألا يمنع من دخول البيمارستان من كان مريضاً أو أرمد أو مبطوناً أو مجنوناً أو من به عاهة، ويقيم به إلى أن يبرأ أو يموت، ورتب لهم الأطبة والأشربة والسكر...(١٠).

ومن أشهر هذه البيمارستانات - غير البيمارستان القلاووني -: بيمارستان دمشق، بناه الوليد بن عبدالملك (ت:٩٦هـ). والبيمارستان الطولوني، بناه أحمد بن طولون (ت: ٢٧٠هـ) في القطائع عاصمته، وبيمارستان فوجي، بناه أحمد شاه في آسيا الصغرى.

ومن الطريف أن بعض هذه البيمارستانات كانت تحوي وسائل ترفيهية أيضاً للتخفيف من آلام المرضى.

ونذكر أيضاً من مؤسسات الوقف التي تبين عن ازدهار حضاري عظيم في الحضارة الإسلامية: الخانات وأحواض الدواب، وهي مؤسسات لا نجد لها نظيراً اليوم في بلاد المسلمين، فضلاً عن غيرهم، وأحواض شرب الدواب كانت مما يناسب العصر الذي أنشئت فيه. ويمكن أن ينشأ على منوالها في عصرنا محطات للسيارات مثلاً لخدمتها على الطرق التي تربط المدن وتخدم المسافرين.

كما أن الواقفين بنوا الخانات على الطرق والفنادق داخلها لخدمة المسافرين والغرباء (ابن السبيل)، وكانت بمنزلة محطات لاستراحتهم، وفيها كل وسائل الراحة والأمان، مما أدى إلى ازدهار التجارة والعمران. واستمرت هذه المنشآت وكثرت جداً في فترات ازدهار الحضارة الإسلامية، فكان لها أثرها في تطوير حياة المجتمع الإسلامي في حينه.

ومن مؤسسات الوقف التي كان لها دور اجتماعي كبير: الميانم، وهي مخصصة لرعاية الأيتام وتعليمهم، واستمرار تعليمهم ورعايتهم إلى أقصى ما تؤهلهم له مواهبهم، أو يكون لهم الفرصة أيضاً لتعلم حرفة إن لم يكن هناك ميول للارتقاء في سلم التعليم. وكانت هذه الميانم تلحق عادة المدارس. ومن مؤسسات الوقف أيضاً الرباطات في الثغور، التي كانت تقام للمجاهدين في سبيل الله، وتحتاج إلى عمارتها وتزويدها بالعتاد والمؤن، وشحنها بكل ما يلزمها للمرابطين والمقاتلين(١١).

وعلى الجملة فإن الوقف وفر التمويل الذاتي لمؤسسات خدمة المجتمع إنشاء واستمراراً، وضمن لها حرية العمل، وأفرز أجيالاً من العلماء والفقهاء والكتاب والأدباء، وأشبع حاجات اجتماعية أساسية، وحفظ الأموال من الضياع في اللهو الباطل. فكان بذلك قوة للمجتمع ومؤسساته في موازاة قوة السلطان والأمراء. وحتى إن علماء مثل: النووي (ت ٦٧٦هـ)، والعز بن عبدالسلام (ت: ٦٦٠هـ)، وابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) وغيرهم كانوا يتصدون للأمراء والحكام إذا جاروا أو انحرفوا، ويسندهم في ذلك قوة الرأي العام.

ويصدق على الوقف بهذا الدور الكبير الذي قام به ما وصفه به أحد الدارسين من أنه مثّل على مر العصور الإسلامية مصدراً لحيوية المجتمع الإسلامي وفعاليته، ووسيلة للحفاظ على غايته ومثله النبيلة. فقد حقق الوقف استقلال العالم في مواجهة السلطان، وحافظ على الكثير من الوظائف مستقلة لا ترتبط ولا تخضع لغير سلطان الشريعة. كما أن الوقف حافظ على استمرار كثير من القيم الإسلامية في الواقع العملي. فقد وجد عدد من أنواع الأوقاف التي لم تترك قيمة إلا وحافظت على تحقيقها، ولم تترك وجهاً من وجوه الخير إلا وكان له وقف، حتى إنه كان هناك ما يسمى «وقف مساقي الكلاب». ولذلك تعد مؤسسة الأوقاف من المؤسسات التي قادت المجتمع الإسلامي في سياق حركته التاريخية التي نتجت في أغلبها من تفاعل العقيدة المنزلة مع الواقع الاجتماعي والتاريخي المتغير، للحفاظ على غاية مجتمع الاستخلاف المسلم. وتتحقق هذه الغاية في تحقيق العبادة لله وحده كغاية وشرط وجود وهوية استمرار(١٢).

الهوامش والمراجع

١. حديث وقف عمر رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن، وحديث وقف عثمان رواه النسائي والترمذي وحسّنه.
٢. قال جابر بن عبدالله: «لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو مقدرة إلا وقف». انظر الشرح الكبير على متن المقنع للإمام شمس الدين بن قدامة، دار الفكر، بيروت، ص (٣/٣٩١).
٣. انظر محاضرات في الوقف: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٨ - ٩.
٤. المدينة الإسلامية: محمد عبدالستار عثمان، عالم المعرفة (١٢٨)، الكويت، ذو الحجة ١٤٠٨هـ ص ٨٠. والأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر: د. محمد أمين، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م ص١٠٧ وما بعدها.
٥. الوقف والبناء الحضاري: مجلة الوعي الإسلامي ع٣٤٧، رجب ١٤١٥هـ ص٧.
٦. المدينة الإسلامية، مرجع سابق، ص٨٠ - ٨٣.
٧. المدينة الإسلامية، ص٨١ - ٨٢. والأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، مرجع سابق، ص٦٣ - ٦٨.
٨. المدينة الإسلامية، ص٢٥١.
٩. اللمعات البرقية في النكت التاريخية، محمد بن طولون، مكتبة القدسي والبدير، دمشق، ١٣٤٨هـ ص٢٠ - ٢٥. وانظر أيضاً النجوم الزاهرة: لابن تغري بردي (١٠/٨٦). والبداية والنهاية: لابن كثير (١٤/١٨٤).
١٠. بدائع الزهور في وقائع الدهور، ابن إياس، الهيئة المصرية للكتاب، ١٤٠٢هـ ص(١/٣٥٣).
١١. دور الوقف في تنمية المجتمع، للسيد علي الصوري، مجلة منار الإسلام، جمادى الأولى ١٤١٨هـ ص٧٦ - ٨٠.
١٢. نظريات التنمية السياسية المعاصرة، نصر محمد عارف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، ١٩٩٣م ص٢٩٢ - ٢٩٥.

من نوادر المخطوطات

المُطْرِب المُعْرِب الجَامع لأَهْلِ المَشْرِق والمَغْرِب

عبدالعزيز بن فيصل الراجحي
الرياض - السعودية

يزخر قسم المخطوطات والنوادر بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بمجموعة ضخمة من المخطوطات الأصلية والمصورة، فقد بلغ عدد عناوين المخطوطات الأصلية به نحو خمسة وعشرين ألفاً، وأما المصورات فقد بلغ عددها نحو عشرين ألف عنوان، فيكون مجموع ما تحويه خزانة المركز نحو خمسة وأربعين ألف عنوان مخطوط.

وهذا عدد كبير جداً، ينفرد به مركز واحد، لذا يعد مركز الملك فيصل من أكبر خزائن التراث في العالم العربي.

وقد ضمّ هذا العدد الكبير مخطوطات نادرة كثيرة، سواء في أصوله الخطية أو المصورة، إلا أني أحب أن أعرض لذكر شيء من نوادره الأصلية، لانفراده بها، واحتوائه على أصلها.

ومن تلك المخطوطات النادرة التي حوتها خزانة المركز: كتاب «المطرب المعرب، الجامع لأهل المشرق والمغرب» للعلامة المسند عبدالقادر بن خليل بن عبدالله الرومي المدني، الشهير بكدك زاده (١١٣٦هـ - ١١٨٧هـ).

وهذا الكتاب معجم صغير جامع لكثير من شيوخ كدك زاده، وقد أثنى عليه بعض أهل العلم، فقال فيه العلامة عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (ت ١٣٨٢هـ) في كتابه الموسوعي «فهرس الفهارس والأثبات» (٥٩٢): «هو ثبت عظيم على مثال معاجم من سبق من الحفاظ، جال في الدنيا لجمعه» أ.هـ.

كما ذكره ونسبه إليه جماعة آخرون من أهل العلم، كعبد الخالق بن علي المزجاجي (ت ١٢٠١هـ) في كتابه «نزهة رياض الإجازة» ص٢٦٦، ومرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) في «المعجم المختص»، وعبدالرحمن الجبرتي (ت ١٢٣٧هـ) في تاريخه (٤٢٨/١ - ٤٣٠) وإسماعيل باشا (ت ١٣٣٩هـ) في «إيضاح المكنون» (٤٩٨/٢) و«هدية العارفين» (٦٠٤/١) والحسين بن علي العمري الصنعاني (ت ١٣٦١هـ) في بعض إجازاته الخطية، والزركلي في «الأعلام» (١٦٤/٤) (ط٢) وكحالة في «معجم المؤلفين» (٢٨٧/٥) وغيرهم.

وقد أتمّ الشيخ عبدالقادر كدك زاده - رحمه الله، معجمه هذا بين سنة ١١٨٣هـ وسنة ١١٨٥هـ، فإنه رحل إلى اليمن سنة ١١٨٥هـ وكان معجمه بصحبته قد أتمه، وأجاز به لجماعة من العلماء هناك، وآخر شيخ أخذ عنه وذكره في معجمه كان سنة ١١٨٣هـ لهذا لم يذكر فيه أحدا من شيوخه اليمنيين، لاكتمال معجمه قبل دخوله اليمن.

وكان سبب جمعه له: أنه أجاز لبعض من يعز عليه لما استجازه، وكتب له نص إجازة طويلة، ذكر فيها أسانيده إلى الكتب الستة، ثم المسانيد الأربعة لأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، ثم أتبع كلّ مسند إمام، بمسند فقه مذهبه إليه.

ثم ساق بعض أسانيده إلى «الشمائل النبوية» للترمذي، و«الشفا» للقاضي عياض، و«الحصن الحصين» لابن الجزري. ولم يخله - كما قال - من بعض الفوائد المهمة، التي يحتاج إليها عالي الهمة.

ضياع معجمه

ولمّا اقتصر الشيخ عبدالقادر كدك زاده في أسانيده تلك، في تلك الإجازة على ستة شيوخ من شيوخه، خشي أن يُظنّ أن ليس له إلا هؤلاء الشيوخ الستة، فكتب هذا المعجم، وذكر فيه خمسة وأربعين شيخاً (كما في هذه النسخة من معجمه)، إلا أن شيوخه أكثر من ذلك، وقد أحصيت من شيوخه غير من ذُكر أكثر من اثنين وثلاثين شيخاً.

وقد شاع بين كثير من أهل العلم من المهتمين بالرواية والإسناد، أنّ معجمه هذا قد ضاع، واعتمدوا في ذلك على قول الجبرتي في «تاريخه» (٤٣٠/١) إن كتبه وما جمعه من الأشعار والأمالي ومعجم

شيوخه هذا وغيره، قد ضاع بعد موته بنابلس.

وكان اعتماد الجبرتي في ذلك - فيما يبدو - على ما ذكره شيخه مرتضى الزبيدي في «المعجم المختص»، حيث ذكر أنه راسل قاضي نابلس الشيخ موسى التميمي - الذي مات الشيخ عبدالقادر عنده - أن يرسل إليه كتب الشيخ عبدالقادر، ولم يظفر بمراده، وهذا لا يدل على الضياع.

فاعتمد العلامة عبدالحي الكتاني (ت ١٣٨٢هـ) على ذلك، فذكر في «فهرس الفهارس والأثبات» (٧٧٣) أن هذا المعجم قد ضاع، واعتمد عليهم من بعدهم.

نسخة المركز

وقد وقفت على نسخة جيدة لهذا المعجم - المفقود! - بخزانة المركز برقم (٢٠٦١) ضمن مجموع يبدأ من (١٠٧/أ - ١١٤/ب) في ١٦ ورقة.

وكتب على أول ورقة منه: «ثبت الشيخ عبدالقادر خطيب المسجد النبوي» وهذه تسمية وصفية لا نصية - كما اعتاد أهل العلم في كثير من الكتب - وقد نص جامعه الشيخ عبدالقادر كدك زاده على تسميته: «المطرب المعرب الجامع لأهل المشرق والمغرب».

ولم يذكر على هذه النسخة اسم ناسخ ولا تاريخ نسخ، إلا أن ورقها أوربي، يعود تاريخ صنعه إلى القرن الثالث عشر الهجري تقريبا، وكتبت بعض أوراقه على ورق أوربي آخر مختلف، يعود إلى التاريخ نفسه تقريبا، ومقاس أوراقه (٢٢×١٦)سم.

وهذه نسخة نفيسة نادرة، وقد وقفت على ذكر نسخة أخرى لهذا الكتاب في أحد فهارس مخطوطات اليمن، ذكر المفهرس أنها ضمن مكتبة أحد علماء اليمن الأعلام.

وقد زرت هذا العالم عند زيارتي لليمن، وسألته عن ذلك المخطوط، فأبدى اعتذاره، وأنه لكبر سنه - وهو من أبناء ست وتسعين - لا يعرف كتبه ومخطوطاته(١).

وأنا وإن ذكرت لهذا الكتاب هاتين النسختين، أجزم بوجود نسخ أخرى، خاصة باليمن وزبيد، لنقل عبدالخالق المزجاجي (ت ١٢٠١هـ) و عبدالرحمن الأهدل (ت ١٢٥٠هـ) من هذا الكتاب بعد وفاة مؤلفه.

كما أن إجازة مؤلفه لجماعة كبيرة من اليمنيين به دعت إلى نسخهم له، واهتمامهم به.

ومؤلفه الشيخ عبدالقادر بن خليل بن عبدالله كدك زاده الرومي - الأصل - المدني الحنفي، عالم بالقراءات متقن للسبع حفظ قلب، ومحدث عالي الإسناد، رحل لأجل الرواية إلى بلاد كثيرة، إلى مصر وغزة والرملة والقدس ودمشق وأيدين والروم والآستانة واليمن وغيرها.

وكانت له مشاركة في الفقه والنحو والصرف أيضا والبيان وغيرها من العلوم التي تلقاها عن أشياخه في بلده وفي رحلاته الكثيرة، سماعا على مشايخه وقراءة وإجازة، وغير ذلك من أوجه التحمل الصحيح.

مع حاكم صنعاء ووزيره

وبقي الشيخ عبدالقادر رحمه الله، مرتحلا لطلب العلم سنين طويلة، ولما دخل صنعاء عام (١١٨٥هـ) مدح حاكمها الإمام المهدي عباس بن المنصور حسين الرسي الحسني الصنعاني (ت ١١٨٩هـ) بقصيدة فأكرم بها، ومدح فيها أيضا وزيره الأكبر أحمد بن علي بن هادي النعمي ثم الصنعاني (ت ١١٨٦هـ).

وقد ذكر الشوكاني رحمه الله، إمام اليمن هذا ووزيره في البدر الطالع وترجم لهما (٣١٠/١ - ٣١٣) و (٩٢/١ - ٩٣).

وأثنى عليهما ثناء كبيرا، ووصف هذا الإمام بالعدل والذكاء والفطنة ومحبة أهل العلم، ونصرة المظلوم، كما وصف وزيره بالتقوى وخشية الله ومراعاته لأموال الناس والتحفظ منها، وإقباله على الخير والطاعة، وميل إلى أهل العلم والصلاح، ومواساة للضعفاء.

وكان شعر الشيخ عبدالقادر جيدا، ينظم القصائد في المناسبات المختلفة، وقد جمع غالب قصائده في ديوان لا يعلم حاله، إلا أن العلامة خليل بن علي بن محمد المرادي (ت ١٢٠٦هـ) قد أورد قصيدة له في ترجمته من «سلك الدرر» (٥٦/٣ - ٥٧) مدح بها والده العلامة علي المرادي (ت ١١٨٤هـ) لما قدم عليهم الشيخ عبدالقادر في دمشق سنة ١١٧٩هـ، ومطلعها:

الورقة الأخيرة من المخطوطة

أرح العيس رفقة بفؤادي
وأنخها فقد وفدت بوادي
واخلع النعل فهو أقدس واد
جنة في الورى وأشرف نادي
وتأدب فذا مقام علي
ومقام لديه كل مرادي

إلى آخرها، وهي أربعة وعشرون بيتاً، أظهر فيها فنون البلاغة.

وكان الشيخ عبدالقادر حسن النغمة طيب الأداء، ولي خطابة المسجد النبوي، وكان إذا تقدم إلى المحراب في الصلوات الجهرية ازدحم عليه الخلق لسماع القرآن.

وقد حلاه قرينه العلامة عبدالخالق المزجاجي (ت ١٢٠١هـ) في «نزهة رياض الإجازة» ص ٢٦٦ بالعلامة المسند الرحلة، وقال عنه: «كان العلامة مقرئاً خطيباً جواباً في بلاد الله تعالى، لقي كثيراً من المشايخ العظام، والمعمرين الكرام، وكان فريد العين، حسن الخلق، دائم البشر، أخذنا عنه، له السند العالي، والشوق إلى المعاني».

ميلاده ووفاته

كان مولده بالمدينة سنة ١١٣٦هـ على الصواب، كما سمع ذلك منه صديقه عبدالخالق المزجاجي، وكتبه له بخطه، وأما ما ذكر في «تاريخ الجبرتي» (٤٢٨/١) و«فهرس الفهارس والأثبات» للكتاني (٧٧٢) و«معجم المؤلفين» لكحالة (٢٨٧/٥) وغيرها، أن مولده سنة ١١٤٠هـ فخطأ، قد تابع بعضهم فيه بعضاً، وقد تابعهم غالب من أرخ مولد الشيخ عبدالقادر فليتنبه إلى ذلك.

أما وفاته، فإنه لما عاد من اليمن رجع إلى المدينة، ومنها إلى الشام، فمكث بالقدس الشريف قليلاً، ثم ارتحل إلى نابلس، ونزل بضيافة قاضيها الشيخ موسى التميمي فأكرمه وآواه واحترمه، وكانت معه حصيلة رحلاته وما جمعه من فوائد في أسفاره الكثيرة الطويلة، ومؤلفاته وأماليه وقصائده وغير ذلك، ثم مرض أياماً وتوفي رحمه الله سنة ١١٨٧هـ وبلغ نعيه مصر وغيرها وحزن عليه.

وما أرخت به وفاته، هو الذي اعتمده قرينه ورفيقه مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) في «معجمه المختص»، ووافقه الجبرتي (ت ١٢٣٧هـ) في «تاريخه» (٤٢٨/١)، وعبدالحي الكتاني في «فهرس الفهارس والأثبات» (٧٧٢).

أما المرادي في «سلك الدرر» (٥٧/٣) وإسماعيل باشا في «إيضاح المكنون» (٤٩٨/٢) و«هدية العارفين» (٦٠٤/١) والزركلي في «الأعلام» (١٦٤/٤) ط٢ وكحالة في «معجم المؤلفين» (٢٨٧/٥) فقد أرخوا وفاته سنة ١١٨٩هـ وهو خطأ، ولهذا بعض الأدلة، ولعل مرجع هذا الاختلاف، هو تشابه رسم (سبع) و(تسع) إلا أن المرادي في «سلك الدرر» قال: (بتقديم التاء على السين) فجزم بالتسع وهو مخطئ.

أما الأمير صديق حسن خان القنوجي (ت ١٣٠٧هـ) فقد اضطرب في تعيين تاريخ وفاته - كعادته في التراجم - فجعله في «التاج المكلل» (٥٠٣ - ٥٠٤) سنة ١١٨٦هـ وجعله في «أبجد العلوم» (١٨٣/٣ - ١٨٤) سنة ١١٨٥هـ وهو مخطئ في كلا التاريخين، فإن الخلاف محصور بين سنة ١١٨٧هـ وسنة ١١٨٩هـ لا غير.

وكانت وفاته بنابلس من فلسطين، كما نص على ذلك العلامة سليمان بن يحيى الأهدل (ت ١١٩٧هـ) والعلامة مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) - وهما من أقرانه المتصلين به - والمؤرخ عبدالرحمن الجبرتي (ت ١٢٣٧هـ) والعلامة عبدالحي الكتاني (ت ١٣٨٢هـ) وغيرهم.

أما ما في «سلك الدرر» للمرادي (٥٦/٣ - ٥٧) أن وفاته كانت بالمدينة ودفن بالبقيع، فغلط، وقد سبقني إلى هذا التنبيه عبدالحي الكتاني في «فهرس الفهارس والأثبات» (٧٧٢).

مؤلفاته

ومؤلفات الشيخ عبدالقادر كدك زاده - رحمه الله - قليلة، فقد ذكر له مترجموه ستة كتب هي:

- كيد الصروف عن أهل المعروف، ألفه للعلامة علي المرادي لما قدم دمشق سنة ١١٧٩هـ.
- المطرب المعرب، الجامع لأهل المشرق والمغرب، وهو كتابنا هذا، أتم جمعه بين سنة ١١٨٣هـ وسنة ١١٨٥هـ.
- السر المؤتمن، في شرح الرحلة إلى اليمن، كتبه بعد رحلته إلى اليمن سنة ١١٨٥هـ.
- ديوان أشعاره ومدائحه، كان مسودة بخطه، جمع فيه ما نظمه في رحلاته الكثيرة، وهو جامع لغالب شعره.
- ثبت ذكر فيه أسانيده إلى الكتب الستة، ومسانيد الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وسند كل مذهب إلى إمامه، وأسانيد بعض الكتب.
- طب القلب العليل، بعوالي ابن خليل، وهو أربعون حديثاً مسندة، منه نسخة خطية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (٣٩٦٩) وعنها صورة بمركز الملك فيصل.

ومع قصر ترجمة الشيخ عبدالقادر كدك زاده في كتب التراجم، إلا أني تتبعت حياته ورحلاته، وترجمت له ترجمة مطولة في مقدمة تحقيقي للمطرب المعرب، يسر الله طبعه.

وأعلى إسناد يقع به هذا الكتاب لأمثالنا، بأربعة رجال، فأرويه عن شيخنا العلامة محمد بن أحمد بن عمر الشاطري إجازة عن شيخه محمد بن سالم السري (ت ١٣٤٦هـ) إجازة عن شيخه محمد بن ناصر الحازمي (ت ١٢٨٣هـ) إجازة عن شيخه عبدالرحمن بن سليمان الأهدل (ت ١٢٥٠هـ) بإجازته من الشيخ عبدالقادر كدك زاده (ح).

ومثله يرويه شيخنا الشاطري عن جده لأمه أبي بكر بن عبدالرحمن بن محمد بن شهاب باعلوي الحضرمي (ت ١٣٤٢هـ) إجازة عن أبيه إجازة عن عبدالرحمن الأهدل عن المصنف.

وهذان إسنادان عاليان يغتبط بهما، استحسنت سياقهما هنا، لأجل موضوع الكتاب.

الهوامش

١. هو العلامة المسند المعمر أحمد بن محمد بن محمد زبارة الحسني الصنعاني ولد سنة ١٣٢٥هـ وتوفي هذه السنة ١٤٢١هـ رحمه الله.



عبدالله بن صالح الوشمي
بريدة - السعودية

أنت من أنت في فؤادك أسرا ... ر. ومن راحتيك يأتي النهار
أنت من أنت كوكبٌ من ضياءٍ ... كل شيء أراه منك يغار
أنت لما بُعثت أنصتت الأر ... ضُ وجاءت بموجهن البحار
وتلت أنجمُ السماء نشيدًا ... كلُ نجم فمٌ عليه افترار
جئت في زحمة الحياة إلينا ... أنت عنواننا. وأنت الشعار
أنت في وقدة الهجير ظلالٌ ... وإذا الريح أعولت فدثار
جئت في رحمةٍ فرفت حوالي ... ك طيورٌ وهاتفتك الديار
هي ذي مكة تلقتك فجرًا ... وحدا صوتك العظيم الغار
ومشى الوحيُ في رباها زمانًا ... نبويًا واهتزت الأوتار
وأتى السعدُ طيبةً فحباها ... بالأماني كأنها آذار
حسبك الآن يا حجازُ فذكرا ... ك بعيد على النجوم مثار
من هنا.. من ربوع أرض بلادي ... شع نورٌ. وغرد المزمار
يا رسول الهدى. وفي القلب شوقٌ ... وحنين. والأرض نورٌ ونار
البطولاتُ عند بابك أقعت ... وهفت نحوك الكبارُ الكبار
شعبكَ المتعبُ الجريحُ يغني ... بدموعٍ ما كلُ حادٍ هزار
أنهكت جسمه العظيم وشومٌ ... ورعى ماءه الكريم العار
خدّرت قاطني الكهوفِ عظاتٌ ... ومن النوم تولدُ الأخطار
عجبي! كيف ينقضي لست أدري ... أمّةٌ حرةٌ. ونهجٌ معار
ينس اليأسُ من مداه فهيها ... ت. متى يلعن الصغار صغار؟
يا رسولَ الهدى حنانيك في قلـ ... ـبي نداءٌ وفي عيوني دمار
ظمئ الشعبُ للبطولات حتى ... ظمئت للحبيب هذي الديار
قلبه متعبٌ وملكُ يديه ... منبر للهدى وللعزّ دار
تاه في كلّ لحظةٍ (سندبادًا) ... فمتى يقبل المنى (شهريار)؟



قصيدة النهر

صالح الحميدان

الرياض. السعودية



أنا النهرُ في بابي غرستُ تحيةً ... لمن عند بابي ألجأته الحوافزُ

وأمّا الذي يشدو بعيداً مسائلاً ... رئيني وفي عينيه قبلي روامزُ

فهذا إلى نفسي قريب بودّه ... كأنّ به منّي قرينا يُفازز

كلانا يُريبُ الظلّ في قاع ذاته ... فكيف إذا حاذى صديعاً يُلاحزُ

به نسغُ شيءٍ ناسكٌ في عيونه ... لشيءٍ به نورٌ من القبرِ جامزُ

أحلّ به إن عابثتني شواغلي ... ويرمح في رأسي خفيّاً يُناقزُ

أرى منه في دربي سماءً ووردةً ... وطيراً نحيلاً ثقّفته المفاوزُ

يفكّك في خطوي ضبابٌ طلاسم ... ويشكو بروحي ما تثير الجنائزُ

وحيرةَ بالٍ في شجونٍ قصيّةٍ ... إذا ما أتى منها خيالٌ وحارزُ

أضرّ بها شوقٌ على الصبرِ غالبٌ ... يَحثّحثه طرفٌ من الوجدِ ضامزُ

شجونٌ عزيزةٌ على كلّ حالمٍ ... يقابسُ فيها ما طوته الكوانزُ

لها رصدٌ ضدٌّ ختولٌ مباغتٌ ... مطيرٌ شراراً بابليّ يُناجزُ

كأنّ جنونَ النبض إنْ حام حولها ... جنونُ حصانٍ أرهقته النواشزُ

وطيفٌ بباب في حصونٍ منيعةٍ ... يُراودها منه الوِدادُ المُلازِزُ

سمتني سمومُ الصيف غبراً عنيدةً ... فروضها مني رذاذٌ وحامزُ

أقبلها شمطاءَ شيخٌ زمانُها ... فتركضُ حسناءَ لعوباً تُغامزُ

وتلتفُّ فوقَ الماء تمثالَ مرمرٍ ... فتشربُها منّي العيونُ النواهزُ

تخوضُ غماري، ثمّ تبدو، سفينةً ... بها صبيةٌ غرٌّ نجومٌ بوارزُ

صغاري صغارُ النهرِ شبهُ قلوبهم ... بشائرُ صبحٍ أنجبته الفوارزُ

أزيلُ بهم جدبَ السنين ونسلَها ... خفافيشَ حقدٍ أعمهتها الحزائزُ

إذا ما رنوا نحوَ المزارِ توهّجوا ... بصوتٍ مطيرٍ شفّ فيه التمايزُ

وطاروا غرانيقاً يجوسُ سناؤهم ... نفوساً نفت عنها الشموسَ الحواجزُ

إذا ما محوا من غور نفسٍ جهامةً ... تبرعمَ فيها للطبول رجائزُ

وغنّتْ ضفافُ النهر متنَ قصيدةٍ ... يُخبّرُ أنّ الماءَ لا شكّ فائزُ



فوزية العلوي
القصرين. تونس

لمَهْرِ الأحبة عندي مقيلُ
ولي في ثراهُم عبيرُ الفُصُولْ
ولي من زمانٍ تباريحُ وَجْدٍ
ولكن هذا الزمانَ بخيلُ
بخيلٌ لأن خيولي تهاوتْ
عَشيّةَ أعلَنَ قلبي الرحيلْ
رحيلا، وما كنتُ مُولَعَةً بالحكايا
ولا عشش السهدُ في سقف بيتي
ولا غيمةٌ أقمَتْني شذَاهَا
ولا مَالَ خصْري على نَهَوَنْدٍ
ولا ذُبتُ وَجْدًا لأني رأيتُ انهمار السيول
مؤلفةً بين نفسي ونفسي
وساكنة في حرير المَرَايَا
وهادئة مثل طير رخامْ
وقانعة بانحناء الزوايا
وسابحةً في خرير الكلامْ
وبيتي يطل على سفح ريحٍ
ونافذتي من زجاجٍ صقيلْ
صقيلٍ ولم أكُ أشقى لإيقاع قطْرٍ
ولا كانت الفلْكُ تغتالني
ولا غازلتني عرائسُ بحرٍ
ولا شقني في الغروب النخيلْ
مُصالحةٌ بين ظلي وبابي
وسابحة في خيوط ثيابي
وراقصة وسْطَ زَيْت الفتيلْ

أعدُّ دثاري
وأوقدُ للعَنْدليب نهاري
وأقرئُ طفْلي دَرْسَ الحسابْ
أحطُّ يدي فوقَ ثلج يديْه
وأروي وأرْوي عن السنْدبادْ
وعَنْ سنْدرلا
تُمرِّغُ أحزانها بالرَّمادْ
وإمَّا غفَا
فأمُدُّ جناحي على قَدْرِ ريشي
وأرحلُ فوق هضاب الرُّقَادْ
فمَنْ دقَّ بابي؟!
ومن يا تُرى قَدْ أراقَ سَحَابي؟!
ومَنْ جرَّأ الريح حتى تَمُرّ
ومَنْ قال للأرْضِ لا تستديري؟!
وللنار حتى تُذيع الخبرْ؟!
ولليل حتى يُعيدَ الحكايا
وللنجم حتى يَشُدَّ الوترْ؟!
أفعلاً أغني؟
أم الأرض تبكي وذاك المطرْ
أفعلاً ربيعٌ زَهَا بثيابي؟
وتلك مروج نمت في خفَرْ
وتلك غصونٌ رَمَاهَا الهواءُ
فباحتْ بنشْرٍ وجُنَّ الثمرْ
أفعلاً بقلبي رفيقُ الشبابِ
وشدْوُ الربابِ

ولَهْوُ العُمُرْ؟
أم الذكْرياتُ نَمَتْ في خيالي
وألقتْ عليَّ ظلالَ الدَّوالي
ورشّتْ عليَّ عقيقَ الزَهَرْ
فحامتْ طيوري وسحّتْ عطوري
و غنّتْ دُهوري وجُنَّ القمَرْ
وألفيتُ نفسي
تماماً كأمسي
ألفُ عليَّ دمقْسَ الحذَرْ
وأرقبُ مُهري كما الليل يسْري
وحين أراهُ كما الفجرُ يغْري
وكالمُزْنِ تجري
أطيرُ إليه كلمحِ البصَرْ
فيخضلُّ وردًا
وينهلُّ شهدًا
ويقتلني من جواهُ الخَفَرْ

مدفونٌ علي بابا

فيسنت بلاسكو إيبانيز
ترجمة: محمد عبدالعال أحمد
المحلة الكبرى. مصر

قال المثّال جارسيا:

- اضطررت - تحت إلحاح الحاجة - إلى ترميم الكنائس بما تحوي من آثار ومبان صخرية، ورحلت لفترة طويلة عن بلدي من أجل ذلك العمل..

ذات مرة كُلّفت بترميم كنيسة بيلوس. وأثناء عملي مع بعض معاونيّ رحت أتسلى بغناء مقاطع من الأوبرات الشهيرة مثل عايدة وفاوست. دفع ذلك ببعض الجيران إلى أن يأتوا إلينا كل يوم ليراقبوا عملنا، ومن بينهم نسوة معمّرات ثرثارات لا همّ لهن غير الوقوف بالساعات، والخوض بالنقد لعملنا..

كانت أرضية الكنيسة من قطع مستطيلة كبيرة من الحجر، وفي الوسط صخرة كبيرة مستديرة في مركزها حلقة حديدية تعاني من الصدأ..

وكنت واقفًا على الصخرة ذات مساء أتساءل:

- ترى ماذا يوجد بالأسفل؟!

وعمدت إلى الحلقة أجذبها، وإذا بامرأة اسمها باسكوالا تدخل، وترتسم على وجهها أمارات الدهشة..

أمضت باسكوالا إلى جواري المساء على السقّالة غير آبهة بالنسوة، تحملق في وجهي بحدّة، كما لو كانت تسألني عما كنت أفعل بالصخرة؛ إذ لم يسبق لأحد أن فكّر في رفع الصخرة من مكانها!.

أنهينا عملنا وأزحنا السقالة من مكانها قاصدين مغادرة المكان، وفي هذه اللحظة حاولت المرأة انتزاع سري، قالت:

- إن أخبرتني بالحقيقة أحافظ على سرّك يا عزيزي.

لم أجد بدًا من تلفيق حكاية خيالية ظريفة، مع أخذ المواثيق عليها خمسًا وعشرين مرة بأن تكتم السر.

أخبرتها أنني رفعت الصخرة بمفعول السحر الذي أعرفه وحدي، وتحت الصخرة كانت ثمة دهليز قادني إليه سلم خفي أفضى بي إلى عدد من الممرات..

من أحد الممرات انبعث ضوء خافت. حين وصلت إلى نهاية الممر أبصرت قنديلاً قديمًا مشتعلاً، لابد أنه كان موجودًا من آلاف السنين..

في وسط الغرفة فراش من المرمر يرقد فوقه عملاق ذو لحية طويلة شهباء مغلق العينين، وإلى جواره سيف ضخم مربوط في عباءة فضفاضة تبرق كالذهب، وعلى رأسه عمامة تكسوها اليواقيت والذهب. على الفراش عدة جمل مكتوبة بلغة غريبة لا يعرفها سواي، فقرأتها بكل يسر. «هنا يرقد علي بابا في القبر الذي شيدته لأجله زوجته المخلصة سارة وولده العزيز..».

•••

بعد شهر كنت في مدينة «بلنسية»، وسرعان ما علمت بما جرى في بيلوس بعد أن غادرتها..

أذاعت باسكوالا السر لزوجها، فذهب إلى حانة البلدة وأذاعه، فأصيب الكل بالذهول.. لقد عاشوا طوال هذه السنين ولم يعلموا بالأمر إلا بعد أن كشفه لهم غريب..

في يوم الأحد التالي، حين غادر القس البلدة الصغيرة مدعواً إلى الغداء مع أصدقائه، اندفع رهط من أهل البلدة إلى الكنيسة وهم يحملون القضبان الحديدية والحبال والأدوات الثقيلة، لكن لم تتحرك الصخرة بوصة واحدة فصاحت بهم باسكوالا:

- تشجعوا وثابروا، وتذكروا ما يوجد بأسفلها!.

فازدادوا حمية واشتعلوا حماسة، وبعد ساعات أفلحوا في انتزاع الصخرة إضافة إلى جزء من الأرضية.. وانطلق أحدهم يهبط السلم إلى الدهليز مستعيناً بحبل..

صاحوا في صوت واحد:

- ماذا ترى..؟!

لكنه صعد وهو ينفض يديه في حزن.. قال:

- لم أجد سوى أربعة جدران سميكة، وأكوام من التبن العطن..

صرخوا فيه وقد تجمّعوا على حافة الفتحة:

- انظر حولك، فتش بدقة..

هز كتفيه، ولم يعلّق...

فانطلق سعير الغضب من عقاله، ولاحقت ألسنة النسوة باسكوالا بأقذع الشتائم..

وكانت ذروة المأساة والحظ العاثر حين عاد القس ورأى بعينيه ما حلّ بالأرضية، فأعلن أنه سيغلق الكنيسة ويرفع الأمر إلى أولي الشأن، ولم يهدأ إلا وقد أقسموا أنهم سيعيدون إصلاح الأرضية وما أصاب الكنيسة من تلف على حسابهم الخاص..



•••

سأل أحد الذين استمعوا الحكاية المثّال جارسيا:

- هل عدت إلى هناك مرة أخرى؟

- لا بالتأكيد، فقد قابلت بعض أهالي بيلوس في بلنسية وعدّوا الحكاية مزحة، وأكدوا أنهم لم يكونوا من الذين اقتحموا الكنيسة، وأنهم أصابهم الشك في الحكاية، ودعوني إلى زيارة البلدة وهم يبتسمون في براءة الملائكة، وفي أعينهم نظرة بما يعتمل في قلوبهم من نوايا..

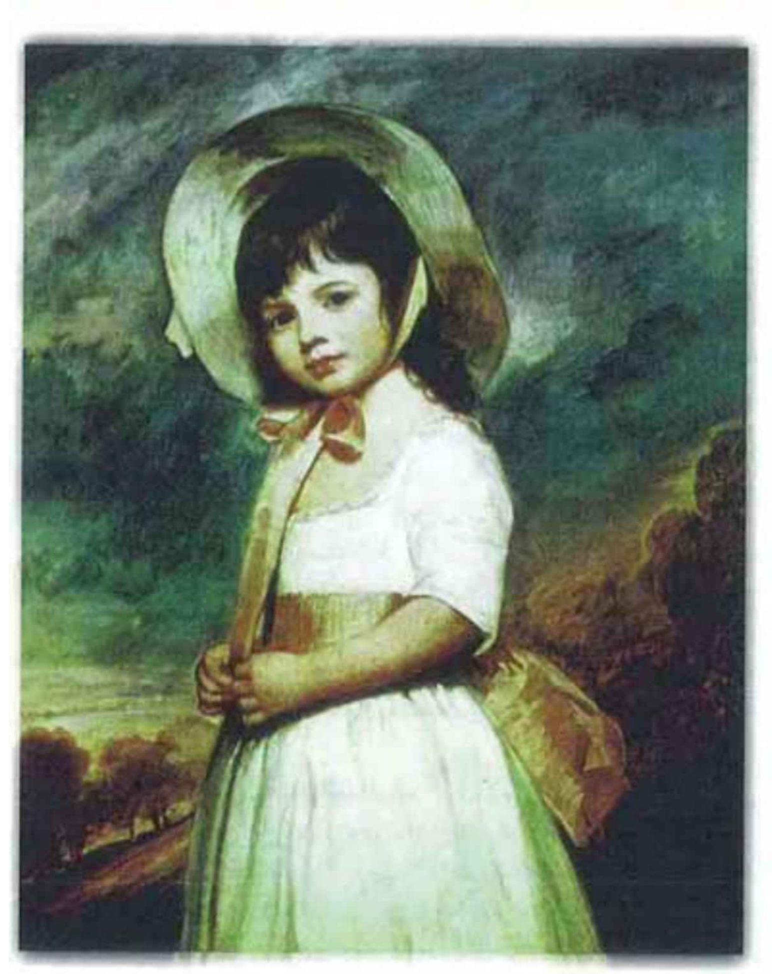
العاشق الصغير

إبراهيم الناصر الحميدان
الرياض - السعودية

التفت إلى الخلف محاولاً أن يقيس مسافة زمنية.. يا لها من هوة عجيبة كيف لهذا الفرد الضعيف أن يواجه كل تلك الظروف، ثم يراكمها في أعماقه رغم ما تسببه من آلام؟ النبض يرتفع ثم يهبط، والحظ يبتسم ثم يتجهم، والصفعات قد لا تتحول إلى قبلات دائمًا. ونظر إلى الشريط من خلفه.. هاربًا إلى بدايات التسجيل.. عندما كان مجرد صبي يافع، يتراكض في أزقة متربة في محيط لم تعرف منازله سوى البناء الطيني المتوارث.. وفي بلدة على جرف ركام صحراوي هائل تتقاذفه الرياح من كل جانب. ورغم أن النسيان أخذ يهاجم جيوب الذاكرة لينتزع منها ذلك الكم المتراكم ربما ليفسح المجال للجديد حتى يتسنى له موضع قدم بعد أن احتشدت الذكريات في زوايا تثوي فيها لتدفع بعضها إلى التسرب والانفلات في تيار يقذف بها من كل جانب. تذكر أنه لم يغادر تلك القرية في رحلة سياحية سوى مرة واحدة لا يعرف سببها، إنما هي رغبة والده الذي أقنعه أصدقاؤه بالترويح عن النفس في شمال وادي الرافدين حيث اشتهرت فيها الأجواء العبقة من خلال الجبال الشاهقة التي تتلقى رضاب السماء والهتان الذي لا يتوقف، فتنبت الأرض وتزدهر في حلة قشيبة لا يدانيها سوى أجواء أوربا المطيرة الباذخة. ولأول مرة يشاهد ذلك الوعاء المستطيل إلى مد النظر يمتص جحافل الناس ثم يقذفهم في محطات على امتداد المسافات. ورغم الرحلة المتعبة التي تخللها ركوب حافلات ثم الاستواء فوق ظهور البغال بعد أن تعذر على العربات صعود تلك الطرق الجبلية الضيقة والملتوية، فاستقر بهم المقام في بستان واسع تحقق لهم استخدامه عن طريق الإيجار حيث شاهد لأول مرة في حياته أنواعًا مختلفة من ثمار الفاكهة اللذيذة. فكانت الثمار الشهية تتدلى من تلك الأشجار الضخمة في متناول الجميع.

وكانت أسرة صاحب البستان تقيم في طرف منه لذا فإنه من البديهي أن تتسرب أقدام الصغار لمعرفة أحوال الطرف الآخر! إذ وجد في تلك الأسرة صبية قريبة من عمره، لا تجيد النطق بالعربية، جميلة فاتنة ذات بشرة بيضاء مشربة بالحمرة، بعينين دعجاوين، وشعر حريري ينساب على ظهرها، خفيفة الحركة تتراكض في أنحاء البستان كغزالة نافرة. ويبدو أنها استأنست لوجود هذا الغريب المتروي، فأخذت تحمل إليه بين الحين والآخر إضمامات من ثمار الفاكهة من باب الزهو بما تنتجه مزرعتهم، فكان يشكرها مبتسمًا على حسن الضيافة. أما هي فترسل ضحكة ناعمة، وتنتقل من أمامه مثل أرنب لا يكف عن الحركة. وكانت الصبية تدعى «شكرية» وهو اسم يذكره بالسكّر الذي يحب التهامه في غفلة من والدته رغم تحذيرها له بأنه يتسبب في تكاثر الدود في معدته. وعندما تراه ساهمًا تأخذ بيده لتسلق الأشجار الضخمة، وكان يجفل ويتردد في بادئ الأمر بيد أنه أخذ ينساق معها بالتدريج ربما شغفًا بجمالها

وخفة دمها حتى كان ذلك اليوم الكئيب والذي مارس فيه معها لعبة التسلق الخطيرة.. فانطلقت أمامه مسرعة وهي تضحك وتقذف نحوه بعض الثمار بتحد، فكان عليه أن يجاريها بما تفعل به. ولم يحس بنفسه إلا وقد صار في أعلى الشجرة التي غيبت عن ناظريه مشاهدة رفاق الرحلة. وحين كفت الصبية عن التسلق وهي تتنفس بصعوبة من أثر السرعة فعل هو الآخر مثلها وقد وضح عليه الإرهاق، على أن الفتاة الشقية سرعان ما غافلته وانحدرت نازلة من علو الشجرة. بينما بقي هو ينظر إليها بشغف وهيام.. وانتهى الأمر إلى أنها غابت عن ناظريه تماماً. عندها أسقط في يده وأدرك حراجة موقفه. إذ إن الهبوط يحتاج إلى دراية وموهبة وهو لا يملكها. كما أن التعب قد أقفل أمامه أي طريق في مجاراة تحركات الفتاة. وبقي في مكانه لا يزيم وقد شل الموقف أي تفكير في رأسه، وبينما هو في شروده تنبه إلى أن بعض صغار القردة يتقافزون على الأغصان التي حوله بارتياح، بل ويتعابثون أيضاً.



وانشغل بعض الوقت في متابعة حركاتهم الفطرية مما جعله يسند ظهره إلى جذع الشجرة ويرتكن إلى نوع من الإعياء الذي داهمه دفعة واحدة حتى أغفى مستسلماً لذلك الإرهاق، بينما القردة تصفق له مشجعة إلى أن يئست من إمكانية قيامه بأي حركة، فتركته ومضت إلى مخبئها بين الأغصان ولا يدري كم مضى عليه من الوقت حتى شعر بأن القرود الصغيرة أحضرت كبارها فبدأوا في محاولة دفعه إلى الهبوط لا سيما عندما سمعوا الرجال ينادون عليه بصوت مرتفع، وكان الوقت - كما يبدو - قد اقترب من منتصف الليل، على أنه تجاهل كل ذلك ومضى في نومه، ولم يشعر إلا وقد انهار به الغصن الذي كان يتكئ عليه فإذا به في أسفل الشجرة. وسارع الرجال إلى مكان وقوعه. ولما رآه والده في تلك الحالة المزرية وقد تمزقت ثيابه قال بغضب:

- يا خسارة أهكذا تضحك عليك تلك الطفلة؟

فأراد الدفاع عن نفسه قائلاً

- إن القردة هي التي دفعتني

- لا تتهم القردة؛ لأنها كانت تساعدك..

ولكن عشق الصبية هو الذي أضاع رشدك

فابتسم بقية الرجال وعلقوا ضاحكين

- دعه يمتع شبابه.. فلن يرى أجمل منها طيلة حياته في قريته الكالحة.

نافذة فضية لطائر أبيض

فاتح عبدالسلام
عمّان - الأردن

كان هذا العريف أولّ منْ يتلقّى البرقيّات والاتصالات السريّة من المقر العسكريّ الأعلى، ويوصلها على الفور إلى الضابط المسؤول في الفرقة.

جعله هذا العمل يطلع على أسرار تحتجب عن آخرين، ويعلم بنبأ الهجوم قبل أنْ يقع، وبتنقلات الضباط الكبار قبل أن تصل أخبارهم إلى أفراد الفرقة. وكان في موقع ائتمان عظيم من قبل قائد الفرقة ربما لا يحظى به عدد كبير من ضبّاط المقر. وعلى الرغم من ذلك كان يُفرض على حركته وخروجه من غرفة الاتصالات حظر كبير خوفًا من تسرب المعلومات السرية. الأمر الذي نبّهه يومًا بعد آخر إلى أنّ الوجه الآخر لحقيقة وضعه هو أنّه موضع شك كبير، وإلا لمَ هذا التشديد على حركته أكثر ممّا يجب؟ ولكنّه يعلم أيضًا أنّه ليس بإمكانه الاعتراض على ما يجري.

مرّت عليه ساعةُ هدوء. لم تكن فيها أوامر أو برقيات. وفجأة، وخَزَهُ الصمتُ بوشيش في أذنيه. وشعر بالجدران تزحف نحوه والسقف ينخفض على رأسه، رويدًا رويدًا. كان الصمت المباغت يخرج من أذنيه وأنفه وعينيه. فقاعات وأبخرةً وحرقةً.

أهذه المرة الأولى التي يمكث فيها وحيدًا؟.

مَنْ معه الآن بين جدران مليئة بالشعارات وجداول التوقيتات العسكرية والأجهزة والأسلاك.

ثمّة كائنات أثيرية تعبث بالمكان. يكاد يراها. ولكنّهُ حين يبللُ وجهه بقدح الماء تتلاشى دون أثر.

تأمّل الأجهزة اللاسلكية وتذكر كيف أنّها نقلت أنباء أعظم العمليات العسكرية في الحرب. وكيف كان يستلم منها إشارة معينة وينقلها إلى مقر الفرقة، فيقع هجوم مدمر في أثر ذلك. استحضر أصوات الفزع والشك والغضب والنفاق وهي تغلي في مرجل هذه الغرفة الحصينة.

كانت آخر برقية استلمها تحمل أوامر التقدم إلى منطقة وعرة حوصر فيها فوج كامل كان قد خدم فيه فترة طويلة، ويعرف أفراده واحدًا واحدًا، ووقع الفوجُ أسيرًا بكل عدته وعدده، في معركة لا تمتُّ بصلة إلى معاهدة جنيف لحقوق الأسرى.

كم صديقًا كان له في ذلك الفوج؟

كثيرون.

يتذكّر مَنْ؟ وينسى مَنْ؟

أغمض عينيه المتعبتين فجاءت إليهما وحوشُ الليالي تحمل حرابًا ونصالاً لامعةً عليها رؤوسُ أصدقائه في ذلك الفوج، الذين عاش معهم أوقاتًا طويلةً حتّى صاروا جزءاً من حياته ولغته وتفكيره.

هذه الساعة، كلُّ شيءٍ هادئ. كأنّ هذه الأجهزة الخطيرة لم تشترك في لعبة الموت التي يمارسها القديسون في الحرب.

اغتسلت عيناه المغمضتان بينبوع دافقٍ حار. وبكى طائر أبيض في صدره فانتابهُ شعور بأنّ الموت يمرّ من هذه الغرفة وخلال هذه الأجهزة. وإنه معبر مستباح لتوابيت تصطف في أدوار مؤجلة.

تلمّسَ الأجهزة الصمّاء التي اذا نطقت فلغتها أنباء تقود إلى حزنٍ عظيم، فتحولّت أصابعه إلى ثعابين صغيرة.

اختطت الدموع لها مسارات إلى شاربيه وذقنه. وطفت حمرةٌ خفيفة على وجهه. ثلاث سنوات لم يغادر يومًا غرفة الاتصالات السريّة إلاّ في إجازاته الدورية.

ليسَ لديه بديل لجملة (استلمت سيدي).

انتحبَ الطائرُ الأبيضُ في صدره وقال: «لولا نقلك لتلك الأوامر لربّما تأخر أولئك الرجال في الخنادق الأمامية عن الموت أيامًا أخرى!

لا... توقيتات الموت عادلةٌ.. ولكن لولا....

هل فكرت أن تصنع شيئًا من أجلهم؟

هل تبكي؟

هل تصلي؟

ليس هذا وحده كافيًا.

اصنعْ شيئًا. بيدك أنْ تصنعَ شيئًا. أجل أنتَ العريف فلان، أنت..»

ماذا يمكن أنْ يفعل عريف في بحر من الأوامر والخوف والموت؟

اكتأبَ وعلت المرارةُ نفسه.

راح الطائر الأبيض يبكي عنيفًا ويضرب بمنقارهِ في صدر الرجل حتّى انفتحت فيه نافذة فضيّة.

اشتعل الضوءُ الأحمر في الجهاز السريّ للاتصالات. إنّها برقيّة جديدة قادمة تحمل الأوامر لهجوم جديد.

استلم البرقية بفرح غامرٍ وأعطاها إلى الطائر الأبيض على النافذة الفضية حيث مزّقها بمنقاره على الفور وهو يبكي.

ابن العربي والتربية المقارنة

الزبير مهداد
الناظور - المغرب

خلف الرحّالون المسلمون كتبًا ورسائل سجلوا فيها تواريخ رحلاتهم ومشاهداتهم ولقاءاتهم بالشيوخ، وما دار بينهم من نقاش وحوار، وما سمعوه وقرؤوه ورووه من أحاديث وأخبار، وكذا الإجازات التي حصلوا عليها أو منحوها غيرهم.

كما تتضمن تلك الكتب وصفًا دقيقًا لمجالس العلم والمدارس وأنظمة التعليم، وظروف حياة الطلبة والمدرسين. فضلاً عما تزخر به من معلومات دقيقة وافرة عن المجتمعات المزُورة ومظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية، مثل ما نجده في كتاب رحلة ابن جبير، وفي تحفة النظار، الذي صنفه ابن بطوطة. إذ بفضل ما ورد في الكتابين من وصف لمجالس التدريس، تم تطوير نظام التعليم بجامع القرويين بمدينة فاس المغربية.

لهذا تعدّ هذه الكتب مهمة لتاريخ الحركة الثقافية والعلمية، ومن خلالها يمكن رصد تطور أنظمة التعليم والتربية في المجتمعات الإسلامية.

فضلاً عن ذلك، كانت هذه الرحلات فرصة لموازنة أنظمة التعليم والتربية بالمشرق الإسلامي مع نظيراتها بالمغرب، وهو ما فعله الفقيه الرحالة أبو بكر بن العربي المعافري(*). وقد اعتمد ابن خلدون على كتاباته عند الحديث عن أنظمة التعليم العربية، وعند إجرائه الموازنة بينها.

سنستعرض في هذا المقال، الموازنات اللطيفة التي أجراها ابن العربي المعافري بين نظامي التعليم في المشرق والمغرب الإسلاميين. ونعرض أفكار أحد أعلام الفقه الإسلامي في المغرب؛ هذا الجناح من الأمة الإسلامية الذي أنجب للإسلام رجالاً ونساء شاركوا بنصيب وافر في تطوير الفكر الإسلامي والتربية والتعليم.

الرحلة بين جناحي العالم الإسلامي

ينقسم العالم الإسلامي قسمين كبيرين هما:

- المشرق ويشمل بلاد العرب وفارس وما وراءهما والعراق والشام ومصر.
- المغرب ويشمل شمال إفريقية والأندلس(١).

وقد شهد العالم الإسلامي منذ الفتح تنقل كثير من الناس بين مشارقه ومغاربه بعضهم للحج وبعضهم للتجارة، كما كان البحث عن مصادر العلم وسماع الحديث وتحصيل الرواية، واتّصال السند سببًا في تنقل كثير من المسلمين.

وكان أبو بكر بن العربي واحدًا من أولئك الرحّالين الذين أتيحت لهم فرصة الهجرة إلى المشرق الإسلامي للحج والاستزادة من العلم، فاطّلع خلال هذه الرحلة على أنظمة التعليم المختلفة عن مثيلاتها في المغرب، بل وتلقى العلم هناك حسب المناهج الشرقية، فقد ذكر عند الحديث عن قراءته المدوّنة أنه قرأها «بالطريقتين المغربية في التنظير والتمثيل والعراقية على ما تقدم من معرفة الدليل»(٢).

كما وقف عن كثب خلال الرحلة

على نتاج المؤسسات التعليمية المتمثل في كفاءات العلماء والأئمة وقدراتهم، ومناهجهم في العقل والنقل. فتبين له أن الاختلاف قائم بين المشارقة والمغاربة في مناهجهم العقلية واتجاهاتهم الفكرية والعلمية، وهذه الأمور ليست متوارثة، بل مكتسبة في المدارس خاصة، ومؤسسات التعليم الأخرى. ولاشك أن لمناهج التعليم ومجالس المناظرة والبحث دورها في إبراز هذا الاختلاف وتنميته.

وخلال هذه الرحلة أيضاً لازم ابن العربي الإمام الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) وتلمذ له وتأثر بآرائه في التربية.

عاد أبو بكر بن العربي إلى بلاد المغرب بعلم غزير وآراء جديدة في التعليم؛ أثنى ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ) على هذه الآراء، وأعجب بها، ونقل كثيراً منها في مقدمته، وأورد الحسين بن علي بن طلحة الرجراجي الشوشاوي (ت: ٨٩٩هـ) صاحب «الفوائد الجميلة» نصوصاً من كتابه «آداب المعلمين»، كما نقل ابن عرضون (ت: ٩٩٢هـ) في كتابه «مقنع المحتاج» فصولاً من كتابه «مراقي الزلف» الذي يعد في حكم المفقود(٣). حقق كتاب رحلته ونشره الأستاذ سعيد أعراب.

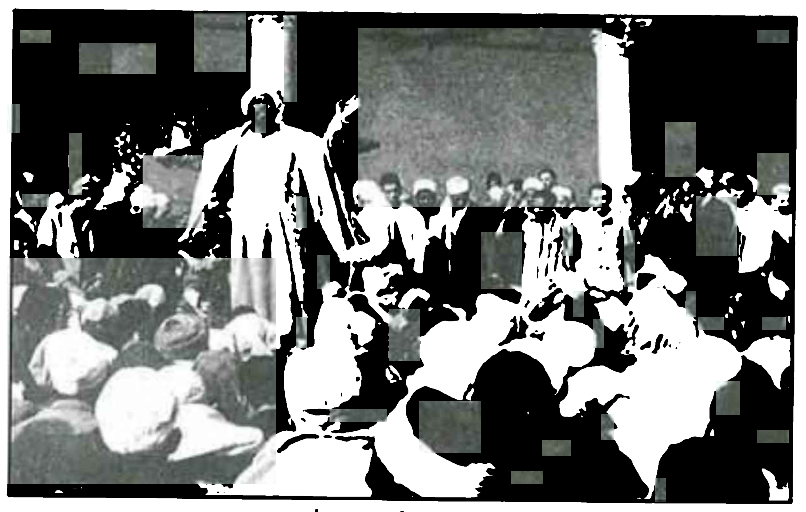
الحق في التعليم

يرى ابن العربي أن الطفل ينشأ دون موروثات ثقافية، فالوالدان ونظام التعليم هم المسؤولون عما يلقنه الصبي وعن المعارف التي يكتسبها. والصبي لا قدرة له على اختيار الوجهة التي يتجهها والسبيل الذي يسلكه: «واعلم أن الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش، ومائل لكل ما يمال به إليه»(٤)، وهذا الكلام نجده في «الإحياء» الذي ألفه شيخه ومعلمه الغزالي(٥). كرر هذا الرأي كثير من المربين الذين نظروا إلى الصبي على أنه صفحة بيضاء يمكن أن نسطر عليها ما نشاء، أو عجينة لينة نشكلها على النحو الذي نريد. إلا أن الغزالي لم يقف عند هذا الحد من القول، بل أضاف أن النقش محدود التأثير، والتربية عاجزة عن تغيير الطبائع جملة وتفصيلاً بطريقة كيماوية.

فللطفل فطرته الخاصة، وجبلته التي أنشأه الله عليها، لا يمكن إلغاؤها أو محوها أو تحجيم دورها وأهميتها(٦). وهذا الكلام يصدر عن فهم صحيح للحديث النبوي الشريف «كل مولود يولد على الفطرة» الحديث»(٧).

فهذه النظرة إلى الطفل دعت الفقيه ابن العربي كما دعت غيره من الفقهاء خاصة إلى عدّ التعليم حقاً من الحقوق الشرعية التي يتعين على المجتمع الإسلامي ضمانه للصبي لحمايته وتوفير شروط تكيفه الاجتماعي السليم، وأسباب نجاته في الآخرة باعتقاد أهل الإيمان. وهذا الحق يقول ابن العربي، هو في ذمة الأب، وإذا لم يوجد فالوصي أو الحاضن، وإذا لم يوجد أحد من هؤلاء فهو من مسؤولية الإمام: «والذي يجب على الوالد في الصبي المسلم كان أباً أو وصياً أو حاضناً، أو الإمام إذا عقل أن يلقنه الإيمان، ويعلمه الكتاب والحساب، ويحفظه أشعار العرب العاربة»(٨).

فالعلم - ويتضمن تلقين الإيمان والكتاب والحساب والشعور- هو أحد أهم وسائل تجويد العنصر البشري، وتكميل النفس الإنسانية، واستجلاب المصالح ودرء المفاسد.



درس ديني في جامع الأزهر

تردي مردودية التعليم

إذا كان الحق في التعليم أمراً متفقاً عليه في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، فإن نظام التعليم لم يكن واحداً متفقاً عليه. وبعد موازنة أنظمة التعليم بعضها ببعض، واكتشاف الاختلاف القائم بينها، وجه ابن

العربي انتقادات كثيرة لنظام التعليم في المغرب، معبراً في الوقت نفسه عن إعجابه وإشادته بالعادات والتقاليد التعليمية المشرقية التي لا عهد للمغاربة بها.

ولاشك في أن أهمية النظام التربوي وفعاليته تقاسان بمردوديته، وبقيمة منتوجه، والمنتوج الجيد للنظام التعليمي، حسب رأي ابن العربي، هو الإنسان العالم بالحدود الشرعية، المتمكن من اللغة العربية الفصيح الكلام، العالم بالأحكام.

والفصاحة، مع قدرتهم على التدليل على الماهية القاعدية للظاهرة اللغوية: «ومن عيوب هذه الطريقة أنه لا يحصل للمتعلم ملكة في اللسان العربي، ويكون حظه جموداً في العبارات وقلة التصرف في الكلام»(١٠).

إن الطفل لابد أن ينشأ على تعلم العربية ومقاطع الكلام العربي شعراً ونثراً، فلا ينبغي أن يبدأ بحفظ القرآن. فحفظ القرآن الكريم يجب أن يكون بعد تعلم العربية، بحفظ

معلّماً لكتاب الله حتى حذقت القرآن الكريم في العام التاسع»(١١). وبعد حفظ القرآن وحذقه، يشرع الصبي في تعلم العربية بحفظ المتون، ثم بعد ذلك تعلم الحديث والفقه فالحساب.

بينما في المشرق الإسلامي يبدؤون بتعليم الصبي العربية قراءة وكتابة، وبعض المبادئ في الحساب، ثم ينتقل بعد ذلك إلى حفظ القرآن، وبعد حذقه، يستمر في طريق الدرس وتلقي العلم وتحصيله، أو التوجه إلى العمل الإنتاجي واحتراف مهنة يتفرغ لها: «وللقوم سيرة بديعة، وهي أن الصبي الصغير منهم إذا عقل بعثوه إلى المكتب، وإذا عبر المكتب أخذه بتعلم الخط والحساب والعربية، وإذا حذقه كله أو حذق منه ما قدر له خرج إلى المقرئ فلقنه كتاب الله حتى إذا حفظ القرآن خرج إلى ما شاء الله من تعلم العلم أو تركه، ومنهم، وهم، الأكثر من يؤخر حفظ القرآن ويتعلم الفقه والحديث - ما شاء الله - فربما كان إماماً وهو لا يحفظه، ذلك لتعلموا أن المقصود حدوده لا حروفه»(١٢).

عدّ ابن العربي التعليم حقًا من الحقوق الشرعية، يتعين على المجتمع الإسلامي ضمانه للصبي لحمايته وتوفير شروط تكيفه الاجتماعي السليم

يرى ابن العربي أن التعليم في المغرب سبب في تخلف العلوم، وعائق أمام تحقيق هذه الأهداف: لعنايته بالحفظ وتحصيل الرواية: «وحدثت قاصمة أخرى في تعلم العلم، فصار الصبي إذا عقل، فإن سلكوا به أمثل طريقة لهم علموه كتاب الله، فإذا حذقه نقلوه إلى الأدب، فإذا نهض فيه حفّظوه الموطأ، فإذا لقنه نقلوه إلى المدوّنة»(٩).

وطريقة التعليم هذه، وإن عابها ابن العربي، تخدم بإخلاص المذهب السني المالكي السائد في البلاد، فالإمام مالك رضي الله عنه محدث حافظ.

وحتى في العربية كان للمغاربة عناية خاصة بحفظ قواعد اللغة، أكثر من عنايتهم بامتلاك السليقة اللغوية، والتحكم في ناصية البلاغة

نصوص الشعر العربي، وبهذا يتأتى للصبي امتلاك السليقة اللغوية. لأن معرفة اللغة ضرورية لفهم القرآن ومعرفته.

تعليم القرآن والدين

القرآن الكريم هو كلام الله عز وجل اعتنى المسلمون بحفظه ودراسته وكتابته، فالغرض من التعليم بإجماع المسلمين هو معرفة الدين الإسلامي ونشره، وهذا لا يتم إلا بمعرفة القرآن الكريم وقراءته وفهمه، فهو عماد الإسلام.

كما أن نظام التعليم في المغرب يبدأ مع المتعلم بحفظ القرآن. ويتذكر ابن العربي حفظه القرآن في صباه، ويحكي لنا ذلك بقوله: «وكان من حسن قضاء الله أني كنت في عنفوان الشباب وريّان الحداثة وعند ريعان النشأة، رتب لي أبي - رحمه الله -

هذا المنهاج التعليمي الذي وجده ابن العربي في المشرق، نال إعجابه ورأى فيه من المحاسن التي يفتقدها المنهاج التعليمي المغربي، مما جعله ينتقد المدرسة المغربية بشدة وعنف، يتجلى ذلك في قوله: «فيا غفلة أهل بلادنا - المغرب - في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله في أول أمره ويقرأ ما لا يفهم وينصب في أمر غير أهم»(١٣).

إذ لا يصح في رأيه أن يسبق تعلم القرآن تعلم اللغة العربية، فاللغة العربية وسيلة لفهم القرآن واستيعابه،

لهذا يجب أن يكون تعلمها سابقًا لتعلم القرآن الكريم.

إن ما وصفه ابن العربي بالسيرة البديعة في المشرق هو منهاج تعليمي، يعنى بالعقل لا بالذاكرة. وطريقة تربوية تعنى بدراسة الفقه وكتاب الله وفهمه، ومعرفة حدوده، وأوامره ونواهيه، لا عناية لها بحفظ حروفه والوقوف عندها.

المنهاج الأندلسي البديل

وازن ابن العربي بين أنظمة التعليم في المشرق والمغرب الإسلاميين، فتبين له اختلاف هذه الأنظمة، وأثر ذلك في مناهج العلوم، وطبيعة الحركة العلمية والثقافية. وغيرته على الدين الإسلامي والعلوم الإسلامية، وحرصه على ترشيد مسيرة الحركة العلمية جعلاه يقترح نظامًا تعليميًا وسطًا يجمع بين مزايا النظامين المشرقي والمغربي معًا، يقول ابن العربي: «والذي يجب على الوالد في الصبي المسلم إذا عقل أن يلقنه الإيمان، ويعلمه الكتابة والحساب، ويحفظه أشعار العرب، ويعرفه العوامل في الإعراب وشيئًا من التصريف، ثم يحفظه إذا اشتغل واشتد في العشر الثاني كتاب الله، وهو أمر وسط بيننا وبين أهل المشرق، ثم يحفظه أصول سنن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهي نحو من ألفي حديث في الأبواب، وهو عماد الدين، ويأخذ هو بعد ذلك نفسه بعلوم القرآن ومعنى كلماته، ولا يفرط في علم الفرائض، ولا يخلي نفسه من الأنساب، وشيء من الطب، ولا يفرد نفسه ببعض العلوم فيكون إنسانًا في الذي يعلم، بهيمة فيما لا يعلم. وإذا أخذ نفسه بهذا القانون الذي رسمناه فسيعتمد على ما هو أوكد، ويجعل الباقي تبعًا»(١٤).

يقول ابن خلدون معلقًا على منهج ابن العربي: «ولقد ذهب ابن العربي إلى طريقة غريبة في وجه التعليم، وأعاد في ذلك وأبدأ، وقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم، لأن الشعر ديوان العرب، ويدعو إلى تعليمه، وتقديم العربية في التعليم ضرورة فساد اللغة، ثم ينتقل منه إلى الحساب، فيتمرن فيه حتى يرى القوانين، ثم ينتقل إلى درس القرآن، فإنه يتيسر عليه بهذه المقدمة بعد القرآن يدرس ما شاء»(١٥).

إلا أن المغاربة سنيون مالكيون محافظون متمسكون بتقاليدهم التربوية، وهذا القانون الذي رسمه ابن العربي لم يحظ بالقبول لدى المغاربة؛ «لأن العوائد لا تساعد عليه، وهو أملك بالأحوال»(١٦). فالعوائد في المغرب جرت على تقديم حفظ القرآن الكريم ودراسته في مراحل الدراسة الأولى إيثارًا للتبرك والثواب، وخشية ما يعرض للولد من جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم فيفوته القرآن(١٧).

والقانون الحسن الذي رسمه ابن العربي هو مذهب الأندلسيين في التعليم دون غيرهم، واهتمامهم باللغة والشعر العربيين، وبذلهم الجهد في تعلمهما يفسره رغبتهم الأكيدة في المحافظة على هويتهم اللغوية الثقافية، في محيط كثير الاتصال والاحتكاك بالثقافات واللغات اللاتينية، التي تهددهم بالغزو والذوبان وضياع الهوية الأصلية، وكان تعلمهم العربية والشعر مسايرًا لتعلم القرآن الذي هو عماد الإسلام، وأساس هويتهم الدينية.

الهوامش والمراجع

(٥) أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي المعافري. قاضي قضاة إشبيلية، ولد سنة ٤٦٨هـ وتوفي سنة ٥٤٣هـ تلقى دروسه الأولى في مجالس والده وخاله، ثم قصد المشرق في رحلة حجه صحبة أبيه، مكث في المشرق وأخذ العلم عن علماء الحجاز والشام، وعاد إلى بلاده بعلم غزير. وصف بأنه: ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها. (الأعلام ٦/ ٢٣٠).

١. الأهواني، أحمد فؤاد/ التربية في الإسلام، دار المعرفة القاهرة ١٩٦٨م، ص ٦.

٢. أعراب، سعيد/ مع القاضي أبي بكر بن العربي، دار الغرب الإسلامي بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٠٨.

٣، ٤ . أعراب، مرجع سابق ص ١٦٩، ١٦١.

٥. الغزالي، أبو حامد/ إحياء علوم الدين، دار المعرفة (د ت)، جـ٣، ص ٦٢.

٦. الأبراشي، محمد عطية/ التربية الإسلامية وفلاسفتها، دار الفكر العربي (د ت)، ص٤٣.

٧. الجامع الصحيح: حديث رقم ١٥٥٩.

٨. أعراب: مرجع سابق، ص ١٥٨.

٩. الحسيمن، عبدالهادي/ مظاهر النهضة الحديثية في عهد يعقوب المنصور، وزارة الأوقاف الرباط، ١٩٨٢م ص١٣٦. والمدونة، وعرفت بالمدونة الكبرى هي للإمام مالك بن أنس رواها الإمام سحنون (ت: ٢٤٠هـ) عن الإمام عبدالرحمن بن القاسم العتقي (ت: ١٩١هـ)، عن إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ). وهي من أجل كتب المالكية.

١٠. ابن خلدون، عبدالرحمن/ مقدمة تاريخ ابن خلدون، شرح خليل شحادة . دار الفكر بيروت، ص ٧٤٢.

١١. ١٢. ١٣. ١٤. أعراب، مرجع سابق ص١٨٧، ١٦١، ١٥٩، ٥٨١.

١٥. ١٦. ١٧. ابن خلدون، مرجع سابق ص١٦١.

هنري لوسون:
دراسة تحليلية لنماذج من قصصه وأشعاره

يوسف عبدالعزيز علي
قنا - مصر

يقول المثل الأسترالي القديم «سيدني أو الغابة» SYDNEY OR THE BUSH، بمعنى كل شيء أو لا شيء(١). يقال هذا المثل حين التصدي لأحد الاختيارات الحتمية والملحة. فالغابة أمام هذه المدينة تعني الوحشة والفقد؛ تعني لا شيء. هذه الغابة التي تعني عكس المدينة، هي المكان الذي تدور فيه أحداث قصص الأدباء، وتهيم فيه خيالات الشعراء. فعلى الرغم من هذا المثل المعروف، نجد أن نفسية المجتمع الأسترالي لا تزال متأثرة كثيرًا جدًا بالغابة(٢) ففي أنحاء هذه الغابة كان الأستراليون الأصليون يعيشون على الزراعة والرعي وتربية الماشية والأغنام. وقد جذبت هذه الغابة الخلابة وجمالها الفطري وأشجارها وأطيارها وأنهارها وحيواناتها وسهولها الخضراء، جذبت أنظار الأدباء والشعراء، الذين خلدوا في قصصهم وقصائدهم حياة سكانها، وأبرزوا أحداثها ومعاناتهم فيها. ومن أهم الأدباء والشعراء الذين حفلت أعمالهم بذكر الغابة وما يدور فيها، الشاعر بانجو بيترسون (١٨٦٤ - ١٩٤١م) الذي قدمنا له من قبل ثلاثًا من قصائده، والشاعر والكاتب القصصي هنري لوسون الذي عاصره ودارت بينهما مساجلات حول الصورة الأنسب لتقديم الغابة في الأعمال الأدبية، والذي هو أيضًا موضوع هذه المقالة.

ولد هنري لوسون في ١٧ يونيو/حزيران ١٨٦٧م في بلدة «جرنفل» GRENFELL بالقرب من سيدني لأب نرويجي كان يعمل بحارًا يدعى نيلز هيرتزبرج لارسن، وأم تدعى لويزا. حصل هنري لوسون على قدر لا بأس به من التعليم، ثم أصيب بالصمم عندما بلغ التاسعة من عمره، والذي رافقه بقية حياته في عام ١٨٨٢م.

انفصلت والدة لوسون عن أبيه،


هنري لوسون

وعاشت هي وابنها في «جرنفل» ثم انخرطت في الحركة النسائية، وأصدرت مجلة شهرية تحمل اسم THE REPUBLICAN(٣) التي نشر لوسون فيها أول مقطوعة نثرية له في عام ١٨٨٧م، نشرت له جريدة THE BULLETIN أولى قصائده بعنوان A SONG FOR THE REPUBLIC.

ومن أول أعماله الكبيرة التي جلبت له الشهرة مسلسلة نشرها في مجلة THE WORKER بعنوان-ARVIE ASPI

NALL عـــام ١٨٩٢م، إلى جـــانب قصص الغابة مثل: A DAY و THE DROVER'S WIFE THE BUSH ON & SELECTION و UNDERTAKER. وفي ذلك العـــام كـانت له مسـاجـلاته المشهـورة مع الشاعر بانجو بيترسون على صفحات جـــريدة THE BULLETIN حـــول الأسلوب الأنسب لتقديم حياة الغابة.

حياة مضطربة

كـانت حـيـاة هنري لوسـون غيـر مسـتـقرة، فـقـد كـان ينتـقل من بلد إلى آخر بحـثًا عن عـمل، كـمـا كان ينتـقل من عـمل إلى آخــر، ومن حـرفـة إلى أخـرى من أجل كـسب الرزق. وعلى الرغم من الأثر السلبي لذلك في حياة لوسون، فإنه قد اكـتسب بذلك خبرات غنيّة، وتجـارب مثيرة، كـان لها أثرها الكبيـر في قـصـصـه وأشعـاره، فـقـد استمدت قصصه شـخوصها وأحداثها من هذه التجارب التي عاشها في أثناء تنقله في ربوع أستراليا ونيوزلندا بحثًا عن عــمل. فـمع عــمله بالكتــابة إلى بعض المجـلات والصـحف من حين إلى آخر، نجـده يتنقل من عــمل إلى آخـر، في بلد أو آخـر، فنجـده يـعـمل بالنجارة فترة ثم يتـركها بـعد ذلك إلى «النقاشة» ومنهـا إلى العمل بمصلحة البـــرق، عـــامـــلاً بـخطوط البـــرق (التلغـراف). وقد أدى عـدم استـقراره هذا فيمـا بعـد، إلى انفـصـال زوجتـه عنه، بعـد أن رُزقـا بـولد وبنت. وقـبل انفصـال زوجتـه عنه، سافر لوسون - مــصطحـبًـا إياها وابنـه وابنتـه عـام ١٩٠٠م - إلى إنجلترا بحثًا عن مزيد من الشـهـرة، كـمـا هي عـادة الأدباء الأستراليين في ذلك الحين، إلا أنه من المؤكد أنه أخـفق في هذه الرحلة كـمـا أخفق زمـيله الشاعـر بانجو بيتـرسون بعـده بعـام واحـد في رحلة مـشـابهـة. وبعد عودته استقـر لوسون في سيدني ليـصـدر بعد ذلك عـدداً من مـؤلفـاته. ومن الكـتب التي أصـدرهـا لوسـون وزادت شـهـرتـه WHILE THE BILLY BOILS و IN THE DAY WHEN THE WORLD WAS WIDE اللذان صـــدرا في عام ١٨٩٦م. كمـا صدرت له بعد ذلك مـجـمـوعـة قـصـصـيـة بعنوان: OVER THE SLIPRAILS, ON THE TRACK ومـجـمـوعـة شـعـرية بعنوان VERSES POPULAR AND HUMOROUS.

لقـد أدى انفصــال زوجــة هنري لوسون عنه إلى سـوء حالته النفسـيـة، وإدمـانـه الـشـراب والسُكر، حـتـى إنه سُجن أكـثـر من مـرة بسـبب السكر، وبسـبب عـدم قدرته عـلى سداد نفـقـة أولاده وأمهم، فهـو لم يكن يعيش على شيء ســـوى هبـات المحـسنين من أصـدقـائه ومـعـارفـه.. ثم توفي في ٢ سـبـتـمـبـر/ أيلـول١٩٢٢م في بلدة أبستفورد بالقرب من سيدني، قبل أن ينتهي من كتابة مـذكراته حول رحلته اليتيمة إلى لندن(٤).

إن مـا يميّـز اتجـاه هنري لوسـون الأدبي العـام هو انـخـراطه في وصف حـيـاة الأسـتـراليين، ولاسـيـمـا أولئك الذين يعيشون في الغـابة، ويعـملون بالمهن المختلفة من أجل كسب أقواتهم، فـهـو في قـصـصـه وأشـعـاره يفـصّل حـيـاتهم، ويبـرز مشكلاتهم، ويعـرض لأحلامهم في حيـاة أفضل، ومردّ ذلك إلى خبـراته الجمّـة التي اكـتسـبهـا من ترحـاله بحـثًـا عـن عـمل، فـمع تعـدد أسفاره وأعماله التي امتهنها صارت حياته معينًا خصبًا لأعماله القصصية والشـعـرية، يتـجـلى هذا بوضـوح في


بيت لوسون

مجموعة المختارات التي صدرت عام ١٩٩٢م في أستراليا ضمن سلسلة «كلاسيكيات أسترالية» تحت عنوان «هنري لوسون: أعمال مختارة»، ومنهـــا سنتناول بالدرس بعض قصصه، ونقدم ترجمة لإحدى قصصه، كما نقدم ترجمة لاثنتين من قصائده.

هروب من الواقع

من القصص التي اخترناها للتعليق عليهـا، قصة «المزيد من خطط ميتشيل للمستقبل» ANOTHER OF MITCHELL'S PLANS FOR THE FUTURE، وهي تحكي أن بطلها ميتشيل جلس يحكي لرفاقه عن تنقله بين كثير من الأعمال في المزارع ولدى مُلاّك الأراضي، حيث كان يعيش هناك كفرد من أفراد الأسرة التي أحبته فتياتها. ويقول ميتشيل: إنه لو عاد إلى العمل هناك فإن صاحب المزرعة سيسعد بعودته، وستفرح الفتاتان بذلك، وإنه سيعمل في حرث الأرض، ويضيف قائلاً: إنه عندما يبحث صاحب المزرعة عن جزار للغنم سيقدم نفسه مؤكدًا له أنه خبير بذلك، فيقوم بجزّ ١٥٠٠ رأس من الغنم، ثم ينوي الرحيل بعد أن يحصل على أجره من جزّ الغنم، إلا أن الرجل يتمسك به، ويعرض زيادة أجره اليومي عن عمله في المزرعة، إلا أن ميتشيل يصر على الرحيل، من أجل التغيير فقط، وعندما يوقن صاحب المزرعة من جدية إصراره يعرض عليه الزواج بإحدى ابنتيه اللتين تحبّانه سائلاً إياه كيف يتركها ولمن؟

ويتغابى ميتشيل مبينًا أنه لم يفهم مقصد الرجل، وهو في نفسه يكتم فرحة المفاجأة الحلوة، فيستمر الرجل في عرضه، ويعلن أنه سيعطيه عند زواجه منها مزرعة ومئتي رأس من الغنم. ثم يكمل ميتشيل حديثه لرفاقه قائلاً: إنه سيتزوجها، ويستقر هناك، ثم يصبح صاحب مزرعة غنيًا، ويقول لهم: إن حدث وبحث أحدكم عن عمل في منطقتي التي سأمتلك بها مزرعتي، فلا مانع، ولكنه



هنري لوسون في شبابه

يحذرهم من أن يأتوا وهو موجود خارج البيت.

في هذه القصة يصور هنري لوسون حلمًا من أحلام هذا العامل البسيط ميتشيل في مستقبل أفضل، عن طريق ما يدور في خلده من تخيلات جميلة تخفف عنه عناء يومه، وتزين له مستقبله، هذا العامل البسيط المخفق الذي جلس اليوم مع رفاقه مُلقيًا خرجه على الأرض، جلس معهم لأنه وهُمْ كذلك، لم يجدوا عملاً، فجلس يحكي لهم عن أحلامه في أيام قادمة تريحه من شقاء هذه الأيام، وعناء البحث عن لقمة العيش، في المزارع والغابات، وأقصى أمله أن يمتلك مزرعة، ولن يبخل - إن امتلكها - على أصدقائه بفرصة عمل فيها. إن هذا العامل الفقير المسكين يجد سلواه في الحلم والخيال اللذين لولاهما لضاق بحياته الرتيبة القاسية. وهكذا تقمّص هنري لوسون بفنية عالية، وإحساس مرهف، شخصية هذا العامل البائس، ليضرب مثلاً من واقع حياة كثير من مواطني عصره، مصوراً معاناتهم، وما تصبو إليه نفوسهم البسيطة.

الثعبان والزوج الغائب

وثانية القصص التي اخترناها للتمثيل لنتاج هنري لوسون القصصي، هي قصة: «زوجة راعي الماشية» THE DROVER'S WIFE، وهي تدور حول زوجة راعي الماشية الذي ترك مزرعته بسبب موجة الجفاف، وعاد إلى رعي الماشية من أجل كسب الرزق لأسرته التي ابتعد عنها. تدور أحداث القصة في بيت الراعي، الذي يقع وسط الغابة، حيث توجد زوجته وأبناؤه الأربعة، وكلب الحراسة القابع مقيدًا أمام البيت. خلال لعبه يشاهد أحد الأبناء ثعبانًا ضخمًا، وتأتي الأم على صياح ابنها، فتجد الثعبان قد دخل في كومة من الحطب، ويحاول الابن الأكبر أن يخرجه ليقتله، لكن الأم تحذره وتنهره، لئلا يعضه الثعبان. في تلك اللحظة يشير الابن الأصغر إلى المكان الذي هرب إليه الثعبان من

كومة الحطب، فينطلق الكلب، قاطعًا سلسلته المقيد بها، إثر الثعبان، لكنه لم يتمكن من اقتناصه حيث دخل الأخير في أحد الجدران. بعد ذلك توقف الأم أبناءها خارج البيت بجوار الكلب، وتنتظر هي أمام الجدار الذي اختفى فيه الثعبان، بعد أن أعدت أطباقًا صغيرة مملوءة باللبن بالقرب من المكان الذي اختفى فيه، مغرية إياه بالخروج. وتغرب الشمس، وتهب عاصفة رعدية، فتدخل الأم أبناءها إلى داخل البيت، وتقدم لهم العشاء ليناموا بعد ذلك، وتجلس هي بالقرب منهم تراقب الثعبان طوال الليل على ضوء شمعة، مسندة إلى جوارها عصًا، تتسلّى تارة بالقراءة في مجلة نسائية، وتارة أخرى بالحياكة. وبعد أن ينتصف الليل، وينام الأولاد، تسرح بها الخيالات، فمع أنها ليست خائفة من هذه الوحدة، إلا أن هناك أشياء تقلقها، فأحد أبناء أخي زوجها قد لدغه ثعبان ومات من قبل، وزوجها غائب عنها وعن أولادهما منذ ستة أشهر، يرعى الماشية في الغابات والمراعي البعيدة، بسبب الجفاف الذي أصاب مزرعته وأرضه، وهي تحلم بأن تسكن المدينة، وقد وعد زوجها بذلك. إنها اعتادت أن تكون وحيدة هكذا.. فقد عاشت في أحوال كهذه ثمانية عشر شهرًا قبل ذلك. وتقرر المرأة في نفسها أن زوجها مع أنه زوج مهمل، هو زوج جيد، فلو أنه يملك المال لأخذها إلى المدينة وجعلها تعيش كأميرة. وعلى الرغم من أنه ينسى أحيانًا أنه متزوج، فهو لا يبخل بالمال أبدًا عندما يكون لديه، ويذهب بها وبأولادهما للنزهة في المدينة أكثر من مرة.

ومن وصف حال هذه المرأة ينتقل المؤلف للحظة قصيرة إلى وصف ذلك الحارس المخلص، كلبهم، الذي لا يخشى شيئًا على وجه الأرض. بعد ذلك يعود إلى المرأة، التي تقتل مللها وقلقها، في انتظار خروج الثعبان وقتله، بذكرياتها الجميلة مع زوجها، وتتسلى عن النوم بتذكر المتع الغابرة مثل ذهابها هي وأولادها ذات مرة إلى سيدني. وتظل المرأة هكذا حتى الفجر وقرب بزوغ النهار، حتى ينتبه الكلب فجأة، وتمسك هي بالعصا؛ ذلك لأن الثعبان يظهر في ذلك الحين، خارجًا من أحد شقوق الجدار الكبيرة، لكنه عندما يحس بانتباه الكلب، ورفعها للعصا، يهمّ بدخول الشقّ مرة أخرى، فيقفز الكلب ليطبق عليه بفكّيه ساحبًا إياه للخارج، وتضرب المرأة الثعبان كثيرًا، في ذلك الوقت يستيقظ ابنها الأكبر الذي يحاول المشاركة في قتل الثعبان، إلا أنها تمنعه، وبعد الانتهاء من قتل الثعبان تلقيه في النار، وتربت رأس الكلب الشجاع بحنو، ويذهب ابنها إلى النوم، إلا أنه يظل يتأمل مشهد احتراق الثعبان في النار، حتى يرى الدموع تتصبّب من عيني أمه، فينطلق إليها ليعانقها، قائلاً لها: إنه لن يذهب أبدًا بعيدًا لرعي الماشية.

تصور هذه القصة الرائعة معاناة الزوجة التي تحملت عبء الأسرة، ومرارة فراق عائلها، الذي يعاني هو الآخر هناك في مجاهل أستراليا في رعي الماشية وتسمينها من أجل كسب الرزق عن طريق بيعها. إنها أسرة أسترالية أصلية، من سكان أستراليا الأصليين، تسكن الغابة، وتروّح عن نفسها بالنزهة في شوارع المدينة، التي يذهبون إليها عندما يتوافر المال.

كانت حياة هنري لوسون غير مستقرة، فقد كان ينتقل من بلد إلى آخر، ومن حرفة إلى أخرى من أجل كسب الرزق

في ختام القصة يصور المؤلف إدراك الطفل معاناة أمه التي كانت تبكي، ويعرف سبب هذه المعاناة، وموجب هذا البكاء، إنه غربة أبيه وسفره لرعي الماشية، لذلك يعلن هذا الابن أنه عندما يكبر لن يذهب بعيدًا أبدًا من أجل رعي الماشية حتى لا يجرح فؤادها بفراقه.

هذه القصة من قصص هنري لوسون المشهورة، فهي ذات أسلوب رائع عرضت من خلاله أحداثها الجذابة المثيرة، كما حملت قدرًا من الإنسانية والحزن الشفيف لا نملك أمامهما سوى أن نتعاطف مع هذه السيدة، ونكنّ لها الاحترام والتقدير.

والقصة الثالثة بعنوان «الاتحاد يدفن رجله المتوفى» THE UNION BURIES ITS DEAD. تحكي هذه القصة أن أحد العمال المقيدين بسجلات اتحاد العمال الأستراليين، قد مات غرقاً في أثناء محاولته عبور نهر «دارلنج» ببعض الخيول. والعامل هذا غريب عن المدينة التي التي يشاركه فيها أحد الناس بغرض التشرف بخدمة الدين. ثم يتم إنزال التابوت، الذي غُطي بقماش رخيص، إلى داخل المقبرة التي ضاقت عنه إلى أن انزلق داخلها، وبدأ الحفّار (حفّار القبور) يهيل عليه التراب بلطف عن طريق جاروف بيده، وتم الدفن، وأخذ أعضاء موكب الجنازة يتداولون

إن ما يميّز اتجاه هنري لوسون الأدبي العام هو انخراطه في وصف حياة الأستراليين، ولاسيما أولئك الذين يعيشون في الغابة

شُيع منها إلى مثواه الأخير، فلم يتعرف إليه أحد. وكان مذهبه الديني خلاف مذهب أهل المدينة، مع كل ذلك خرج المشيّعون خلف جنازته، بعد أن تجمعوا في حانة بأحد الشوارع في انتظار نعشه، ثم يسير موكب الجنازة الذي تخلّف أكثر من ثلثي أعضائه بسبب سُكْرِهم، فقد اقترح بعضهم تناول الشراب حتى مجيء النعش. ويمر النعش المحمول على العربة التي تمّت استعارتها، وتغلق الحانات أبوابها احتراماً لهذا الموقف؛ لأن أهل هذه المدينة يحترمون الموتى كثيراً جداً. في الموكب يتساءل الناس عن هذا العامل الذي مات غرقاً، وعن هويته، فيذكر أحدهم أنه قد عُثر معه على أوراق تدل على أنه عامل مقيّد باتحاد العمال، وأن الشرطة تبحث عن بقية بياناته، ثم يصل الموكب إلى المقبرة، ليبدأ القسيس بعد ذلك شعائر الدفن الأسماء التي توصلت إليها خيالاتهم لهذا المتوفى، الذي لم يعرف اسمه الحقيقي بعد، ودفن باسم آخر وهمي.. وسط رثائهم له، وإشفاقهم على حال أسرته وإخوته.

العامل المجهول

هذه القصة من أشهر قصص لوسون، فهي تصور مأساة إنسانية، بطلها عامل فقير بسيط، يعمل لدى أحد الملاّك، يموت غرقاً عندما يحاول عبور نهر «دارلنج» - الذي انخفض منسوب مائه في هذه الفترة - ببعض الخيول، بعد أن سأل الرواة (رواة هذه القصة) أكانت المياه عميقة في النهر أم لا؟ وكانوا ساعتها يعبرون بزورق. هذا العامل الذي هو عضو باتحاد العمال مات دون أن يعرف أحد هويته، ودون أن تعلم به أسرته، التي تنتظر عودته كل حين. فمع أنه مسجل باتحاد العمال إلا أن ذلك لم يفد في التعرف إليه، فمات دونما قريب يبكيه، ودونما اسم يدفن به، فاسمه الحقيقي غير معروف. تصور هذه القصة حال أحد الناس الذين يعيشون ويموتون مجهولين، لا يأبه بهم أحد، وبعيداً عن أسرهم، يعيشون من أجل الكد والتعب كي يجدوا قوت يومهم، معرَّضين للموت، وبمنتهى السهولة تضيع حقوقهم، ولا يتمكن حتى أهلوهم من معرفة أهم على قيد الحياة أم لا؟ تتضمن هذه القصة بعض الأحداث الهامشية المدعمة لفكرتها، والتي لا يخلو سردها من فن وتمكّن كبيرين، يتصف بهما أسلوب هنري لوسون. إنها قصة تحمل مأساة إنسانية، تجبرنا على التعاطف مع معاناة صاحبها التي قضت عليه بالموت بعيداً عن أهله، ودون أن يسمعوا عنه شيئاً، من أجل الكدح لكسب الرزق.

هذه القصص الثلاث، هي رصد حيّ لتجارب إنسانية استخلصها المؤلف من خبراته الحياتية التي كوّنها بتجواله وترحاله في أنحاء أستراليا، وعاش ما عاشه أبطال قصصه عموماً، لذا نصّب نفسه مدافعاً عنهم بكتابة واقعهم وعرض معاناتهم، وخلّد هؤلاء الناس بمهنهم المختلفة وأحوالهم المتباينة رجالاً كانوا أو نساءً، في قصصه، فكانت قصصه تموج بالحياة، وبتدفق الإحساس الصادق، وكاد هنري لوسون كأنه المتحدث الرسمي باسم هؤلاء الكادحين، لذلك استحق أن يكون من رموز الأدب الأسترالي اللامعين.



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٢٨٦)

ربيع الآخر ١٤٢١هـ - يوليو / أغسطس ٢٠٠٠م

الفائز الأول: **عبدالغني محمود عبدالهادي - الأردن.**

الفائز الثاني: **خالد حسن حسن لطف - اليمن.**

الفائز الثالث: **تيسير عبدالرحمن خضر - فلسطين.**

الفائز الرابع: **كوكب أنيس عوض الله - مصر.**

حل مسابقة العدد (٢٨٦)

القرصانية؛ الشَّبّاكة: سفينة صغيرة ثلاثية الصواري استخدمها القراصنة في البحر الأبيض المتوسط.

البونراكو: اسم لمسرح العرائس الياباني التقليدي.

الميتوب: الفسحة الفاصلة بين واجهتين في إفريز أو طُنُف مشيد.

قدموس: في الأساطير، أمير فينيقي نشر الأبجدية في الغرب.

ومن عجب تَشْيِب عاشقيها

وتُفنيهم وما برحت كعابا

قائل البيت: أحمد شوقي.

مسابقة الشهر (العدد ٢٨٩)

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) ريتشارد بيرد:
- ☐ طيّار ومستكشف أمريكي، وهو أول من طار فوق القطبين الشمالي والجنوبي.
- ☐ مستشرق بريطاني ترجم كتاب «ألف ليلة وليلة» إلى الإنجليزية.

(٢) نرسيسوس:
- ☐ شاب جميل، تزعم الأسطورة أنه افتتن بجمال صورته في الماء وتحول إلى نرجسة.
- ☐ كلمة إغريقية اشتقّ منها اسم علم التمريض.

(٣) من قائل هذا البيت: ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعدّ معايبه؟
- ☐ بشار بن برد
- ☐ أبو تمام.

(٤) الميريامتر:
- ☐ خمسة آلاف متر
- ☐ عشرة آلاف متر.

(٥) ينشوبنك:
- ☐ مدينة تقع إلى الجنوب من ستكهولم عاصمة السويد، فيها متحف شهير لأعواد الثقاب
- ☐ آلة وترية صينية.

الاسم: ص.ب:

العنوان: الرمز البريدي:

المدينة: هاتف:

الدولة: ناسوخ:

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يوماً من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وقرعة أخيرة للفائز الأخير.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

الجوائز

الجائزة الأولى:
١٥٠٠ (ألف وخمسمئة ريال سعودي).

الجائزة الثانية:
٧٠٠ (سبعمئة ريال سعودي).

الجائزة الثالثة:
٥٠٠ (خمسمئة ريال سعودي).

الجائزة الأخيرة:
(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

عنوان المجلة:

ص.ب (٣) - الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

حرب النهر

إقدام عرب السودان والنظرة الاستعلائية

مراجعة: **عمر عبدالرحمن أبو راس**
الرياض - السعودية

صدرت مؤخراً في الخرطوم الترجمة العربية لكتاب «حرب النهر THE RIVER - WAR السودان ١٨٩٨م) لمؤلفه السير ونستون تشرشل (١٨٧٤ - ١٩٦٥م).

وقد كتب تشرشل هذا الكتاب في الخامسة والعشرين من عمره بعد أن انضم إلى الحملة المصرية الإنجليزية لفتح السودان تحت قيادة اللورد كتشنر. والنهر المقصود في عنوان هذا الكتاب هو نهر النيل. وقد أفلح مترجم الكتاب عبدالله محمد سليمان ومراجعه د. أحمد محمد سعد في تقديم ترجمة رصينة ذات تعابير جزلة.

والمعروف أن تشرشل كان آنذاك ضابطاً صغيراً في الجيش الإنجليزي عند بداية تلك الحملة (٢٥ عاماً)، وقد فاز بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٣م عن كتاباته التاريخية، ولاسيما تلك التي وصف بها الحرب العالمية الثانية.

مراسلة الصحف

ويشير المترجم في مقدمة الكتاب إلى أن السير ونستون تشرشل الذي امتدت حياته أكثر من تسعين سنة، تقلد خلالها أعلى المناصب الرئاسية في بلاده، قد كتب عشرات الكتب التاريخية، كما يوضح المترجم أيضاً أن اللورد كتشنر كان قد اعترض على انضمام تشرشل إلى الحملة لفتح السودان، إضافة إلى أن مراسلة الصحف كانت ممنوعة منعاً باتاً على الضباط الذين هم بالخدمة، ولكن بمجهود من والدته ووالده ذي النفوذ الكبير في الحكومة البريطانية، ومساعدة ولي العهد البريطاني أمير ولز في ذلك الوقت تمكن تشرشل من تحقيق رغبته، بل راسل إحدى كبريات الصحف البريطانية آنذاك (المورننق بوست) ولكن سراً ودون علم كتشنر.

إقدام عرب السودان

أما الأستاذ عبدالله الطيب أحد أبرز علماء السودان ومفكريه، والحائز على جائزة الملك فيصل العالمية، فقد أكد في تقديمه للكتاب أن المستر تشرشل - وهو سليل بيت من بيوت بريطانيا الرفيعة - قد عرف بشدة شكيمته وقوة خطابته، وتملكه لناصية البلاغة في لغته.



حرب النهر
السودان ١٨٩٨
تأليف:
ونستون تشرشل
ترجمة:
عبدالله محمد سليمان
الخرطوم، دار جامعة القرآن الكريم للطباعة،
رجب ١٤١٩هـ
أكتوبر/تشرين الأول ١٩٩٩م.

ويرى د. الطيب أن هذا الكتاب بالذات جمع فيه تشرشل بين المقدرة الصحفية الفائقة في جمع الأخبار وتمحيصها، وجودة التحليل الحربي للمعارك، مع حيوية في الوصف كأنك ترى وقائعه، ثم مع ذلك له حرص على الإنصاف، مع نوع من

الإعجاب الشديد بشجاعة عرب السودان ودراويشه الذين ربما أشار إليهم في تعال باسم المتوحشين -SAV AGES مع قلة ما أصابوا من تدريب عسكري، وما كان لديهم من سلاح إلا السيوف والحراب وبنادق من طراز بال ضعيف الفناء - كما يقول د.عبدالله الطيب - إزاء السلاح الناري الحديث من المدافع المبيدة ذات المرمى البعيد.

ويوضح د. الطيب أيضاً أن الكتاب يحتوي على نقل حي ماتع للوصف الرائع الذي وصف به المستر تشرشل إقدام عرب السودان ودراويشه على خط نار الرصاص الفتاك والفريق المحارب المنتخب من أجود فرق القتال البريطانية، والمزود بأجود أنواع أداتها في معارك أبي طليح عند بئرها بقرب أرض الجعليين إلى شاطئ النهر قرب المتمة، وفيه أيضاً وصف لثباتهم في لقاء كتشنر وجنده بالنخيلة على نهر أتبرا، ثم إنهم لم يولوا الأدبار هاربين عندما تغلب عليهم العدو بسطوة نيرانه. ولكن انكسروا رويداً رويداً في عزة نفس وإصرار على الدفاع، وكلما سقط منهم جريح أو صريع عكفوا عليه واحتملوه في شجاعة وصبر ووفاء ويقين.

ووصف تشرشل في كرري كمين عثمان دقنة - أحد قواد المهدية - وفي أبي طليح وصف إقدام الجعليين وبني دغيم وكنانة ومن معهم على المربع البريطاني المشهور له بالجبروت حتى كسروه، وذلك ما لم يفعله قبلهم إلا نابليون.

جزالة اللغة

ومثل معظم الكتابات الإنجليزية ذات الصبغة التاريخية، فإن جزالة اللغة تبدو واضحة وماتعة، ففي الفصل الأول من هذا الكتاب «الثورة المهدية»: «في الصحراء يتدفق النهر مثل خيط من الحرير الأزرق مرسوم على بساط أسمر، وهذا الخيط يكون أسمر اللون خلال نصف العام.. حيث يجري الماء على الرمل ويرسب في الشواطئ فينبت لفيف من النباتات التي تبدو جميلة ومترفة موازنة بما هو خلفها. والنيل خلال رحلته الطويلة على


ونستون تشرشل


عبدالله الطيب

مدى ثلاثة آلاف من الأميال حيوي بالنسبة إلى كل حي يعيش على شاطئيه، إلا أن حيويته بالنسبة إلى هذه المنطقة لا تعادلها حيوية أخرى. إن المسافر هنا يتشبث في ساعة الحاجة بالنهر القوي مثلما يتشبث بالصديق القديم. العالم كله يتوهج بالحرارة ولكن هنا الظل. الصحراء ساخنة، ولكن النهر بارد. الأرض ظمأى ولكن هنا الماء الوافر. والصورة المرسومة باللون الحارق يطفئ حرارتها هنا بريق من الخضرة المريحة» (ص ٥ - ٦)

أوبرا النيل

إن النيل في قصة «حرب النهر» يحتل مركز الصدارة كما يقول تشرشل. إنه اللحن العظيم الذي يتكرر على مدى «الأوبرا» بكاملها. وإن على القائد الذي ينوي القيام بعمليات حربية، ورجل الدولة الذي يدبر الخطط السياسية المهمة، والقارئ الذي يرغب في دراسة مجرى مثل هذه الخطط ونتائجها، على كلٍّ من هؤلاء أن يفكر في النيل (ص:٧). إنه حياة الأراضي التي يمر خلالها.

وبعيداً جداً في مصر يرقب الأمير والكاهن والفلاح مجرى الأمور في الجنوب باهتمام بالغ بالمستوى المتقلب لارتفاع الماء على الرغم من حتميته في النهاية (ص:٨).

وتتجلى العنصرية والاستعلائية البريطانية المعروفة في عدة مقاطع من الكتاب فها هو ذا تشرشل يصف السكان الأصليين (ص١١) بأنهم (سود كالفحم، بدائيون، مذج، أقوياء، حيويون يعيشون كما نحن نتخيل كيف عاش الإنسان الأول... بلا أية أفكار عدا إشباع رغباتهم البدنية، ولا مخاوف سوى التي قد تسببها الأشباح والسحرة وعبادة الأسلاف وغيرها من الخرافات بين الشعوب الأقل نمواً). ومثل بعض كتاب الحضارة الغربية، فإن تشرشل يدافع عن أسباب الاستعمار بحجة نشر الحضارة وتخليص أقوام كثيرة من البربرية، كما يقدم صورة مغلوطة لعلاقات العرب والزنوج في السودان ولطرق انتشار الإسلام الذي يعترف بأن له «سحراً غريباً على الأجناس

الزنجية في السودان، على الرغم من الجهل والعوائق الطبيعية التي تعرقل تقدم الأفكار الجديدة. إلا أن الجنس الأسود بكامله ماض بالتدريج في اعتناق الدين الجديد والاتسام بالسمات العربية».

الدور اللوجستي

ويفرد تشرشل فصلاً كاملاً من الكتاب لتبيان دور «الخط الحديدي الصحراوي» قائلاً: إن الحرب ضد الدراويش كانت حرب نقل في المكان الأول، وإن الخليفة عبدالله قد هزم على السكة الحديدية مع أن النيل كان سبيل المواصلات الرئيسة طوال حملة دنقلا عام ١٨٩٦م بين قوة الحملة وقاعدتها في مصر؛ إذ كانت جميع الإمدادات تنقل إلى الجبهة بطريق النهر مادام ذلك ممكناً؛ وكان النيل يستخدم حيثما كان صالحاً للملاحة، ولكن النيل لا يتيسر للاستخدام دائماً، فالشلالات المتكررة تعوق مجراه عدداً من الأميال، وبعض أجزائه الطويلة الأخرى ليست صالحة للملاحة إلا في موسم الفيضان (ص١٩٥). ومن ثم كان من الضروري إنشاء الخط الحديدي.

ويقدم لنا المؤلف تفصيلاً كاملاً لذلك الإنشاء والعوائق الهندسية التي تم تخطيها مشيراً إلى السردار كتشنر حينما عاد من إنجلترا ومعه تعليمات أو تفويض لمواصلة التقدم نحو الخرطوم، أثيرت المسألة المهمة المتعلقة بالطريق الذي سوف يتبع؛ وقد يبدو للوهلة الأولى أن الطريق الواضح هو مواصلة العمل على النيل، وربط أجزائه الصالحة للملاحة بأجزاء من الخط الحديدي. غير أنه كانت هناك عدة شلالات على النهر من مروي إلى (أبو حمد)، كما أن وعورة الأرض على كلا الشاطئين جعلت إنشاء خط حديدي يكاد يكون مستحيلاً.

إن طريق النيل - على الرغم من أنه مضمون - إلا أنه بطيء جداً ومكلف فلا بد من إيجاد طريق أقصر، لذا فقد برزت المقترحات الثلاثة الآتية:

- الخط الذي اتبعته فرقة الصحراء عام ١٨٨٤م من كورتي إلى المتمة.
- الطريق الشهير من سواكن إلى بربر.
- عبر الصحراء النوبية من كورسكو أو وادي حلفا إلى (أبو حمد)،

ويؤكد المؤلف أن كتشنر لم يتخذ قراراً قط أكثر أهمية من خط التقدم. إن قوة الخليفة العسكرية جعلت من الواضح أنه لابد من قوة كبيرة لتدمير جيشه والاستيلاء على عاصمته، واختير الطريق الذي يمر بـ (أبو حمد) باستبعاد البديلين لمزاياه المتعددة.

شخصيات من الكتاب

وعبر أبواب الكتاب الممتدة - منذ قيام الثورة المهدية إلى نهايتها على يد كتشنر في عهد الخليفة عبدالله التعايشي - يقدم لنا كتشنر وصفاً لعدد من القواد والزعماء من الجانبين، ويلون تلك الشخصيات بنظرته (الاستعلائية)، فهو يصف المهدي بأنه (كاذب)، ولو كان منصفاً - كما قال د. الطيب - لنبه على أن غردون لم يكن قديساً.

وفي الفصل السادس عشر عن «سقوط المدينة» بعد معركة كرري وتدمير البارجات البريطانية لقبة المهدي في أمدرمان الذي نبشه كتشنر فيما بعد.. يصف تشرشل خليفة المهدي عبدالله التعايشي قائلاً: «الطاغية الظالم، سوط عذاب السودان، المنافق، الخليفة البغيض الذي يجسد كل الشرور»، كما يصف القائد الحربي الفذ عثمان دقنة الذي أفلح ذات مرة في كسر المربع الإنجليزي الشهير بـ «الأعرابي الماكر»، وبأنه تاجر رقيق سابق.. ويشير إلى كتشنر «الضابط المغمور الذي يؤدي واجباته بانتظام دون إبداء مواهبه التي ظهرت فيما بعد»، وإلى أنه تعلم العربية في فلسطين مدة ست سنوات، وإلى القائد محمود أحمد بأنه «كان جريئاً وطموحاً بقدر ما كان مغروراً وغير كفء».

تتجلى العنصرية والاستعلائية البريطانية المعروفة في عدة مقاطع من الكتاب، ولا سيما في وصف تشرشل للسكان الأصليين

بقي أن نشير إلى أن الكتاب المترجم بصورة متميزة يقع في تسعة عشر فصلاً تشغل نحو أربعمئة وثماني عشرة صفحة من القطع المتوسط، كما يضم الكتاب ملحقاً لنص اتفاقية السودان بين بريطانيا ومصر بتاريخ ١٩ يناير/كانون الثاني ١٨٩٩م وبتوقيع بطرس غالي (الجد) وكرومر، وكذلك بيان فيما يتعلق بدائرتي النفوذ البريطانية والفرنسية في إفريقية الوسطى؛ وبالكتاب أيضاً تسع مصورات (خرائط) توضيحية.

وظيفة الألسن وديناميتها

مراجعة: **محمد خير البقاعي**
الرياض - السعودية

أثارت آراء أندريه مارتينيه André Martinet ومواقفه التي أعلنها في مذكراته التي نشرها في أواخر عام ١٩٩٤م، وعنوانها: مذكرات لساني Mémoire d'un linguiste، عاصفة من ردود الفعل في فرنسا بلغت حد اتهامه بمعاداة السامية.
ولد مارتينيه في عام ١٩٠٨م وهو لغوي بارز، ومفكر مرموق، أسهم في رسم معالم حضارة القرن العشرين، وإغناء مسيرتها المعرفية، وهو يتقن الفرنسية، والإنجليزية، والألمانية، والإسبانية، والدانمركية.

ولا يمكن لأي مهتم باللسانيات، أن يهمل كتابه الأساسي «مبادئ اللسانيات العامة» الذي ترجم إلى ثماني عشرة لغة من بينها اللغة العربية؛ ترجمة أحمد الحمو، دمشق ١٩٨٥م، وترجمة ريمون رزق الله، بيروت ١٩٩٠م. ويذكر مترجم آخر هو الدكتور سراج أن مارتينيه لم يشر إلى هاتين الترجمتين في مذكراته.

أسس مارتينيه الجمعية الدولية للسانيات الوظيفية عام ١٩٧٦م، وسمي رئيس شرف لها؛ وهي تضم زملاءه وطلابه ومريديه الوظيفيين المنتشرين في أنحاء المعمورة. وأسس عام ١٩٦٥م مجلة «اللسانيات» La Linguistique التي أصبحت منذ عام ١٩٧٧م لسان حال الجمعية، وتولى مارتينيه رئاسة تحريرها فترة طويلة. ولئن كان كتاب «المبادئ» الذي أشرنا إليه ذا أهمية كبرى لمن يلج عالم اللسانيات الرحيب، لقد كان كتاب «وظيفة الألسن وديناميتها» المدخل المناسب كي يمضي الدارس في الطريق الصحيحة.

حديثي عن الترجمة التي قدمها الدكتور نادر سراج للكتاب الأخير سيكون قسمين: أعرض في أولهما الكتاب وما جاء فيه من أفكار عن اللسانيات الوظيفية معتمداً في ذلك على المقدمة الجيدة التي صدّر بها الدكتور سراج ترجمته، وما أرى أنه كان ينبغي القيام به. ولابدّ لي قبل ذلك كله من الحديث عن مترجم الكتاب الدكتور نادر سراج، تلميذ مارتينيه ومتابع دروسه المختصة في المعهد التطبيقي للدراسات العالية في السوربون، وهو صديقه الملازم منذ عام ١٩٨٠م، وعضو الجمعية الدولية للسانيات الوظيفية منذ عام ١٩٨١م، وتجلّى التزام سراج بأستاذه في إخلاص الأول لمدرسة اللسانيات الوظيفية، واستناده إليها في مجمل أبحاثه ودراساته التطبيقية.

لقد أجرى سراج مع مارتينيه أربعة حوارات، وحواراً خامساً مع زميلة



وظيفة الألسن وديناميتها
أندريه مارتينيه
ترجمة: نادر سراج
بيروت: دار المنتخب العربي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م

مارتينيه وخليفته المنتظرة هنريت فالتير Henriette Walter، ونشرت هذه الحوارات بالعربية في مجلات مختصة. وترجم سراج ثلاث مقالات لـ «مارتينيه» وحيّاه في عيد ميلاده الثمانين بمقالة عنوانها «أندريه مارتينيه: الألسنية

الحديثة في حياة رجل» ونشرت في «مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، العددان ٥٤ و٥٥، ١٩٨٨م».

وقد أعرب مارتينيه عن رغبته في أن يقوم الدكتور سراج بترجمة الكتاب الذي نتحدث عنه، وكتب للترجمة العربية مقدمة خاصة يجدها مراجع الكتاب بنصّها العربي والفرنسي. كل ذلك، جعل الدكتور سراج أكثر المؤهلين للقيام بهذه الترجمة التي جاءت وليدة خبرة بالنظرية وبالمصطلح وخلفياته المرجعية.

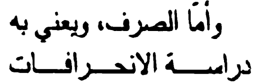
آراء مارتينيه

صدرت ترجمة هذا الكتاب عن دار المنتخب العربي ببيروت في ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، وقد جاء الكتاب في ستة فصول قدّم لها المؤلف بمقدمة ذكر فيها أن الكتاب مجموعة نصوص نشرت إمّا بالإنجليزية، وإمّا بالإسبانية، وهي تشكل تقديماً شبه متكامل لنظرية وتطبيق لغويين تطورا خلال الستين سنة الأخيرة. وتحدث المؤلف في المقدمة عن المبادئ العامة التي تضم المقاربة الوظيفية والدينامية للّغة الإنسانية.

ويختلف عدد الأقسام في كل فصل، ولكن مجموع هذه الأقسام بلغ واحداً وعشرين قسماً. عرض مارتينيه في الفصل الأول للسانيات الوظيفية التي لا تهتم بالأحكام المعيارية التي اعتاد معلمو اللغة إطلاقها «قل كذا، ولا تقل كذا». إن الوظيفية لا تنتقد أحداً، ولكنها تعالج ما نسمعه فعلياً، إذا أحسنّا الإصغاء، سواء أكان هذا الشيء «صحيحاً» أم لا. وتطرّق في الفصل الثاني إلى طرائق تعلّم اللغة والقراءة، واختص الفصل الثالث بأنواع اللغات، ويدرس الفصلان الرابع والخامس الوحدات التمييزية أو «الفونيمات». والوحدات البليغة أو «المونيمات». أما الفصل الأخير فقد أفرده المؤلف للمعنى والتضمين. ثم ذيّل المترجم الكتاب بمسردين للمصطلحات أحدهما: عربي - فرنسي، والآخر: فرنسي - عربي.

إن مارتينيه يعرض في كتابه، وبواقعية متناهية، جملة وقائع اللغة الإنسانية، ويُبسّط مبادئ الألسنية ومناهجها، بعيداً عن الشكليات والمواقف المسبقة، وقد شدد فيه على وظيفة الوحدات اللغوية بمقدار ما شدد كذلك على البنى التي تؤلفها.

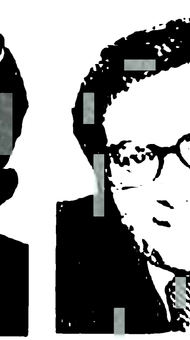
وقد تحدث «مارتينيه» عن النحو فعرّفه بأنه كيفية العبور من خطية النص إلى شمولية المعنى، ويقول: إن النحو ليس تتابع العناصر في السلسلة الكلامية. إنه، بالأحرى، دراسة السبل التي نقع عليها في كل لسان، والآلية لربط عنصر بآخر بغية توضيح الطبيعة الصحيحة لعلاقتهما.



وأمّا الصرف، ويعني به دراسة الانحرافات الشكلية، فقد رأى أنه يعالج نقاطاً يفرض فيها التقليد اللغوي للجماعة على المتكلمين الشبان، استخدام أشكال مختلفة للقيمة المعنوية ذاتها. ويتحدث مارتينيه عن الصواتة ويعرّفها بأنها: استخلاص العادات النطقية المختصة باستخدام لغوي معين؛ وهذه العادات هي التي تؤمن الاتصال بين الناطقين بلسان ما. وهذه الصواتة تختلف عن علم الأصوات الذي يهتم بأصوات اللغة عموماً.

ويقابل هذه الثنائية «صواتة - علم أصوات» ثنائية أخرى هي «القيمية - الدلالة»: فالقيمية هي دراسة القيم المدلولة التي تتقابل، كدراسة التضادات في لسان معين، بينما يبحث علم الدلالة في المعنى عموماً. إنه مجمل تجربتنا عن العالم.

وقد ناقش مارتينيه ثنائية سوسور «لسان / كلام» وقال: إنه لا وجود لتقابل بينهما، ولكن هناك الكلام، ومن ثَمّ العناصر التي تملك في الكلام ملاءمة للّسان موضوع الخلاف. وتلك العناصر تمتلك ملاءمة لا تخص اللغة الإنسانية وإنما تخص لساناً معيناً. ولا يفوته أن يُذكّر بأن الملاءمة التواصلية التي تحدد اشتغالية اللسان وتطوره؛ وهي المبدأ الذي تقوم عليه النظرية الوظيفية بأسرها.



ميشال زكريا



تشومسكي

وقد حاول مارتينيه أن يختبر تلك المبادئ في المجال التطبيقي لتعليم الألسن لأننا لا نستطيع أن نعلّم إنساناً ما أي لسان دون أن نأخذ في الحسبان سوابقه اللغوية، والمعيار أساسي في هذا المضمار؛ لأننا نمتلك من المعايير بقدر ما نمتلك من البيئات. وتتمثل إحدى صعوبات تعليم الألسن في رأيه بوجود معايير مختلفة، وليس بمقدورنا أن نترك الجمهور يجهل بعضها.

أمّا المعنى، فهو يتصوره دينامياً؛ إنه الطريقة التي تنتظم لكل منا فيها تجربة العالم، والفكر هو تنظيم التجربة، ولكن

تجربتنا عن العالم تتحدد، في الحقيقة، عبر صلاتنا بالجزء الذي عشنا فيه من العالم.

ويختم مارتينيه بالحديث عن الانبناء المزدوج الذي يُعدّ لبنة أساسية في نظريته اللسانية. فالانبناء عنده هو السمة الأساسية للغة الإنسانية، وسمة هذه اللغة أنها مُنْبنية، وهذا ما يميزها في الجوهر عن وسائل الاتصال التي تستخدمها الحيوانات؛ وذلك الانبناء مزدوج: وحدات بليغة هي «المونيمات» ووحدات تمييزية هي «الفونيمات»، ويكمن سر سيطرة الإنسان على العالم في الانبناء الأول.

تلك هي الأفكار الرئيسة التي عالجها مارتينيه في كتابه ونقلها إلينا الدكتور نادر سراج عندما ترجم الكتاب، وقد استعنت بمقدمته لعرض أفكار الكتاب وأهم القضايا التي عالجها.

الوظيفية لا تنتقد أحداً، ولكنها تعالج ما نسمعه فعلياً، إذا أحسنّا الإصغاء، سواء أكان هذا الشيء صحيحاً أم لا

نقد الترجمة

إنّ الترجمة عملية حاسمة ومؤثرة كلّ التأثير في قضية العبور الحضاري، والدول التي أحرزت تقدماً أدركت هذا المفهوم، وعملت على الإفادة منه؛ فاليابان دفعها ذلك إلى إنشاء مؤسسة خاصة بالترجمة من لغات العالم الحية إلى اللغة اليابانية، مما مكّن اليابانيين من نقل فروع العلم والمعرفة إلى لغتهم التي يتقنها المواطن العادي، وقد لا يجيد سواها، فكانت الترجمة لديهم بمنزلة النافذة المتاحة التي يطل المواطن من خلالها على إنجازات العصر. ففي عام ١٩٧٥م وحده قامت اليابان بترجمة (١٧٠٠٠٠) كتاب، بينما بلغ مجموع الكتب الأجنبية المترجمة إلى العربية في جميع المجالات (٤٠٢٨) كتاباً خلال عشرين عاماً (١٩٤٨ - ١٩٦٨ م). (الترجمة، قضايا ومشكلات وحلول - ٢ - تطور الترجمة ص ٢٩ - ٣٠). أردت من اقتباس هذا المدخل أن تظهر - مرة أخرى - أهمية الترجمة في بناء البحث العلمي المعاصر.

وتأتي في هذا الإطار ترجمة الكتب اللسانية التي تعتورها بعض السلبيات التي أشار إليها الدكتور حمزة المزيني في كتابه (مراجعات لسانية، المقدمة ص ٩-١٠) ولكنه استدرك بعد ذلك ليقول (ص١٠): «على أنّ ممّا يُعزّي النفس أن هناك جيلاً جديداً بدأ يأخذ هذا العلم جدياً، فأصبح لدينا بعض الكتب والمقالات الجادة التي تعالج هذا العلم متقيدة بمنهجية صارمة ومستفيدة من آخر ما توصلت إليه النظرية اللسانية».

وتندرج ترجمة الدكتور نادر سراج كتاب «أندريه مارتينيه» في سياق الأعمال الجادة، والترجمة العلمية التي توفرت للمترجم فيها كل الشروط التي جعلت منها ترجمة علمية تسهم في تقديم اللسانيات الوظيفية للقارئ العربي.

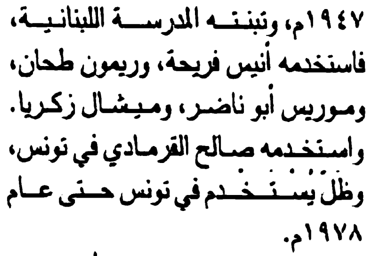
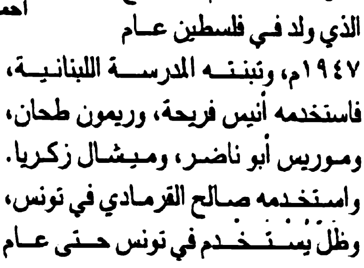
ونجد الدكتور سراج يدلي بدلوه في قضية ترجمة النصوص اللسانية فيقول: في المقدمة ص ١٥: «...إن ترجمة النصوص الألسنية ليست عملاً آلياً أو تلقائياً سهل المراس، ومن ثم فهي لا تُسلس قيادها لعابر علم أو لمتطفل، فكيف بالحري إذا كان صاحبها "أندريه مارتينيه" المعروف بسبك تعابيره وغزارتها، وبابتكار مفردات خاصة به وبمدرسته وبتمحيصها، فضلاً عن استطالة جُمله وتماسك فقراته وترابطها إلى حدّ التشابك. ولا أُغفل في هذا المقام فيض استشهاداته، بغير لسان ومستوى، وتنوعها، فضلاً عن طرافة الآراء، وجدّة الأمثلة التي يدرجها هنا وهناك، ساعياً قدر الإمكان إلى الترويح عن القارئ والتخفيف من عقلانية اللغة وجمود قوالبها، ولا منطقية قوانينها الوضعية أحياناً كثيرة».

إن هذا الوصف يدلّ على فهم المترجم طبيعة النص المترجم والصعوبات التي تعترض من يودّ الإقدام على ترجمة مثل هذه النصوص، ويحيل المترجم في الحديث عن هذه الصعوبات إلى مقالة الدكتور أحمد مختار عمر "المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية" المنشورة في مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد الثالث ١٩٨٩م، ص٥ - ٢٤. والتي تلخص أهم الإشكاليات المصطلحية التي تعرض للألسنيين وللباحثين العرب في هذا الفرع الدراسي الحديث. ويبدو لمن يقرأ مقدمة الدكتور سراج أن مشكلة الدراسات اللسانية مترجمة أم مؤلفة هي مشكلة مصطلحات، وفي هذا المجال أقول: إنني أتفق مع الدكتور سراج، والدكتور أحمد مختار عمر عندما يؤكد الثاني ويتبنّى الأول «أنّ ضبط الألسنية يتم عن طريق ضبط مصطلحاتها» وأتفق معهما على ضرورة الخطوات الست التي

ذكرها الدكتور عمر في مقالته المذكورة إلاّ أنني لا أودّ أن يصرفنا الاهتمام بالمصطلحات، على أهميتها، عن معالجة جوانب أخرى في ترجمة النصوص اللسانية، وأهم هذه الجوانب هو مكان النص اللساني المترجم في السياق المعرفي الذي ينتمي إليه؛ لأن ترجمة نصوص مقطوعة من سياقها المعرفي يمكن أن تجني على النص المترجم لأن المرجعية لا تتوافر له في النظام المعرفي الجديد الذي ينتقل إليه. وإنّ المؤسسات وحدها هي التي يمكن أن تتولى مشاريع لترجمة نصوص سياق معرفي ما، كأن توكل مؤسسة ما إلى جماعة من المترجمين المتمكنين ترجمة أعمال أعلام اللسانيات المعاصرة من «سوسور» إلى «تشومسكي ودريدا» مروراً بـ «بارت» وكريستيفا» وغيرهم. لأنّ مثل هذه المشاريع تقدم سياقاً معرفياً متكاملاً بنظريته ومصطلحاته ممّا يوفر له أساساً مرجعياً، ويجعل أمر الاستفادة منه في النظام المعرفي الجديد ممكناً وأكثر احتمالاً. وهذا ما توافر لكتاب مارتينيه الذي جاء في سياق اهتمام الدكتور سراج باللسانيات الوظيفية التي ترجم نصوصها وألّف فيها. وتوافر لهذه الترجمة شرط آخر من شروط الإتقان وهو «الوقت» فقد بدأ المترجم ترجمة الكتاب عام ١٩٩٠م ولم يظهر الكتاب إلاّ في عام ١٩٩٦م، إلاّ أن الزمن الذي استغرقته الترجمة هو ثلاث سنوات كما يشير المترجم نفسه إلى ذلك في المقدمة، ص١٦. وهي مدة كافية مع السنوات الثلاث الأخرى كي يجوّد المترجم ترجمته ويضبطها، لغةً ومصطلحاً.

وتحدث المترجم في المقدمة ص١٧-١٨ عن المعجمات التي استعان بها لضبط المصطلح كما يقول: وهي أربعة معجمات، ثم عرض منهجيته في استخدام المصطلحات، وجاءت هذه المنهجية في عشرة بنود طبقها المترجم، ولكنّه خالف بعضها ولا سيما البند رقم (٧) الذي يقول: «إثبات المصطلحات الأكثر شيوعاً، والأسهل فهماً، مثل التزامنية والتعاقبية، علم الأصوات، التضمين، الاعتباطية، الرمز، الدال، المدلول، الضرب،...».

ومخالفة هذا الذي قاله المترجم تبدو في اختياره مصطلح «الألسنية» ترجمة لمصطلح Linguistique والمصطلح الذي شاع واعتمده المترجمون والدارسون هو «لسانيات». وكان الدكتور عبدالسلام المسدي قد أشار إلى التطور الذي تبعته الدراسات والترجمات العربية حتى استقر بها الأمر على مصطلح «اللسانيات»، ولكن الدكتور سراجاً استخدم المصطلح الذي ولد في فلسطين عام ١٩٤٧م، وتبنته المدرسة اللبنانية، فاستخدمه أنيس فريحة، وريمون طحان، وموريس أبو ناضر، وميشال زكريا. واستخدمه صالح القرمادي في تونس، وظلّ يُسْتَخْدَم في تونس حتى عام ١٩٧٨م.

أحمد مختار عمر



أنيس فريحة

ولكن هذا المصطلح لم يُكتب له الشيوع، وظلّ العرب يستخدمون مصطلحات متفاوتة حتى استقر أمرهم على مصطلح اللسانيات بعد أن استخدموا مدة طويلة ٢٣ مصطلحاً لترجمة كلمة Linguistique سجلها الدكتور المسدي في «قاموس اللسانيات»، ص٧٢. وكنت أتمنى أن يستخدم الدكتور سراج ما شاع واستقر انسجاماً مع منهجيته بدل العودة إلى المصطلح القديم.

والملاحظة الثانية لا تخص ترجمة الدكتور سراج وحده، ولكنها تشملها مع ترجمات أخرى كثيرة؛ وهي أن على المترجم أن يكون أميناً في نقل المادة العلمية، ولكن تلك الأمانة لا ينبغي أن تمتد لتشمل ما هو خاص بميزة الأداء الأسلوبي في اللغة المنقول عنها، وهي هنا الفرنسية التي نجد فيها تنويعات أسلوبية لها علاقة ببلاغة الأداء، وإنّ ترجمة تلك التنويعات تصبح مصدر تداخل في النص العربي لذلك ينبغي استخدام ما يوازي تلك التنويعات في الأداء العربي حتى نتخلص من التداخل الذي يؤثر في تلقي النص ومثال ذلك ما نجده في عدة مواضع من نص الدكتور سراج، ونكتفي على ذلك بمثال واحد (ص١٠٦):

ومن أجل تعيين نوع العلاقة، ترتكز، لهذا العمل، وسيلةً، بوجه خاص، اقتصادية على استخدام الموضع الخاص بالمونيمات المذكورة.

ويلاحظ قارئ هذه الجملة التداخل الذي كان ينبغي تجنبه ليستقيم النص العربي.

وإن التعليقات التي أثبتها المترجم في حواشي الكتاب مفيدة في التوازيات التي يقيمها مع قواعد اللغة العربية ولكن تلك

التعاليق تحتاج إلى تدقيق، وكان ينبغي أن تعتمد على استقصاء وتروٍّ. مثال ذلك ما يقوله المترجم في (ص ٥٢، الحاشية ٤) من أن «الاختصار نادر في اللسان العربي المكتوب، بسبب طبيعة التكوين الصوتي للكلمة العربية المعروفة بمقطعيتها. والمثل المعروف هو في اختصار كلمة إلى آخره بـ الخ...».

ولكن هذا الكلام غير دقيق فيما يخص اللغة العربية، ويأتي تعليقاً على ظاهرة شفوية في اللغة الفرنسية حذف الضمير ILفي قولنا IL y a لتصبح في نطق العامة y a وفضلاً عن أن الاختصار في العربية يأخذ

عرف مارتينيه النحو بأنه كيفية العبور من خطية النص إلى شمولية المعنى، والصرف بأنه دراسة الانحرافات الشكلية

أشكالاً متعددة، والظاهرة التي تشبه ما يتحدث عنه نص مارتينيه هي ما سماه ابن جني «شجاعة العربية»؛ فالعرب تحذف كل ما يفهم من السياق، أو أنها تختصر ما يكثر استخدامه، وليس الترخيم إلا ضرباً من ضروب الاختصار «ياحار، أفاطم» "درس المنا بمتالع" وغير ذلك، وكان ينبغي التأني في إطلاق الأحكام، وإحكام التعليقات التي تكتسب أهميتها من التوازي والدقة. ويتكرر عدم التوازي في التعليق في ترجمة الدكتور سراج، وذلك في (ص ١٠٦، الحاشية ١) لأن المؤلف ينص على أن علاقة «الفاعلية» عندما يتقدم الاسم على الفعل خاصة باللسان الإنجليزي، وإذا كان الاسم الذي يتقدم على الفعل في العربية يصبح مبتدأ فإن علاقته بالفعل تظل علاقة فاعلية من خلال الضمير الذي يستكنّ في الفعل ويرجع إلى الاسم الذي أصبح مبتدأ.

ويبدو الغموض يلف الحاشية (٤) ص (١٧٢) لأن موضوع العربية المكتوبة لا يمكن أن يعالج في حاشية تتضمن كثيراً من التعميم وعدم الملاءمة.

وإنّ الجهد الكبير الذي بذله الدكتور سراج في استخدام المصطلح الواضح والشائع، وفي صياغة مصطلحات ابتكرها مارتينيه، وكان على المترجم أن يجد الموازيات العربية، مثال ذلك: مصطلح Confixation الذي ترجمه بـ «إئتلاف عناصر» ولو ترجمه بـ «تركيب» لكان أقرب، لأن المثال الذي يضربه نسميه في العربية التركيب حضرموت، أحد عشر، télé-phone

ولابد من القول: إن حاشية المترجم في (ص ١٩٦) غير دقيقة لأن علم التأثيل = Etymologie هو علم تاريخ الكلمات وتطور معانيها.

وأختم حديثي بالإشارة إلى أن الضاحية الباريسية المذكورة في (ص٥٣) هي نويي Neuilly وليس "نايي"، وأن العربية لا تعرف الأسلوب الذي يستخدمه المترجم في الصفحة (٢٦٨): إن دراسة المنشورات الأولى لحلقة براغ اللغوية التي تعهدها هيلمسلف في إطار لجنة سُمّي زميلاً فيها من قبل الحلقة اللغوية (كوبنهاجن، هي التي دفعته، من خلال ردة فعل، إلى تطوير نظريته الألسنية المعروفة تحت اسم اللغاوة...).

إن قوله: من قبل= Parأسلوب لا تقبله العربية، وقوله: تحت اسم Sous le nom deهو كذلك أيضاً.

وإن ترجمة مصطلح Connota-tionبـ «تضمين» غير موفق لأن هذا المصطلح مشغول بالعربية في النحو، والبلاغة، والعروض. وقد ترجمه الدكتور المسدي في قاموسه ص ٢٣٤ بـ «إيحاء»، ولعله أكثر مناسبة من التضمين. و Finaliste التي جاءت في (ص٥٧) هي غائي (قائل بمذهب الغائية) وليس «غائية» كما هو في أصل الكتاب ولعله خطأ طباعي. وعنوان كتاب «فرد ينانددي سوسير» جاء في (ص٣٣) مخالفاً لعناوين الترجمات الثلاث الموجودة للكتاب بالعربية (انظر مراجعات لسانية، ص٨٧). وقد حدث خلل في ترتيب مصطلحات المسردين اللذين أوردهما المؤلف في نهاية الكتاب فلم ترتب المصطلحات الفرنسية هجائياً، وإنما وردت متداخلة مما يجعل من الصعب إيجاد مصطلح في المكان المتوقع هجائياً. والأمر نفسه يقال في المصطلحات العربية.

إنّ كل ما ذكرناه لا يقلل من الأهمية التي تكتسبها ترجمة كتاب "مارتينيه" ولا يغض من الجهد المبذول فيها، ولكن ما أشرنا إليه يزيد من مقروئية الكتاب، ويجعله أكثر وضوحاً، ويرفع درجة تلقيه في الدراسات اللغوية واللسانية العربية.

قراءة في ترجمتين لقصة النافذة المفتوحة

نشرت مجلة الفيصل الغراء في عددها ٢٨٣ المحرم ١٤٢١هـ قصة قصيرة مترجمة بعنوان «النافذة المفتوحة» لـ هـ. هـ. مونرو (ساكي)، وقام بالترجمة زهير رومية. وكانت مجلة الفيصل قد نشرت ترجمة للقصة نفسها في العدد ١٩٧ ص ١١٦ ـ ١١٧، ترجمة خالد حداد. وكنت قد اطلعت على ترجمة ثالثة للقصة أيضاً في مجلة الكويت العدد ٧٠ شوال ١٤٠٨هـ، وهي لعماد نصار.

الترجمتان، من وجهة نظري المتواضعة جداً والقابلة للأخذ والرد، تفتقران إلى ما يسمى بالترجمة الأدبية الإبداعية التي تجعل قارئ النصّ المُترجم الجديد يشعر بأنه يقرأ نصاً متماسكاً صيغ بلغة عربية سليمة في جمله وتراكيبه مع عدم الابتعاد عن روح القصّ وفنيته في النصّ الأصلي.

لا ذنب لهما

هناك إشكالات في الترجمة لا ذنب للمُترجمين فيها. فعلى سبيل المثال عبارة My Aunt، وكلمة Niece ترجمهما خالد حداد بخالتي وابنة الأخت على التوالي. تقول ترجمة خالد حداد: «ستهبط خالتي حالاً يا سيد نانيل... حاول فرامتون نانيل أن يقول شيئاً يُبهج ابنة الأخت دون أن يُزعج الخالة... سألته ابنة الأخت... إذن، فأنت لا تعرف شيئاً تقريباً عن خالتي... وتابعت ابنة الأخت... ولكن هل لتلك النافذة علاقة بحزن خالتك... إن خالتي المسكينة... يا خالتي العزيزة المسكينة... عندما دخلت الخالة... واستدار باتجاه الخالة... فعلقت ابنة الأخت».

أما ترجمة زُهير رُومية للعبارات نفسها تقريباً كما يلي: «ستحضر عمتي في الحال... أن يُولي بعض الاهتمام لابنة الأخ... من أهمية العمة... سألت ابنة الأخ... أنت لا تعرف شيئاً عن عمتي... قالت ابنة الأخ... تفكر عمتي المسكينة... يا لعمتي العزيزة المسكينة... دلفت العمة... ثم التفت باتجاه ابنة الأخ».

وتعود هذه الإشكالية لحقيقة أن الكلمة Aunt باللغة الإنجليزية تعني العمة أو الخالة أو زوجة العم أو زوجة الخال، وكلمة Niece تعني بالإنجليزية ابنة الأخ أو الأخت أو ابنة أخي الزوج أو أخته أو ابنة أخي الزوجة أو أختها ولا توجد في سياق النصّ أو الأحداث أية دلائل تشير إلى أن السيدة سابلتون كانت العمة أو الخالة، أو إلى أن فيرا كانت ابنة الأخ أو ابنة الأخت.

اختلفت الترجمتان للقصة اختلافاً كبيراً، واختلفتا عن ترجمة عماد نصار لها. سأقصر حديثي لها على ترجمة كل من خالد حداد وزهير رومية للقصة.

ترجمة خالد حداد الجملة التالية:

Framton Nuttle endeavored to say the Correct Something that could duly flatter the niece of the Moment Without unduly discounting the aunt that was to come.

«حاول فرامتون ناتل أن يقول شيئاً يبهج ابنة الأخت الموجودة الآن، دون أن يزعج (؟؟) الخالة التي كانت على وشك الحضور».

لا يمكن أن تعني عبارة Without discounting «دون أن يزعج»، والأقرب لها «دون أن يحط من/ أو دون أن ينتقص من».

أما زهير رومية فترجم الجملة كما يلي: «حاول فرامتون نوتيل أن يولي بعض الاهتمام لابنة الأخ بأن يجاملها

باقتضاب (؟؟)، وبما لا يُقلّل من أهمية العمة التي كانت على وشك الحضور». تمثلت الإشكالية في ترجمة عبارة thd correct something وكلمة flatter فقد ترجمهما خالد بـ «أن يقول شيئا يُبهج»، وترجمهما زهير بـ «أن يولي الاهتمام لابنة الأخ بأن يجاملها باقتضاب (؟؟ كلمة duly الواردة في النصّ تعني «كما ينبغي أو على نحو واف». أما عبارة the correct something فيمكن ترجمتها بـ «الشيء الصحيح»، أما كلمة Flatter فتعني «يمتدح أو يُطري».

ترجم خالد عبارة Formal Visits بـ «الزيارات المُهذبة»، وترجمها زهير بـ «الزيارات الشكلية». وأرى أن الأقرب للنصّ «الزيارات الرسمية» ليقرأ النصّ... «... شك كما لم يشك من قبل في أن مثل هذه الزيارات الرسمية المتتالية لأناس غرباء تماماً»...

ترجم خالد عبارة Hardly a Soul بـ «أكاد لا أعرف أحداً» وترجمها زهير «شخص واحد على الأقل (؟؟)» لا علاقة لها بمعنى العبارة في النصّ، فكلمة hardly تحمل معنى النفي، ولأن فيرا كانت على يقين من أن السيّد ناتل لا يعرف أحداً بالفعل هناك، بدأ ينسج حكايتها الخيالية عن عمتها/ خالتها. وترجم خالد حداد عبارة admitted the caller بـ «واعترف فرامتون، بينما ترجمها زهير رومية بـ «أقرّ المنادي» (؟؟ أيّ مناد يا أخ زهير وكأني بك تترجم عن قاموس إلكتروني، فكلمة caller في هذا السياق تعني الزائر أي السيّد فرامتون.

ترجم خالد حداد الجملة An undefinable Something about the room seemed to suggest masculine habitation. بـ «لكن ثمة شيئاً (؟) يدل على وجود رجل مُقيم في ذلك البيت». وترجمها زهير رومية بـ «شيء ما غير واضح في الغرفة جعلها تبدو سكناً لرجال». أعتقد أن ترجمة زهير لهذه الجملة هي الأقرب إلى الأصل. وترجم خالد جملة He was wondering whether Mrs Sappleton was in the married or widowed state.

كما يلي: «كان يتساءل (من الذي كان يتساءل؟) عما إذا كانت السيدة سابلتون متزوجة: ربما كانت متزوجة سابقاً وقد توفي عنها زوجها» (عفوك أخي خالداً.. من أين أتيت بهذه العبارة: «ربما كانت متزوجة سابقاً، وقد توفي عنها زوجها» ولا نظير لها في القصة والتساؤل وما سبقه وتلاه واضح؟!). وترجمها زهير «كان يتساءل هل السيدة سابلتون متزوجة أم أرملة؟» (أقرب للنصّ من ترجمة خالد).

اختلف المترجمان كثيراً في ترجمتهما الجملة التالية: Her great tragedy happened just three years ago. فترجمها خالد بـ «لقد حلّ حُزنها(؟) الكبير منذ ثلاث سنوات فقط(؟)»، وترجمها زهير بـ «حدثت مأساتها الكبيرة منذ ثلاث سنوات». (وهي الأقرب ترجمة للنص). فكلمة tragedy تعني، يا أخ خالد، مأساة، وكلمة just في السياق الذي وردت فيه تعني «بالضبط»... بمعنى أن مأساتها (أي مأساة السيدة سابلتون) الكبيرة (أو العظيمة) وقعت (أو حدثت) قبل ثلاث سنوات بالضبط؛ ومن هنا أتت زيارة السيد فرامتون في الذكرى الثالثة للمأساة (طبقاً لما روته فيرا). وكانت ترجمة خالد حداد لهذه الجملة: Their bodies were never recovered: «لم يتمكن أحد من العثور على جثثهم مطلقاً» وجاءت ترجمة زهير رومية لها: «أجسادهم لا تستعاد (؟؟)» أيّ ترجمة هذه؟! وترجم خالد عبارة: That was the dreadful part of it بـ «كان ذلك أسوأ ما في القصة. وترجمها زهير: «ذلك هو الرهيب في الأمر»(؟؟).

واختلف المترجمان في ترجمتهما لكلمة think في الجملة التالية: Poor aunt thinks that they will come back some day ترجمها خالد بـ «إن خالتي المسكينة تظن دائما أنهم سيعودون يوما «ما» . هناك ترتيب معين لكلمات الجملة في اللغة العربية فعل + فاعل... تظن خالتي... بأنهم سيعودون يوماً ما. وترجمها زهير بـ «على الدوام [لماذا ابتدأت الجملة بجار ومجرور؟] تفكر [أليست كلمة تظن أو تعتقد هي الأفضل هنا؟] عمتي المسكينة بأنهم سيرجعون يوماً ما». كما اختلف المترجمان في ترجمة عبارة her youngest brother، فترجمها خالد بـ «أخوها الأصغر» وترجمها زهير بـ «أخوها البكر»(؟؟) أمِن المفترض أن يكون الأخ الأصغر هو البكر،

والبكرُ أول ولد الأبوين كما ورد في مختار القاموس؟

وترجم خالد حداد عبارة:

as he always did to tease her, because she said it got on her nerves. بـ «... كما اعتاد أن يفعل دائمًا لإزعاجها [؟ ليغيظها والإغاظة غير الإزعاج] لأنها قالت: إن غناءه يثير أعصابها». وجاءت ترجمة زهير رومية لها كما يلي: «هكذا كان يفعل دائمًا ليغيظها فهي اعتادت أن تقول إنها تضبط أعصابها».

كلمة يغيظ أقرب لكلمة tease وتثير أعصابها أقرب لـ got on her nerves.

ابتعد زهير رومية كثيراً عن النصّ في ترجمته الجملة التالية:

when the aunt bustled into the room with a whirl of apologies for being late in making her appearance، وكانت ترجمته كما يلي: «... أن دلفت العمة مُسرعة في تلك اللحظة إلى الغرفة وهي تعتذر بتشوش [كيف يعتذر الإنسان بتشوش؟] وارتباك(؟) عن تأخرها في إتمام زينتها (؟؟) أين الكلمات، في النص، التي تدل على التشوش والارتباك والتأخر في إتمام الزينة؟! وعبارة for being late in making her appearance تعني ببساطة «لتأخرها في المجيء أو القدوم أو الحضور».

وكانت ترجمة خالد لهذه الجملة هي الأفضل: «عندما دخلت الخالة الغرفة بحيوية ونشاط وهي تعتذر عن تأخرها». وترجم خالد عبارة so like you menfolks بـ «كلكم أيها الرجال تقومون بمثل هذه الأمور». وترجمها زهير بـ «كما يفعل الناس». وترجم خالد عبارة The prospects For duck in the winter بـ «وآمال الصيد (صيد ماذا؟) في الشتاء» وترجمها زهير بـ «وعن التوقعات بخصوص البط في الشتاء».

أما الجملة التالية: It was certainly an unfortunate coincidence that he could have paid his visit on this tragic anniversary، فترجمها خالد حداد كالتالي: «لا شك أن سوء حظه قد ساقه إلى هذه الزيارة في هذا اليوم الحزين». وترجمها زهير رومية كما

النافذة المفتوحة

يلي: «بالتأكيد كانت مصادفة غير مناسبة أن يمضي زيارته في ذكرى مأساوية كهذه». من الممكن ترجمة الجملة كما يلي: كانت، بالتأكيد، مُصادفة تعيسة لأن يكون قد قام بزيارته في هذه الذكرى المأساوية.

يترجم خالد حداد عبارة for the least detail بـ «أقل ما يمكن من التفاصيل (أقل التفاصيل) ويترجمها زهير بـ «أدق» (؟؟) التفاصيل».. والفرق بين أقل وأدق كبير، وأرجو أن يكون ذلك خطأً مطبعيًا لا غير. ويخطئ زهير في ترجمته للجملة التالية: No said Mrs sappleton in a voice which only replaced a yawn at the last moment، فقد ترجمها كما يلي: «قالت السيدة سابلتون: «لا» بصوت أحدث فجوة (؟؟) في اللحظة الأخيرة». [ماذا تعني بالله عليك وكلمات النص لا تعني سوى أن المرأة تثاءبت وهي تقول لا ؟!]. وترجم خالد العبارة نفسها كما يلي: « فعلقت السيدة سابلتون بصوت مُرهق، صحيح؟».

ويترجم خالد عبارة: and don't they look as if they were muddy up to the eyes! بـ «ألا يبدون للعيان(؟؟) كأنهم غارقون بالوحل كليًا؟» وترجمها زهير: «ولا يبدو (؟؟) أنهم دُكن اللون (؟؟) من الاتساخ (؟؟)» والكلمات ببساطة تعني: ألا يبدو أنهم ملطخون بالوحل حتى عيونهم! أما ترجمة خالد حداد للجملة التالية: Framton shivered slightly and turned to ward the niece with a look intended to convey sympathetic comprehension فكانت كالآتي: «ارتجف فرامتون واستدار نحو الخالة؟؟ بل نحو ابنة الأخت to-

wards the niece بنظرة قصد بها إبداء نوع من التفهم المتعاطف.

وتقرأ ترجمة زهير رومية: «تململ فرامتون باستخفاف [معنى كلمة shiver يرتعش/يرتجف ومعنى كلمة slightly قليلاً وليس باستخفاف] ثم التفت تجاه ابنة الأخ بنظرة قصد أن يُعبر بها عن تفهمه وتقديره المتعاطف».

أما عبارة in the deepening twilight فترجمها خالد بـ «في الظلمة المتزايدة»، وترجمها زهير «في الشفق الأدكن (؟!)» وترجم خالد عبارة and then a coarse young voice chanted out of the dusk.. بـ «وفجأة انطلق صوت شاب وهو يغني في الظلام». أما زهير فترجمها بـ «عندما انبعث من عتمة الغسق صوت أجش لشاب يترنم».

وهذه الترجمة الأقرب للنص إضافة إلى أن خالداً لم يترجم عبارة i said berty: why do you bound? فيما شملتها ترجمة زهير.

ترجم خالد حداد الجملة التالية: Framton grabbed at his stick and hat; the hall door, The gravel drive and the front gate were dimly noted stages in his headlong retreat. كما يلي: «أمسك فرامتون قبعته وعصاه بصورة مسعورة وانطلق هارباً عبر الباب الأمامي ثم البوابة الخارجية، وكانت ترجمة زهير رومية لها كما يلي: قبض فرامتون على قبعته وعصاه مذعوراً، (جيد حتى الآن) باب حجرة الجلوس والطريق المُمهد بالحصى والبوابة الأمامية كلها كانت محطات تفصلها مسافات من الظلمة، هكذا بدت له في أثناء تقهقره وانسحابه الطائش والمتهور(؟؟). كان عليك، أخ زهير، استخدام علامات الترقيم كالفواصل والنقاط بصورة أدق لتحديد ترابط العبارات الواردة في ترجمتك. تعني عبارة were dimly noted stages أن السيد فرامتون من شدة ذُعره واندفاعه هارباً للخارج لم يكد يُلاحظ الأماكن التي عبرها.. ولم تكن هناك مسافات من الظلمة تفصل ما بين... وبين... وبين... وترجم خالد هذه الجملة: A cyclist coming along the road had to run into the hedge to avoid an imminent collision «وكاد يصطدم برجل يركب دراجة(؟؟)» وترجمها زهير رومية بـ «حتى إن راكب دراجة يعبر الطريق اضطر إلى الانحراف نحو السياج تفادياً للاصطدام به». وترجم خالد الجملة التالية: here we are my dear, said the bearer of the white mackintosh, coming in through the window كما يلي: «وقال الرجل الذي يضع السترة البيضاء [الممطر أو المعطف الواقي من المطر، والمعطف ليس بسترة] وهو يدخل عبر النافذة». وترجمها زهير كالتالي: «قال الذي يحمل معطفاً أبيض، داخلاً عبر النافذة». وترجم خالد عبارة Amost extraordinary man, a mr. nuttle بـ «أنه رجل بالغ الغرابة يدعى السيد ناتل. وترجمها زهير: «رجل مُفرط الغرابة، سيِّد نوتيل هذا (لم تكن السيدة سابلتون على معرفة مُسبقة بالسيِّد نتل ومن هنا عبارة a Mr Nuttle «شخص يدعى السيد نتل». وترجم خالد الجملة التالية: He was once hunted in to a cemetry some where on the banks of the Ganges by a pack of pariah dogs كما يلي: «وذات مرة طاردته مجموعة من الكلاب الهائجة في إحدى المقابر بالهند»، وترجمها زهير «ففي إحدى المرات طاردته مجموعة من كلاب الشوارع في مكان ما على ضفاف نهر الغانج فالتجأ إلى إحدى المقابر هناك» (وهذه الترجمة أقرب للنصّ الأصلي من ترجمة خالد لها).

وأخيراً ترجم خالد عبارة: Romance at short notice was her specialty بـ «لقد كانت بارعة جداً في تلفيق الحكايات بسرعة». وترجمها زهير بـ «خيال رومانسي (؟؟) مع عبارات قاطعة مقتضبة (؟؟) تلك كانت ميزات لابنة الأخ» (ترجمة خالد لهذه العبارة هي الأقرب للنص).

عذراً للإطالة وشكراً للأستاذين الكريمين خالد وزهير على جُهديهما. آمل ألا ينزعجا. هذا رأي متواضع لقارئ متابع، فإن أصاب فله أجران وإن لم يصب فله أجر.

جودت أحمد الحمد

ص.ب ١٩٧٤ - إربد ٢١١١٠ - الأردن

الملف الثقافي

رحيل علاّمة الجزيرة
حمد الجاسر

نوادٍ علمية للفتيات
في الخليج

تشكيك في أعمال حنا مينه

مؤتمر عربي ـ ألماني للشعر

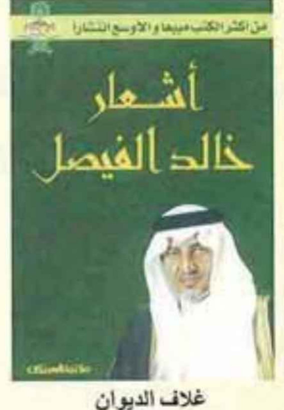
«جينات لار» في باريس



خاتمة المطاف:

من أخبار
القحط

في أمسية عن مؤلفه الجديد الأمير خالد الفيصل: الشعر الشعبي ليس نبطيًا، إنما عربي فصيح



غلاف الديوان

أقامت الأمانة العامة لبرامج الرياض عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م، بالتعاون مع مكتبة العبيكان أمسية ثقافية بعنوان «كتاب ومؤلف» للأمير خالد الفيصل بمناسبة صدور مجموعته الشعرية «أشعار خالد الفيصل»، وذلك في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات بفندق الأنتركونتيننتال بالرياض.

بدأت الأمسية بكلمة ترحيبية من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب مشيدًا بالشاعر الأمير خالد الفيصل وبالحضور، وبتجربته الشعرية والفنية، وما يضطلع به من مسؤوليات البناء في منطقة عسير. واستعرض مدير الأمسية الدكتور عبدالله المعطاني أستاذ النقد بكلية الآداب بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة السيرة الذاتية للشاعر.

وتناول سمو الأمير خالد الفيصل العلاقة بين الشعر الشعبي والفصيح، وتحامل بعض النقاد على الشعر الشعبي، وأكد أن هذا الشعر ليس شعرًا نبطيًا كما أسماه بعضهم؛ لأنه ليس بلغة الأنباط، وإنما هو في أغلبه فصيح، وأورد أمثلة من أشعاره للدلالة على فصاحة الشعر الشعبي، وقال: إن بعض النقاد أنصفوا الشعر الشعبي وعدوه مفهومًا لجميع الناطقين بالعربية، وأضاف أن الشعر الشعبي يشهد الآن عصره الذهبي بفضل حركة التجديد من كبار الشعراء المعاصرين في المملكة من أمثال: الشاعر الأمير عبدالله الفيصل، والأمير سعود بن محمد، والأمير أحمد السديري، والشاعر عبدالله اللويحان، والشاعر أحمد الناصر، والأمير بدر بن عبدالمحسن، وأجاب سموه عن أسئلة الحاضرين التي دارت عن تجربته الشعرية والفنية وفحوى الكتاب. وقد شهد الأمسية عدد كبير من الأمراء ورجال الفكر والثقافة والأدب.

رحيل علامة الجزيرة العربية

«الناس يخافون من الموت، ولكن خوفهم من الموت هو الموت؛ لأن الموت لا ألم له، الموت ارتياح، الموت حالة سلبية، وإنما يتجسم الخوف في الخوف من الموت.. لماذا؟ لأنني أحس أنني قطعت مرحلة من حياتي أشبعت فيها جميع رغباتي النفسية، وأصبحت مرتاح الضمير...

انتهت قوتي، وأوشكت حياتي أن تنتهي، إذن أنا لا أتطلع لشيء.. لماذا إذن أخاف من الموت..؟ حقًا كل إنسان لا يريد أن يخرج من هذه الحياة؛ ولو عمِّر ما عمَّر، ولو بلغ من العمر ما بلغ؛ لأن هذه هي طبيعة الإنسان، ولكن الرجل العاقل هو الذي يدرك أن هذه المرحلة لها نهاية، وأنه يجب أن يكون مستعدًا لبلوغ الغاية بارتياح واطمئنان».

جاء هذا الجواب من حمد الجاسر عن سؤال له عن مدى خوفه من الموت، في واحد من آخر الحوارات الثقافية التي أجريت معه؛ وكأنه يستشرف دنو أجله. وقد فُجع الوسط الثقافي بوفاة علامة الجزيرة العربية الشيخ حمد بن محمد الجاسر، عن عمر ناهز ٩٣ عامًا، في وقت مبكر من صباح الخميس ١٦ من جمادى الآخرة سنة ١٤٢١هـ الموافق ١٤ من سبتمبر/ أيلول عام ٢٠٠٠م - بعد ١٠ ساعات من العملية الجراحية التي أجريت له في مستشفى ماساشيوستس العام بالولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنه كان يشكو من تكلسات في الرقبة تعيقه عن الحركة.

ولد الشيخ حمد بن محمد الجاسر سنة ١٣٢٨هـ في قرية البرود في إقليم السر، من أسرة فقيرة تعيش على الفلاحة، ونشأ طفلاً مريضًا عليل الجسم، وبقي ٤ سنوات لا يستطيع المشي، وحُفر له قبر ٤ مرات يأسًا من حياته.. ولما رأى والده عدم قدرته على مساعدته في الحقل؛ أدخله الكتّاب؛ فتلقى تعليمه الأولي في قريته، ثم انتقل إلى الرياض عام ١٣٤١هـ؛ فتلقى العلم عن أشهر علمائها في ذلك الوقت وهم: سعد بن حمد بن عتيق، وصالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ومحمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ. ثم التحق سنة ١٣٤٨هـ بالمعهد السعودي في مكة؛ ليتخرج قاضيًا شرعيًا سنة ١٣٥٣هـ.

تنقل الجاسر بعد ذلك في العمل بين التدريس والقضاء، ثم سافر إلى مصر لإكمال الدراسة، ولكن قيام الحرب العالمية الثانية حال دون إكماله الدراسة هناك. وعاد إلى المملكة ليتنقل بين عدد من المناصب التعليمية

والتربوية والصحفية. فقد:
- أصدر «اليمامة» أول صحيفة في الرياض سنة ١٣٧٢هـ.
- وأنشأ «مطابع الرياض» أول مطبعة في نجد سنة ١٣٧٤هـ.
- وأنشأ «دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر» سنة ١٣٨٦هـ.


حمد الجاسر

- وأنشأ «مجلة العرب» التي تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري.

وللجاسر مؤلفات وبحوث ومقالات منشورة تجاوزت في مجموعها ١٢٠٠ مادة، وأهم مؤلفاته:
- سوق عكاظ.
- مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ.
- بلاد ينبع: لمحات تاريخية وجغرافية وانطباعات خاصة.
- أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع.
- في شمال غرب الجزيرة: مشاهدات، نصوص، انطباعات.
- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: شمال المملكة.
- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: المنطقة الشرقية.
- معجم قبائل المملكة العربية السعودية.
- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية «أسماء المدن والقرى وأهم موارد البادية».
- الإيناس في علم الأنساب (تحقيق).
- رحلات للبحث عن التراث (صدر منها ثلاثة أجزاء).
- مع الشعراء: مختارات ومطالعات.
- أصول الخيل العربية الحديثة.
- التعليقات والنوادر عن أبي علي هارون بن زكريا الهجري.
- مقتطفات من رحلة العياشي.
- باهلة: القبيلة المفترى عليها.
- نظرات في كتاب تاج العروس من جواهر القاموس.
- مختلف القبائل ومؤتلفها (تحقيق).
- المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة (تحقيق).
- الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة (تحقيق).
- البرق اليماني في الفتح العثماني (تحقيق).
- بلاد العرب (تحقيق).
- جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد.
- ملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي المغربي (تحقيق).
- في سراة غامد وزهران: نصوص، مشاهدات، انطباعات.
- المغانم المطابة في معالم طابة (تحقيق).
- الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء (تحقيق).
- الأماكن (تحقيق).

وقد نال الجاسر رحمه الله التقدير على جهوده في خدمة التراث فنال عدداً من الجوائز، ويأتي في مقدمتها:
- جائزة الدولة التقديرية للأدب سنة ١٤٠٤هـ.
- تم تكريمه من قبل قادة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية إبّان انعقاد القمة العاشرة في سلطنة عمان سنة ١٤١٠هـ.
- فاز بجائزة سلطان العويس الثقافية للإنجاز العلمي والثقافي سنة ١٤١٦هـ.
- فاز بجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي سنة ١٤١٦هـ، عن موضوع «أدب الرحلات في التراث العربي: تحقيقاً ودراسة».
- منحته جامعة الملك سعود درجة الدكتوراه الفخرية سنة ١٤١٦هـ.
- مُنح وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الثالثة في مهرجان الجنادرية سنة ١٤١٧هـ.
- وهو عضو بمجامع اللغة العربية في دمشق والقاهرة وبغداد والأردن والهند.

وبعد إعلان نعي المملكة للشيخ حمد الجاسر رسمياً ببرقيات العزاء والمواساة من خادم الحرمين الشريفين وولي العهد والنائب الثاني حفظهم الله، توالت كلمات الصحف السعودية وتلامذة الجاسر وزملائه في تأبينه. وستقدم «مجلة الفيصل» في عدد قادم ملفاً موسعاً عنه.

الإنترنت يهدد صناعة السينما

بعد الرعب الذي عاشت فيه دور النشر العالمية مؤخراً بسبب نشر بعض الكُتّاب إنتاجهم القصصي من خلال مواقعهم في شبكة الإنترنت مما يعني الاستغناء عن خدمات كثير من هذه الدور، امتد هذا الرعب ليهدد شركات الإنتاج السينمائي في هوليود بعد أن أصبح في استطاعة ملايين المشاهدين متابعة

أحدث الأفلام السينمائية مجانًا عبر شبكة الإنترنت. وقدّرت مؤسسة فيانت التي تعمل في مجال الحاسوب عدد الأفلام التي تمّ تحميلها يوميًا في العام الماضي بطريقة غير مشروعة بنحو ١٥٠ ألف فيلم يوميًا، وارتفع هذا العدد إلى نحو ٣٥٠ ألف فيلم يوميًا هذا العام. وقال بروس فورست (مدير الإعلام والترفيه بالمؤسسة): «إنه لا يمكن التحكم في هذا النوع من القرصنة باستخدام القوانين التقليدية أو رفع دعاوى أمام القضاء، وإنما يجب مكافحتها».

نموذج من صفحات الإنترنت

المراكز الحضارية في الخليج

«المراكز الحضارية في تاريخ الخليج ودورها في تعزيز وحدة المنطقة» هو عنوان الندوة التي ستعقد في جامعة البحرين خلال شهر ديسمبر/ كانون الأول المقبل.

ومن المقرر أن يشارك في الندوة عدد من الباحثين بأوراق تسلط الضوء على العوامل المشتركة بين الدول الخليجية، واستشراف الرؤى المستقبلية لدور المراكز الحضارية بها.

ببليوجرافيا باللغة الألبانية

كشف كتاب صدر حديثًا باللغة الألبانية في بريشتينا النقاب عن بعض المعلومات المهمة التي تتعلق بتكون الوعي الديني والقومي وتطوره عند الألبان في يوغوسلافيا الملكية (١٩١٨ - ١٩٤١م)، وخلال الحكم الشيوعي (١٩٤٥ - ١٩٩٠م)، وما بعد انهياره (١٩٩٠ - ١٩٩٩م). وقد تناول محمد م. الأرناؤوط في مقال له بصحيفة الحياة الصادرة بتاريخ ١٧ يوليو/ تموز الماضي الظروف التي أثرت في تكوين الوعي الديني والقومي للألبان إبان وجودهم في يوغوسلافيا خلال القرن الماضي.

غلاف الكتاب

وأوضح أن يوغوسلافيا الملكية لم تعترف أبدًا بالألبان الموجودين ضمن حدودها بوصفهم أقلية قومية تتمتع بحقوقها الثقافية كما هو الحال بالنسبة إلى الأقليات الأخرى (الألمانية والمجرية والإيطالية)، بل اعترفت بهم مسلمين فقط، فعاشوا في عزلة وأمية شبه كاملة (٩٥٪)، لكن هذا الوضع تغير فجأة مع انهيار يوغوسلافيا خلال الحرب العالمية الثانية، وضم معظم كوسوفا إلى ألبانيا.

هذا التواصل القومي ووجه مرة أخرى بالحكم الشيوعي الذي قسّم الألبان من جديد بين يوغسلافيا وألبانيا، وفي يوغوسلافيا شنّ الشيوعيون حربًا لا هوادة فيها ضد رجال الدين الإسلامي مما اضطر أغلبهم إلى الهجرة خارج بلادهم، فحرم الألبان في كوسوفا من قيادتهم الدينية المستقلة. وأغلقت جميع المدارس الشرعية عدا مدرسة واحدة هي «مدرسة علاء الدين» التي فتحت أبوابها عام ١٩٥٧م. وحول هذه المدرسة والمشيخة التي تتبعها أخذت تتشكل ببطء نخبة دينية جديدة، لتصدر في العام نفسه، أول كتيب - يقع في ٣٨ صفحة - ديني إسلامي باللغة الألبانية بعنوان «علم الحال» أو «أسس الإسلام»، ثم تلا ذلك وبعد ما يقرب من عشر سنوات كتاب آخر بعنوان «المولد النبوي» صدر في عام ١٩٦٥م.

ثم توالت بعد ذلك الإصدارات نتيجة لبعض المتغيرات السياسية التي شهدتها المنطقة، فشهد عام ١٩٦٩م نشر ثلاثة كتب إسلامية لشريف أحمدي (١٩٢٠ - ١٩٩٨م) هي «عقائد الإسلام» في جزأين، و«علم الكلام».

وبرز في السبعينيات جيل جديد من المثقفين الألبان، أمثال بايروش أحمدي، وفتحي مهدي، وكاظم كاظمي الذين تخرجوا في «مدرسة علاء الدين»، وتابعوا دراساتهم في البلاد العربية كبغداد والقاهرة، ثم عادوا إلى بلادهم ليعملوا في التدريس والتأليف، فنشر بايروش أحمدي عام ١٩٧٤م ثلاثة كتب هي «تاريخ الإسلام» في جزأين، و«علم الحال»، ثم نشر كاظم كاظمي عام ١٩٧٥م «تاريخ القرآن وتطور علم التفسير»، و«الأخلاق»، ولكن كانت أهم الأحداث في عام ١٩٨٥م الذي شهد نشر أول ترجمة كاملة للقرآن الكريم باللغة الألبانية قام بها فتحي مهدي، ثم تلت ذلك ترجمات أخرى عام ١٩٨٨م لشريف أحمدي وحسن ناهي.

ثم برز الجيل الثاني من خريجي مدرسة علاء الدين أمثال كمال مورينا، ورسول رجبي وميفتار إيديني الذين تعلموا في الجامعات العربية، وعادوا بحصيلة واسعة من الثقافة الإسلامية، ونقلوا هذه المعرفة إلى الألبان من خلال الكتب التي ألفوها أو ترجموها.

ومع بروز الجيل الثالث من خريجي «مدرسة علاء الدين» توسعت التآليف، وترجم المزيد من مؤلفات النووي والغزالي والمودودي والشعراوي، بل أصبحت تصدر مؤلفات أصيلة تخص هذا الجيل في اللغة والفقه والتاريخ.

وحين نصل إلى عام ١٩٩٧م وهو عام انتهاء هذه البيليوجرافيا نجد أن عدد الكتب الإسلامية التي ألفت بلغ ٥١ كتاباً، وهذا - بلا شك - رقم كبير إذا ووزن بعام ١٩٥٧م الذي صدر فيه أول كتيب من هذا النوع في اللغة الألبانية.

سيزان والماء

أقيم مؤخراً في متحف «جرانيه» بالعاصمة الفرنسية باريس معرض لرسوم الرسام الفرنسي بول سيزان استمر حتى ١٥ سبتمبر/ أيلول الماضي، واشتمل المعرض الذي جاء بعنوان «الماء في لوحات سيزان» على ٥٠ لوحة، كان سيزان قد رسم معظمها في الفترة بين عامي ١٨٩٠م و ١٩٠٠م.

سيزان

ولد سيزان عام ١٨٣٩م، وتوفي عام ١٩٠٦م، وكان ينتمي إلى المدرسة التعبيرية، وقد عرف بحبه للرسم في الهواء الطلق، مستلهماً من الطبيعة كل أعماله الفنية، وكان لأعماله تأثير كبير في المدارس الفنية الأخرى التي ظهرت في القرن العشرين من حوشية وتكعيبية وتجريدية.

ومن أهم اللوحات المعروضة في هذا المعرض لوحة «المستحمات» التي رسمها سيزان عام ١٨٩٩م بألوان الزيت، وهي من أجمل لوحاته.

رحيل كامل الدباغ

توفي في بغداد في ٢٩ أغسطس/ آب الماضي الإعلامي العراقي كامل الدباغ عن عمر يناهز ٧٥ عاماً.

اشتهر الدباغ ببرنامجه العلمي «العلم للجميع» الذي انطلق في عام ١٩٦٠م، واستمر بثه من تلفاز العراق زهاء ثلاثين عاماً.

وبجانب كونه إعلامياً كان الدباغ كاتبا وباحثاً أسهم في عدد من المؤتمرات العلمية والتربوية، وشارك في تأليف كتب علمية في مجال الفيزياء تدرس في المدارس العراقية، وألف كتباً مخصصة لهواة الكهرباء والراديو، إلى جانب تأليفه ثلاثين كتاباً للأطفال، وترؤسه تحرير مجلة «العلم والحياة»، كما أشرف على صفحات العلوم والتكنولوجيا في عدد من الصحف والمجلات العراقية.

نواد علمية للفتيات في الخليج

تنفيذاً لتوجيهات المؤتمر الإقليمي لليونسكو حول تفاعل المرأة العربية مع العلوم والتقنية؛ يجري تأسيس نواد علمية للفتيات في دول الخليج العربية، وقد بدأ المشروع فعلياً بتأسيس ناد نموذجي في دولة الإمارات العربية المتحدة بمدينة أبو ظبي تحت رعاية الاتحاد النسوي بالإمارات.

يرمي المشروع إلى تهيئة المناخ الملائم لممارسة الفتيات الهوايات العلمية واستثمار أوقات الفراغ في تنمية المعرفة العلمية، وبناء القدرات وتشجيع روح الابتكار، كما يرمي إلى نشر الثقافة العلمية وتبسيط العلوم، وتشجيع البحث العلمي، وإقامة المعارض في المدارس والنوادي والاتحادات النسائية لعرض المبتكرات العلمية.

وتبلغ تكلفة مشروع النادي النموذجي بالإمارات ١٦٥ ألف دولار، ويتم تنفيذه بالتعاون بين اليونسكو، وكل من: جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، وبرنامج الخليج العربي.

ذكريات الإمبراطورية العربية

شهدت صالة غاليسيا بمدينة سانياغودي كومبوستيلا (شمال إسبانيا) في آخر شهر أغسطس/ آب الماضي المعرض الفني المعنون بـ «ذكريات عن الإمبراطورية العربية» الذي استمر إلى يوم ٢٧ سبتمبر/ أيلول. وقد ضم المعرض نحو ٢٠٠ قطعة فنية متنوعة؛ ما بين مخطوطات ورسوم وأقمشة وأوان وآلات حربية تغطي إبداع الحضارة العربية التي ازدهرت حول البحر المتوسط من العصر الإسلامي إلى عصر الموحدين.

وقالت موفي مكاريو مسؤولة المعرض: «هذه هي المرة الأولى التي يقام فيها معرض بهذه السعة في إسبانيا حول الفن العربي عامة، وليس حول الأندلس فقط، وأظن أنه من الخطأ تحديد مثل هذه المعارض بدولة معينة؛ وذلك لسببين:

الأول أنه إبان ازدهار الحضارة العربية لم تكن هناك دولة باسم إسبانيا، والثاني هو أنه من المستحيل فهم الفن الأندلسي دون دراسة الفن العربي عامة».

وقد جمعت القطع الفنية من أشهر المتاحف العالمية: كاللوفر، ومعهد العالم العربي في باريس، والمتحف الإسلامي في برلين، ومتحف بيناكي في أثينا، والمتحف الأركيولوجي في مدريد، ومتحف الحمراء في غرناطة.

رحيل غايته



من مؤلفات غايته

عن عمر ناهز الرابعة والسبعين توفيت الكاتبة الإسبانية كارمن مارتن غايتـه في أواخر شهر أغسطس الفائت بعد إصابتها بالسرطان، وقد جاءت وفاتها بعد أربعة أيام من وفاة صديقها الشاعر الإسباني خوزيه انخيل فالينته (الذي حصلت وإياه على جائزة أمير إستورياس مناصفة عام ١٩٨٨م).

علّق ميغيل ديلبز على وفاة زميلته غايته - التي تُعد أحد الرموز المهمة لجيل الخمسينيات - بالقول: «لم تكن كارمن كاتبة كبيرة فقط لمجموعة الخمسينيات، إنما شخصية رائعة. موتها يترك فراغاً من الصعب تعويضه».

وقد تميزت (غايته) على المستوى المحلي الإسباني بكثرة الإنتاج الإبداعي، واكتسبت شهرتها مع روايتها «بانتظار ما سيأتي»، ولها رواية قصيرة عنوانها «المنتجع» على أسلوب كافكا، ورواية «خلف الستائر»، ورواية «إيقاع بطيء». وتحولت غايته إلى نجمة وصوت معبر عن الأدب النسوي بعد أن وصلت مبيعات كتبها إلى أرقام مرتفعة، وعلى الأخص كتاب «تطبيقات في الحب لإسبانيا القرن التاسع عشر»، وكتاب «تطبيقات في الحب لإسبانيا ما بعد الحرب».

وحصلت الكاتبة الراحلة على جوائز عدة - بالإضافة إلى جائزة أمير إستورياس - وهي: جائزة نادال عام ١٩٥٧م، وهي الإسبانية الوحيدة التي حصلت على الجائزة الوطنية للأدب مرتين في عامي ١٩٧٨م و١٩٩٤م.

عراقيون في «بانيبال»

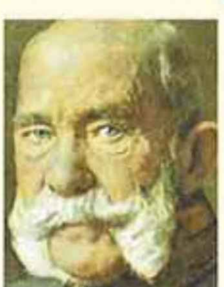
صدر العدد الثامن من فصلية «بانيبال» التي تصدرها من لندن مارغريت أوبانك، وتعنى بترجمة الأدب العربي الحديث إلى الإنجليزية.


إيتل عدنان

قدم العدد محوراً عن «عشرة شعراء عراقيين» هم: سركون بولص، وصادق الصايغ، وصلاح نيازي، وآمال جبوري، وعدنان محسن، وعبدالكريم الجنابي، ودليلة رياض، وهاشم شفيق، ومنعم الفقير، وفضل سلطاني. كما قدم محوراً ثانياً عن الروائي والشاعر المغربي طاهر بن جلون، شارك فيه: الكاتب الفرنسي جان ماري لكليزيو، وستيفان ويدنر، وجيمس كيركاب، ومارغريت فارنيس، والمعطي قبّال، وقدمت مي غصوب قراءة لرواية ابن جلون «هارودا»، ثم تناولت منى زكي روايته «الفساد».

وكتب محمود درويش مقالة بعنوان «ترجمة الشعر»، وتضمن العدد عدداً من القصائد المترجمة لشاعرات عربيات: من ذلك قصيدتان للشاعرة اللبنانية صباح زوين، وثلاث قصائد للرسامة والشاعرة إيتل عدنان، واثنتا عشرة قصيدة لهدى عبلان مترجمة من ديوانها «محاولة لتذكّر ما حدث». وترجم العدد مقطعاً من رواية «دنيا زاد» لمي تلمساني.

ملك القدس


فرانتس جوزيف

شهدت العاصمتان النمساوية فيينا والألمانية برلين في سبتمبر/ أيلول الماضي المعرض التاريخي الفني «ملك القدس» الذي أخذ اسمه من أحد ألقاب إمبراطور النمسا والمجر فرانتس جوزيف، وتتعلق معروضاته بالزيارة التي قام بها إلى الأراضي المقدسة عام ١٨٦٩م، بدعوة من الحكومة العثمانية، إضافة إلى مجموعة من الوثائق والمستندات والرسائل المتبادلة بين الحكومة العثمانية وإمبراطور النمسا.

من تلك الصور المعروضة: صور الشخصيات العربية التي استقبلت إمبراطور النمسا، وصورة البوابة الأثرية التي أمر الخليفة العثماني بإغلاقها نهائياً وسدها بجدار حجري، بحيث لا يعبرها أحد بعد الإمبراطور النمساوي تكريماً له.

وأضيفت إلى صور هذه الزيارة، مجموعة الصور التي التقطها لأرجاء فلسطين الأمير رودولف ابن إمبراطور النمسا عام ١٨٩١م.

ومن أهم الوثائق والرسائل المعروضة: موافقة «الباب العالي» على افتتاح دار للضيافة في مدينة القدس؛ لاستقبال الحجاج النمساويين والألمان الذين كانوا يقصدون زيارة الأماكن المقدسة المسيحية هناك، ويعود تاريخ هذه الوثيقة إلى عام ١٨٦٣م، وصور منسوخة عن الوثائق المتعلقة بإنشاء قنصليات نمساوية/ جرمانية في حيفا وعكا، ووثيقة تتعلق بالموافقة العثمانية لحكومة فيينا بتطوير نظام نقل البريد في فلسطين، والموافقة العثمانية على الترخيص لشركة الملاحة النمساوية «لويد» بافتتاح خط ملاحي لسفنها التجارية يصل إلى ميناء حيفا.

كما خصص في المعرض قسم لعرض الوثائق المتعلقة بالمعارك التي وقعت في فلسطين وسورية، بين القوات البريطانية من جهة، والألمان والنمساويين والعثمانيين من جهة أخرى.

دليل المتاحف السعودية

قامت إدارة المتاحف والآثار السعودية بإعداد أول دليل شامل عن المتاحف في المملكة العربية السعودية التي يبلغ عددها ١٣ متحفًا محليًا وإقليميًا، بالإضافة إلى المتحف الوطني في مركز الملك عبدالعزيز التاريخي بالرياض.

ويشتمل الدليل على معلومات وتفاصيل عن جميع المتاحف السعودية وتقنياتها، ومواقعها، ونبذة من نشأة كل متحف ومراحل تطوره. قام بإعداد هذا الدليل نخبة من المتخصصين والعاملين في قطاع الآثار والمتاحف.

بقايا «مقولة» تحت الرمال

تمكن فريق آثار يمني مكوّن من اختصاصيين من الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات وجامعة صنعاء من الكشف عن مدينة كاملة بالقرب من صنعاء، كانت مقر الشخصيات والأعيان من الدولة السبئية والحميرية التي يعود تاريخها إلى القرن الميلادي الأول، وتعرف هذه المدينة باسم «مقولة» وهي تعني المدينة التي كانت مقرًا للأقيال أو الأقوال، وهم كبار القوم والأعيان في دولة سبأ وحمير، وكان فريق العمل الذي بدأ عمله في عام ١٩٩٧م قد تمكن من الكشف عن مجموعة من اللقى والمخلفات الأثرية التي تعد بقايا قصور ومعابد ومبانٍ سكنية ومنشآت ري ومقابر، إضافة إلى مجموعة من الجرار الفخارية التي يعتقد أنها كانت مخصصة لحفظ الطعام، إلى جانب مجموعة من النقوش السبئية.

وتشير الدراسات الأولية إلى أن مدينة «مقولة» تابعة لمنطقة «مخلاف» مقر أقيال ذي جره الذي وصل بعضهم إلى سدة الحكم في مأرب، ويضم المخلاف عدداً من المدن التاريخية وأبرزها السريين، لغض، سيان غيمان، ومقولة.

ويسعى هذا الفريق عبر دراسة هذا الموقع الجديد إلى تحقيق دراسة تاريخية أثرية عن منطقة «مقولة» التي ورد ذكرها في المصادر والنقوش السبئية القديمة، وتوثيق اللقى الأثرية لإقامة متحف عملي يضم هذه الآثار التي تعكس تاريخ المنطقة ودورها الحضاري القديم.

رحيل إيليا حاوي


إيليا حاوي

توفي في السابع والعشرين من أغسطس/ آب الماضي الكاتب والناقد اللبناني إيليا حاوي عن عمر يناهز ٧١ عاماً، وذلك في قريته «الشوير» إثر وعكة قلبية مفاجئة، فلحق إيليا بأخيه الشاعر خليل حاوي المنتحر منذ ١٨ عاماً؛ بعد أن أقام حفلاً تكريمياً لذكرى خليل في مسقط رأسيهما «ظهور الشوير». وقد تميز الأخوان خليل في الشعر، وإيليا في النقد والدراسات الأدبية، وعرف إيليا بكثرة التأليف، وكان أستاذًا في الجامعة اللبنانية طوال ٣١ عاماً أمضاها في مسيرة التعليم، وكان لكتبه رواج في الأوساط النقدية والفنية، وتم تدريس بعضها في المدارس والجامعات.

الغذامي ورزق الله: وجهان للثقافة العربية

ينظم مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في إطار مشاركته في الاحتفال باختيار الرياض عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م محاضرات في مجالات مختلفة. ففي مساء ١٣ جمادى الآخرة الماضي (١١ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٠م) شهدت قاعة المحاضرات في

المركز حضوراً مكثفًا من جمهور المثقفين؛ إذ ألقى الدكتور عبدالله بن محمد الغذامي محاضرة بعنوان «النقد الثقافي: النظرية ووجوه تطبيقاتها».

عبدالله الغذامي

وعرّف الدكتور سلطان القحطاني مدير المحاضرة - بإيجاز - بالدكتور عبدالله الغذامي، الذي قدم محاضرته كتلخيص لكتابه «النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية»، مشيراً إلى أن الناشر حذف من العنوان عبارة «مقدمة نظرية». وصرح أنه انتقل في هذا الكتاب (والمحاضرة أيضاً) من النقد الأدبي الى النقد الثقافي بعد أن وجده أكثر جدوى والتصاقًا بالهم العام بدلاً من خطاب لا يهم إلا النخبة؛ وفي رأيه أننا في زمان أصبح فيه الغناء أكثر تأثيراً من قصائد أدونيس!

وقد بدأ الغذامي محاضرته بمقدمة نظرية عن النسق الثقافي، ومفهومه له، اتبعها بهجوم على الآثار السلبية للشعر، الذي شبهه بالشحم الذي كان يعد لذيذًا، ولكنه الآن مصدر كثير من الأمراض والعلل، والشعر مضر مثله بالسلوك العام والخطاب الحياتي بشموله؛ إذا ظللنا لا ننظر إلى آثاره السلبية التي من أهمها انفصام القول عن الفعل، وما لم ننتبه إلى ذلك فسنصاب بـ «العمى الثقافي». وأشار الغذامي إلى أن الاكتفاء بجمال الشعر وبلاغته، والغفلة عن التأثير السلبي له المتمثل في نقل المفاهيم الخاطئة إلى السلوك والحياة العامة؛ يساهمان في خلق «العمى الثقافي»، مؤكداً أن من ينظر إلى بعض شعرائنا - متجاوزًا المستوى الفني لشعرهم - فإنه سيخرج بمعطيات منها: أن المتنبي كذاب عظيم ومتسول كبير، وأبو تمام مثال واضح على الرجعية، وأدونيس دعي متبدد، ونزار قباني متضخم الأنا مستشهداً بمطالبته باعتقال نقاد الشعر.

وخلص الغذامي إلى أن العلة في النسق الثقافي تتحدد في أربعة أسباب هي:

أ - شعرنة الذات: إذ أصبحنا نتعامل كما لو كان العالم كله قصيدة.

ب - شعرنة القيم: فقد تحولت القيم إلى قيم شعرية مجازية، وأصبحت البلاغة تلعب بنا لعبة خطيرة تجعلنا نتغافل عن الواقع.



مهدي رزق الله

جـ - شعرنة الرؤية: إذ نرى كل شيء عبر هذا الأسلوب الشعري.

د - اختراع الفحل: فلكي يكون الواحد منا قويًا فلابد أن يُخضع الآخرين.

وتفاعل الجمهور مع المحاضر بمداخلاتهم، ومن الذين شاركوا فيها الدكتور منصور الحازمي، والدكتور عزت خطاب، والأساتذة: محمد الأسمري، ومحمد العثيم، وعبدالعزيز الوهيبي؛ فتساءل الحازمي «لماذا هذه الحملة ضد شعر المديح، ولماذا التركيز عليه؛ والشعر ليس كله مديحاً». ونبه خطاب إلى أن شعر المديح موجود في الأدب الإنجليزي بحثًا عن المناصب مثلاً.

ومن ردود الغذامي على المداخلات أن شعر المديح هو الذي أثر بفعالية في الانفصام الحياتي، وأن علينا أن نكون شجعانًا في مواجهة عيوب ثقافتنا.. أما وجود هذه العيوب في شعر الأمم الأخرى فهذا طبيعي، ولكن الخطير أنها لم تنتقل لديهم إلى السلوك والحياة العامة والخطابات الأخرى.

وامتد هذا التأثير لشعر المديح - في رأي الغذامي - إلى الخطاب الإعلامي الذي يقوم على التضخيم والتطبيل، وضرب مثالاً على ذلك بفترة الخمسينيات والستينيات، مؤكداً استمرارية هذا الخطاب المضلل، وعدّ الرئيس العراقي صدام حسين نموذجًا لهذا الخطاب، ولمفهوم الفحولة.

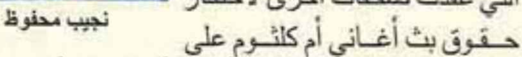
وفي محاضرة بعنوان «المؤثرات الثقافية العربية في إفريقية» نظمها أيضًا مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية مساء ٢٠ جمادى الآخرة الماضي (١٨ سبتمبر/ أيلول)، استهل المحاضر الدكتور مهدي رزق الله حديثه بتأكيد أن أثر الثقافة العربية الإسلامية في إفريقية كان - ولا يزال - عميقًا؛ لأنها حملت في طياتها كثيراً من عناصر القوة، ثم تناول ببعض التفصيل جوانب من هذه المؤثرات في شرق إفريقية وغربها، وفي مصر والسودان والمغرب العربي، محدداً الهجرات العربية الأولى إلى هذه المناطق، والعلاقات التجارية التي كانت بينها وبين الجزيرة العربية، والتأثير العميق لذلك في اللغة والدين والعادات والتقاليد، ومبينًا الممالك الإسلامية الأولى التي قامت فيها.

وقد أشار المحاضر إلى دور المملكة العربية السعودية في الارتفاع بمستوى المسلمين في إفريقية.

وشارك في المداخلات كل من الدكتور عز الدين عمر موسى أستاذ التاريخ الإسلامي، والأستاذ هزاع الشمري، وأجاب الدكتور مهدي عن أسئلة جمهور الحضور، وأدار هذه المحاضرة د. راشد بن عبدالعزيز العبيدي.

روايات محفوظ على الإنترنت

اتفق الروائي نجيب محفوظ الحائز على جائزة نوبل للآداب مع الناشر إبراهيم المعلم على بيع حقوق نشر رواياته على شبكة الإنترنت، وتلقى محفوظ شيكًا بقيمة مليون جنيه من المعلم الذي يمثل شركة «هيرمس» التي عقدت صفقات أخرى لاحتكار حقوق بث أغاني أم كلثوم على شبكة الإنترنت، بالإضافة إلى أعمال أدبية وفنية أخرى.



نجيب محفوظ

وعلق المجمع الثقافي في أبو ظبي أنه كان قد اتفق مع محفوظ في ٣ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٩٩م على شراء حقوق نشر رواياته بمبلغ حدده محفوظ وناشره صلاح السحار، ووافق عليه الأمين العام للمجمع الثقافي محمد أحمد السويدي. وقد علق السويدي ـ بعد تأكده من حصول محفوظ على المليون ـ بالقول: «أنا الآن أكثر سعادة لتنازلي عن العقد بما يحقق المصلحة لكاتبنا الكبير الذي نحبه ونحترم دوره الريادي، وحين يتعلق الأمر بشأن ثقافي نعتمد قاعدة: دع مئة زهرة تتفتح».

مهرجان المتوسط

اختتم في مدينة كونفرسانو (جنوب إيطاليا) ـ مطلع سبتمبر/ أيلول الماضي ـ «مهرجان البحر الأبيض المتوسط» المتنقل، الذي انطلقت فعالياته من مدينة بيشيليه في مقاطعة بوليا، ويهدف هذا المهرجان إلى تدعيم التعايش والسلام بين شعوب البحر المتوسط، والوقوف مع قضايا العرب المصيرية.

وقد شاركت في المهرجان فرق فنية ومسرحية وشعراء وتشكيليون من: إيطاليا، ويوغسلافيا، وفرنسا، والصين، واليونان، وسوريا، والأردن، وفلسطين، والعراق، ومصر، والإمارات العربية المتحدة، والمغرب، ولبنان، والكويت، والجزائر، واليمن، ومنع القائمون على المهرجان إسرائيل من المشاركة؛ لمواقفها المعادية للسلام.

ومن أطرف ما يذكر حول المهرجان ختامه بفقرات فنية منها أغنية «نمشي» باللغة العربية؛ التي كتب كلماتها المخرج الإيطالي جينو لوكا بوتو مدير المهرجان، وقدمتها فرقة (إيتنو درامز) الإيطالية.

مسرح القصبة من القدس إلى رام الله

تم افتتاح مسرح وسينماتيك القصبة في مدينة رام الله في الثاني من سبتمبر/ أيلول الماضي، بعد مرور ثلاثين عامًا على تأسيس مسرح القصبة في القدس. وأعلن عن إنشاء «مجلس القصبة الاستشاري» الذي ضم اثنين وعشرين مثقفًا، في مقدمتهم الشاعر محمود درويش وإبراهيم أبو لغد.

إلياس خوري

وقد كان عرض يوم الافتتاح من نصيب مسرحية «باب الشمس» للروائي اللبناني إلياس خوري، التي تحكي عذابات وآلام الشعب الفلسطيني في الجليل منذ تهجيرهم عام ١٩٤٨م إلى المخيمات اللبنانية.

مؤتمر قومي عن الترجمة



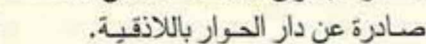
رفاعة الطهطاوي

نظمت كلية الألسن بجامعة عين شمس المصرية مؤتمرًا للترجمة تحت عنوان «الترجمة: الماضي، الحاضر، المستقبل» في الفترة من ٢٥ إلى ٢٦ سبتمبر/ أيلول الماضي. ويعد هذا المؤتمر الأول من نوعه الذي تنظمه كلية الألسن ضمن فعاليات احتفال جامعة عين شمس هذا العام بيوبيلها الذهبي. وقد شارك في المؤتمر عدد من أساتذة الجامعات العربية والأجنبية، وممثلون عن الجمعيات العلمية المهتمة بالترجمة: كجمعية لسان العرب، وقطاع الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة بمصر.

وناقش المؤتمر أربعة محاور رئيسة هي: «الترجمة حتى

مدرسة رفاعة الطهطاوي»، و«الأبعاد المختلفة لمدرسة رفاعة الطهطاوي في الترجمة»، و«واقع الترجمة بين العربية واللغات الأخرى»، و«الترجمة والمستقبل»، كما ناقش المؤتمر تحديات الترجمة في العصر الحديث، وعمليات السطو المستمرة من قبل إسرائيل على التراث والإبداع العربيين، وصدر في نهاية المؤتمر توصيات المؤتمرين لرفعها إلى المؤسسات العلمية في العالم العربي.

تشكيك في أعمال حنا مينه



حنا مينه

شكك الناقد السوري صلاح صالح الأستاذ الجامعي في فن الرواية بجامعة الكويت في أعمال الروائي حنا مينه، واتهمه بأنه استولى على قصص الآخرين - على حد قوله -، وجاء هذا الاتهام في دراسة نقدية مقارنة بعنوان «ممكنات النص» صادرة عن دار الحوار باللاذقية.

فقد نسب ثلاثية حنا مينه «حكاية بحار» الصادرة في عام ١٩٨١م إلى قصة سوفييتية صدرت في عام ١٩٦٦م عن دار التقدم بموسكو بعنوان «الطريق إلى المرسى» لمؤلفها الروسي فيكتور كوينتسكي.

ويتوقع أن يثير هذا الكتاب ضجة كبيرة في الأوساط الثقافية حال توزيعه؛ إذ أشارت الدراسة إلى ٥٣ فقرة تثبت التشابه بين العملين إلى حد التطابق ويقول الناقد: «إن الاستيلاء يتجاوز الموضوع والحبكة والأطروحات الكبرى في القصة، إلى قضايا البناء التقني للثلاثية الروائية بكاملها»، إلا أنه حاول أن يبحث لحنا مينه عن مسوّغ واعتذار، فافترض أن مينه اطلع على الرواية الروسية في فترة سبقت كتابة الثلاثية بعشرين عاماً، وافترض أيضاً أن تكوين مينه الثقافي والأيديولوجي جعله يبني عوالم مماثلة لتلك التي بناها المؤلف الروسي، ونسي معظم تفاصيلها. وخلص إلى أن «استيلاء تجربة قصصية على تجربة قصصية أخرى لا يأتي في إطار النقل الحرفي، وإنما يأتي عبر طرائق بناء العمل والشخصيات والأطروحات النظرية وبناء الزمان والأمكنة» ثم يستدرك بقوله: «لو صحت فرضية أن مينه لم يطلع إطلاقاً على تلك القصة، فقد كان لزاماً عليه أن يطلع عليها لتجنب تكرار ما كتبه الآخرون».

الصحافة العربية في المهجر

بمناسبة اختيار الرياض عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٠م، تقيم مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض يوم الأحد ١٨ رجب الحالي ندوة عن «الصحافة العربية في المهجر» تقصد إلى إلقاء الضوء على الأسباب والدوافع التي وراء نشأة الصحافة العربية في المهجر، وأهميتها من المنظور السياسي والاقتصادي، وإسهامها في تطوير الثقافة العربية في المهجر، وتوضيح العلاقة الجدلية بينها وبين الأدب العربي المهجري. ويقام على هامش الندوة معرض متخصص لنماذج من الصحف والمجلات المهجرية منذ عام ١٨٠٠م، كما يوزع دليل حصري وتاريخي للصحافة العربية في بلاد المهجر، ويتضمن هذا الدليل دراسة تاريخية وإحصائية عن صحافة المهجر منذ عام ١٨٦٠م إلى ١٩٧٠م، وقائمة حصرية بجميع الصحف العربية التي صدرت في المهجر، مع تقديم معلومات عن: بداية صدور كل مجلة، وتاريخ توقفها، واسم رئيس التحرير، وعداد ما صدر منها، وأبرز ما يميزها. كما يتضمن الدليل أبرز أدباء المهجر، ومعلومات عن كل واحد منهم.

ومن جهة أخرى، بدأت المكتبة بمشروع إصدار كتاب توثيقي للشخصيات العربية التي عملت في المملكة، وشاركت في بدايات النهضة الحضارية والثقافية.

مؤتمر عربي - ألماني للشعر

نظمت وزارة الثقافة والسياحة اليمنية بالتعاون مع معهد جوته الألماني في العاصمة صنعاء، مؤتمراً للشعر العربي - الألماني في الفترة من ٩ إلى ١٣ سبتمبر/ أيلول الماضي. شارك فيه أكثر من ١٥٠ شاعراً عربياً وأوربياً و ١٥ شاعراً يمنياً بينهم أربع شاعرات.

وتضمن برنامج المؤتمر قراءات شعرية وحلقات نقدية ناقشت موضوعات عن «الأنا والآخر»، و«علاقة التواصل بين الثقافة العربية والألمانية»، و«القاسم المشترك بين الحساسية الشعرية في اللغتين العربية والألمانية»، و«دور الشعر في القرن الحادي والعشرين».

وأقيم على هامش المؤتمر معرض للفن التشكيلي اليمني، وآخر للكتاب اليمني في مجال الشعر.

وشاركت في تغطية وقائع المؤتمر كبريات المحطات التلفازية والإذاعية والصحف الأوروبية.

رحيل محمد الحمري

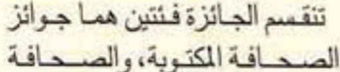
توفي الفنان التشكيلي المغربي محمد الحمري عن عمر يناهز الثامنة والستين، بمستشفى «القصر الكبير» شمال الرباط على أثر مرض أقعده أكثر من سنتين.

استوحى الفنان الراحل كثيراً من موضوعات لوحاته التي تميزت بالخصوصيات المغربية، من ملهمتيه «مدينة طنجة» مسقط رأسه، و«منطقة جبالة».

وكانت أعماله تعرض في أشهر الأروقة العالمية، وقد وجدت إقبالاً على الشراء من عاشقي الفن التشكيلي.

جوائز للصحافة المكتوبة والمرئية

ينظم نادي دبي للصحافة هذا العام جائزة للصحافة العربية هي الأولى من نوعها على مستوى العالم العربي، وقد حظيت باهتمام واسع من العاملين في مختلف الوسائل الإعلامية في العالم العربي.



شعار الجائزة

تنقسم الجائزة فئتين هما جوائز الصحافة المكتوبة، والصحافة المرئية، وتتوزع جوائز الصحافة المكتوبة على فئتين: الأولى جائزة شخصية العام الإعلامية، والثانية جائزة أفضل الأعمال والتغطيات. وتضم جائزة الصحافة السياسية لأفضل المقالات والتحليلات التي نشرت خلال هذا العام ٢٠٠٠م، وجائزة الصحافة الاقتصادية، وجائزة الصحافة الثقافية، وجائزة لأفضل التحقيقات الصحفية، وصحافة العلوم والتكنولوجيا، وجائزة لأفضل عمود صحفي، وجائزة الرسم الكاريكاتيري، وجائزة أفضل صورة صحفية، وجائزة الصحافة الرياضية.

بينما تنقسم جائزة الصحافة المرئية فئتين رئيستين: الأولى شخصية العام، والثانية جوائز لأفضل الأعمال والتغطيات الاقتصادية، والرياضية، وأفضل سبق إخباري، وأفضل عمل وثائقي.

موقع القادسية

بعد بحث استمر أكثر من ثلاث سنوات تمكن الباحث العراقي الدكتور جواد مطر الحمد أستاذ التاريخ بجامعة القادسية، من تحديد الموقع الذي حدثت فيه معركة القادسية بين المسلمين والفرس سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م.

وقد اعتمد الباحث على مسح جغرافي للمنطقة، ومصادر تاريخية قديمة، وبحث ميداني مطول؛ كانت نتيجته أن القادسية محصورة بين: بحر النجف (الجوف)، ونهر الهاشمي المسمى سابقًا بالعتيق، وهور الطوق (الغيوض)، وخان الرحبة (الرحبة). وأن مدينة القادسية كانت قبل الإسلام ضمن مدن دولة المناذرة، وتبعد عن الكوفة ١٥ ميلاً عربياً (٣٠كم)؛ وينطبق هذا الوصف على تلول الهاشمي.

وقال الباحث: إن الخليفة عمر بن الخطاب طلب من سعد بن أبي وقاص السيطرة على الطريق التجاري الذي يربط الرحبة بالعذيب التي تبعد عن القادسية ٦ أميال عربية (١٢كم)، ويوجد أيضاً موقع مسلح للفرس يبعد عن الكوفة ٢١ ميلاً عربياً (٤٢كم)؛ وبطرح هذه المسافة من العذيب إلى القادسية (٤٢ – ١٢) يتبقى ٣٠كم (١٥ ميلاً عربياً)؛ وهو يتطابق مع ما توصل إليه الحمد في بحثه.

وأوصى الباحث بقيام دائرة الآثار والتراث العراقية بالتنقيب عن الموقع، وإحاطته بسور، وإطلاق اسم ناصية القادسية على تلول الهاشمي، والحيرة على موقع الكنيدرة لكونها غير المنطقة الحالية.

سارتر طالب بقيمة جائزة نوبل



سارتر

ذكر لارس غلينستن العضو السابق في أكاديمية نوبل السويدية المشهورة في مذكرات نشرت له مؤخراً أن الفيلسوف والكاتب الفرنسي جان بول سارتر، قد طالب عام ١٩٧٥م بالقيمة المالية لجائزة نوبل للآداب التي فاز بها عام ١٩٦٤م، والتي رفضها آنذاك من غير إبداء الأسباب، وقد رفضت أكاديمية نوبل وقتها طلب سارتر؛ بحجة أن قيمة جائزته قد وضعت في صندوق مؤسسة نوبل.

محاضرة ومتحف

ضمن الأنشطة التي ينظمها النادي الأدبي بمنطقة الباحة احتفاءً باختيار الرياض عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠٠م، ألقى الدكتور سعد الراشد وكيل وزارة المعارف للآثار والمتاحف محاضرة بعنوان «الآثار في المملكة العربية

السعودية: حاضرها ومستقبلها» تحدث فيها عن دور الرياض التاريخي والثقافي، وكونها المنطلق للمؤسس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله، وتناول حاضر الآثار في المملكة ومستقبلها مبيناً دور الآثار بوصفها مصدراً للثقافة والعلم والمعرفة، وثروة وطنية مهمة، وأشار إلى إدراك المملكة لأهمية الآثار، الذي تجسد في صدور الأمر الملكي بإيجاد دائرة للآثار ترتبط بوزارة المعارف، وما تلا ذلك من قرارات ترمي إلى حماية الآثار والعناية بالاكتشافات الأثرية، ثم جاء إنشاء مركز الملك عبدالعزيز التاريخي ممثلاً هذا الاهتمام الكبير الذي توليه الدولة للآثار.

وتحدث الراشد في محاضرته عن عدد من المواقع الأثرية التي يعود تاريخها إلى ملايين السنين مثل الشويحطية في منطقة الجوف، وبعض المواقع التي تعود إلى العصور الحجرية، وأكد أن وكالة الآثار والمتاحف قد رصدت ٤٠٠٠ موقع أثري في جميع مناطق المملكة، وأهمها: آثار الدرعية، والعلا، ومدائن صالح، وخيبر، وتيماء، والبدع، وقرية الجوف، والظهران، وثاج، ونجران، ومواقع متفرقة في الرياض والقصيم والباحة.

وأشار الراشد إلى ما قامت به وزارة المعارف من جهود في عمل حفريات أثرية في موقعي «الفاو» و«الربذة»؛ فكان لها المردود العلمي المتقدم في تدريب الطلاب والنهوض بالبحث العلمي والدراسات العليا. كما قامت بترميم عدد من المباني الأثرية كقصر (شبرا)، وقصر (خزام)، وقصر (المصمك).

مشروع لإدارة الوثائق العربية

نظمت شركة «مايكروسوفت» التي تمد الحاسوب بالبيئة التحتية لأنظمة التشغيل والتطبيقات الأساسية، وشركة «صخر» التي تُعد من أكبر البرمجيات في العالم العربي بالتعاون مع شركة «نت ويركس فالي» في مصر مجموعة من اللقاءات والعروض؛ بهدف تقديم نظام صخر إلى إدارة الوثائق العربية «عرب دوكس» الذي يتيح للمستخدمين بالمؤسسات الكبرى والجهات الحكومية التعامل مع مختلف الوثائق العربية، وإجراء العمليات المختلفة عليها، وتوفير التواصل والتعاون بين أقسام المؤسسة أو الجهة الحكومية بطريقة فعالة.

كما يلبي الحاجة الملحة التي تواجهها المؤسسات العربية المعتمدة على الأنظمة اللاتينية في إدارة وثائقها، ويتجاوز ما يشوب ذلك من المشكلات، لما للغة العربية من طبيعة مختلفة عن اللغة اللاتينية التي كُتبت بها الأنظمة الغربية، وعدم استطاعة التقنيات اللاتينية التعامل مع اللغة العربية مهما كان تطورها.

يتكون «عرب دوكس» من نظامين هما: «آلية جمع المعلومات»، و«إيداع المعلومات واسترجاعها».

وتعتمد آلية جمع المعلومات نظام الشبكات Windows NT وتقوم بعملية المسح الضوئي لكمية المعلومات والوثائق والمستندات، وتشتمل هذه الآلية على خطوات مثل: المسح الضوئي للمستندات والوثائق بشكل مؤقت، واستخلاص النصوص من الصور عن طريق القارئ الآلي، وعملية الفهرسة، وعملية الاستخلاص الآلي للكلمات المحورية إضافة إلى التلخيص.

بينما يتميز نظام إيداع المعلومات واسترجاعها بإمكانات فائقة، كإدارة الوثائق وفئاتها، وإدارة حافظات المستندات الرئيسة والفرعية، وإدارة نظم الحماية المتقدمة التي تعتمد على قوائم حق الدخول في شبكات NTACL.

الهوية والتعدد في «الحمامات»



أحد بيوت مدينة الحمامات

شهدت مدينة «الحمامات» التونسية في سبتمبر/ أيلول الماضي أعمال الندوة الفكرية الدولية حول «الهوية والتعدد»، بمشاركة باحثين وأساتذة جامعيين، ومديري مؤسسات ثقافية، ومفكرين عرب وأجانب. وناقشت الندوة التي نظمها كرسي اليونسكو للفلسفة بجامعة تونس بالتعاون مع عدة جهات تونسية وفرنسية سبعة محاور هي: «الهوية.. اليوم»، و«الهوية كموضوع بحث ومعرفة»، و«الهوية والاتصال»، و«الهوية والمدينة»، و«الهوية والثقافات»، و«الهوية والجسد»، و«الهوية والألعاب والترفيه».

ارتفاع قيمة نوبل

أعلنت لجنة جائزة نوبل العالمية أنها رفعت القيمة المادية لجوائزها من ثمانية ملايين إلى تسعة ملايين كرونة سويدية هذا العام، وذلك ضمن استعداداتها الجارية حاليًا لإعلان أسماء الفائزين بالجائزة في عدد من المجالات.



ألفرد نوبل

وذكرت اللجنة أنه سيتم في التاسع من شهر أكتوبر/ تشرين الأول الجاري الإعلان عن الفائزين بجائزة نوبل في الطب، ويتم الإعلان في اليوم التالي عن الفائز بجائزة نوبل للفيزياء، ثم يليه الإعلان عن الفائز في قطاع الاقتصاد، بينما لم يُحدد بعد موعد الإعلان عن الفائز بجائزة الآداب. ويتوقع أن تُعلن جائزة نوبل للسلام في الثالث عشر من الشهر الحالي.

مؤلف شرلوك هولمز قاتل

اتهمَ الكاتب رودجر جاريك ستيل مؤلف كتاب «منزل أسرة بسكارفيل» الصادر حديثًا، السير أرثر كونان دويل مؤلف شخصية شرلوك هولمز المخبر السري الشهير بارتكابه جريمة قتل صديقه برترام فليتشر روبنسون، بعدما سرق منه فكرة روايته «مغامرة في دارتمور»، ووظفها دويل في واحدة من أشهر رواياته وهي رواية «مطاردة أسرة بسكارفيل». وارتكب دويل جريمته - حسب ستيل - بوضع السم لصديقه، بمساعدة زوجة هذا الصديق التي كان دويل على علاقة بها.



شارلوك هولمز

وأضاف جاريك في كتابه أن تفاصيل قصة المطاردة التي أتت على أفراد الأسرة نقلت عن مخطوط رواية «مغامرة في دارتمور»، التي كتبها روبنسون قبل عام من صدور رواية دويل، كما استعار دويل اسم هاري بسكارفيل حارس حديقة منزل صديقه روبنسون لعنوان روايته.

وخلص ستيل إلى هذه النتيجة استنادًا إلى تحقيق استمر إحدى عشرة سنة نقب خلاله في عشرات الرسائل والوصايا.

الحيوية الإفريقية في الأدب الفرنسي

كتبت مجلة «لير» (اقرأ) الشهرية المتخصصة: «إذا اتسم الموسم الأدبي الجديد ببعض الألوان؛ فإن ذلك راجع إلى كاتبين أجنبيين [وتعني المجلة الكاتب الجزائري بوعلام صنصال، وأحمد كوروما من ساحل العاج]، فقد أضفى الكاتبان شيئًا من الحيوية على الإنتاج الأدبي الفرنسي، الذي تطغى عليه أحيانًا الحميمية السائدة في المجتمع الفرنسي».

وبدأ بوعلام صنصال (٥١ سنة) مشواره الأدبي في سن متقدمة، ونشر أول عمل له في العام الماضي بعنوان «قسم الهمجيين» الذي يروي قصة مسجونين في معتقل لامبيز في منطقة الأوراس الجزائرية صدر في حقهما حكم الإعدام، وهما فرنسي وجزائري يرمزان إلى انعدام التفاهم بين البلدين.

يقول بوعلام - الذي تأثر باغتيال الرئيس الجزائري محمد بوضياف، ووفاة الكاتب رشيد ميموني - : لو لم تندلع الحرب لبقيتُ موظفًا مثاليًا يقوم بواجبه بتكتم. ويضيف «كان عليَّ أن أكتب عن تمردي أو أرحل لأبكيه في المنفى».

أما أحمد كوروما (٧٣ سنة)، فقد نشر أولى رواياته وعنوانها «شموس الاستقلال» وهو في الرابعة والأربعين من عمره، واشتهر في فرنسا عام ١٩٩٩م عندما أحرز جائزة «ليفر انتير» عن كتابه «في انتظار تصويت الحيوانات البرية» الذي انتقد فيه بسخرية الدكتاتوريات الإفريقية، ويروي الكتاب في لغة شديدة القسوة قصة إفريقي أسود صغير لا يتوقف عن الشتم باللغة المحلية، وقد جُند هذا الصبي للمشاركة في حرب قبلية في نيجيريا، تتخللها المجازر التي يتقلد فيها الأطفال دور الأبطال مرغمين، ويقول الصبي: «كان ممكنًا أن أكون صبيًا مثل غيري من الصبيان الأشقياء في العالم، لو ولدت في مكان آخر بعيدًا عن هذا البلد الإفريقي اللعين».

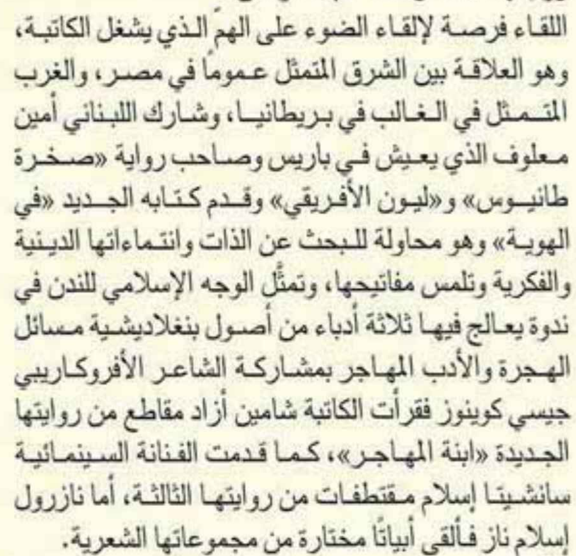
مهرجان «الكلمة» في لندن

افتتح في العاصمة البريطانية لندن، مهرجان خاص أُطلق عليه «الكلمة»، واستمرت أعمال دورته الثانية سبعة عشر يومًا بدءًا من السبت ٢٥ سبتمبر/ أيلول الماضي، وأقيمت الندوات والمحاضرات على مسرح «غلوب» الشكسبيري على ضفة نهر التيمز. وكان من أبرز المشاركين الأديب

الأمريكي آرثر ميللر، بينما تغيب عن المهرجان هارولد بنتر، ومارتن ايميس، ودوريس ليسنغ، وأ.إس. بايات، وبن أوكري.


أهداف سويف

وتمثلت المشاركة العربية في الروائية أهداف سويف المرشحة لجائزة بوكرز البريطانية؛ وذلك عن روايتها «خارطة الحب»، وكان



اللقاء فرصة لإلقاء الضوء على الهمّ الذي يشغل الكاتبة، وهو العلاقة بين الشرق المتمثل عموماً في مصر، والغرب المتمثل في الغالب في بريطانيا، وشارك اللبناني أمين معلوف الذي يعيش في باريس وصاحب رواية «صخرة طانيوس» و«ليون الأفريقي» وقدم كتابه الجديد «في الهوية» وهو محاولة للبحث عن الذات وانتماءاتها الدينية والفكرية وتلمس مفاتيحها، وتمثّل الوجه الإسلامي للندن في ندوة يعالج فيها ثلاثة أدباء من أصول بنغلاديشية مسائل الهجرة والأدب المهاجر بمشاركة الشاعر الأفروكاريبي جيسي كوينوز فقرأت الكاتبة شامين أزاد مقاطع من روايتها الجديدة «ابنة المهاجر»، كما قدمت الفنانة السينمائية سانشيتا إسلام مقتطفات من روايتها الثالثة، أما نازرول إسلام ناز فألقى أبياتاً مختارة من مجموعاتها الشعرية.

أما المشاركة البريطانية فجاءت في مناقشة نائب رئيس الوزراء في حكومة المحافظين السابق مايكل هيزلتاين حول مذكراته الصادرة مؤخراً في كتاب.

وعقدت ندوة للصحافي أندرو مورتون مؤلف كتاب «ديانا: قصتها الحقيقية»، وكان للأدب البريطاني حضور حيث حمل لواءه: جوليان بارنز، والروائي المسرحي مايكل فراين، والروائيتان بي دي جيمس، وجانيت ونترستون وآخرون مثل زادي سميث، وجنيف قريشي. ولعل أكثر الفعاليات البريطانية عالمية فقرتان: الأولى تجمع بين مقطوعة لهايدن في موسيقى الرباعية الوترية، والقصيدة التي نظمها شاعر البلاط آندرو موشين خصيصاً لترافقها، والثانية: مداخلة يعرض فيها ريتشارد آر مدير المسرح القومي السابق رأيه في مسرح القرن العشرين. وختم المهرجان بمحاورة مع الأديب أرثر ميللر عن حياته وكتاباته.

وتمثلت المشاركة الأمريكية في لقاء مع الأديبة الكندية مارغريت آتوود، ومحاضرة للروائي جاي ماكلنيرن عن مواطنيه من الأدباء الأمريكيين.

وكان هناك نصيب للترجمة فتعددت المحاور التي تناقش هذا الفن فتناولت إحدى الندوات النصوص الدينية، كما ناقش نقاد ومترجمون من عدة دول أوربية فكرة الأدب العالمي: الأسباب والجدوى والخصائص.

«جنيات لار» في باريس

أقام معهد العالم العربي في باريس بالتعاون مع مؤسسة المنصورية للثقافة والإبداع، حفلاً تكريمياً، قدمت فيه الكاتبتان السعوديتان رجاء عالم، وشقيقتها شادية كتابهما المشترك «جنيات لار»، وذلك لتوقيع نسخ الكتاب بحضور شخصيات فنية وأدبية.

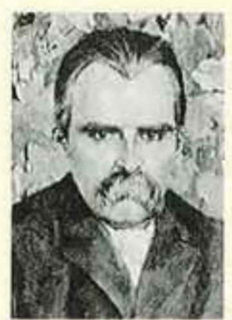
ولار نهر عظيم كان ينبع من نجران حسب أخبار بطليموس الجغرافي اليوناني، وتقول رجاء: «من القديم غاب النهر، وغيّب معه جنيات جزيرة العرب وحورياتها المعروفات بـ «جنيات لار».. وجاء في أخبار الجزيرة أن النهر سيبعث مخترقًا بلاد العرب، ماساً مفازة صيهد وربعها الخالي مساً رفيقًا مكملاً فورته باتجاه شمال شرق، ويصب في انفراج (مضيق) هرمز على خليج العرب»، ويحتوي الكتاب على اثنتي عشرة محفورة من مجموع إحدى وعشرين لوحة كانت رسمتها الفنانة شادية عالم، واللوحات منفذة بتقنية الشاشة الحريرية، وأضيف إليها تلوين وتذهيب يدوي، وجاءت مترافقة مع نصوص شعرية كتبتها رجاء عالم. وهو صادر عن مؤسسة المنصورية في باريس، وترجمته إلى اللغة الفرنسية الشاعرة اللبنانية إيتيل عدنان، وإلى الإنجليزية الشاعر العراقي سركون بولص. ولفخامة الكتاب وطبعته المحفوظة في علبة مقمشة، فقد ودعت إحدى النسخ في جناح الكتب النادرة في المكتبة الوطنية الفرنسية.

يذكر أن الشقيقتين عالم من مواليد مكة المكرمة، وهما عضوان في الجمعيات الفنية والأدبية في المملكة العربية السعودية، وخارجها، ونالتا جوائز كثيرة على إبداعهما.

١٠٠ عام على وفاة نيتشه

في ٢٥ أغسطس/ آب ١٩٠٠م مات الفيلسوف الألماني نيتشه في مدينة فايمار الألمانية التي تُحيي هذا العام ذكرى مرور ١٠٠ عام على وفاته، وفي هذه المدينة أيضاً مات

الأديب الألماني غوته قبل ٢٥٠ عاماً.

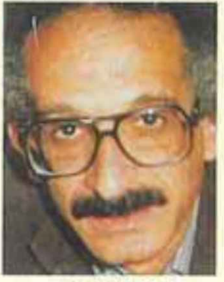

نيتشه

سبقت وفاة نيتشه عشر سنوات عصيبة أطلق عليها «أزمة تورين»؛ كان يخرج فيها الفيلسوف متجولاً في شوارع المدينة بمظهره المضطرب وأعصابه المتوترة، ولا يهدأ إلا عند سماع ضربات بيانو تصدح بواحدة من قطعه الموسيقية المحببة إليه.

وقد عُرف عن نيتشه أنه من أكثر الفلاسفة قرباً للأدب والفن، وقد تميز بثقافة فنية رفيعة، وهو القائل: «عليها أن تغني هذه الروح، وليس أن تتحدث!».

ومازال نيتشه - وبعد مرور مئة عام على وفاته - كاتباً معاصراً؛ إذ تجد كتبه إلى اليوم إقبالاً واضحاً، أو كما وصفه توماس مان - قبل ٥٠ عاماً - بقوله: «يظل النثر الذي كتبه نيتشه أفضل نثر كُتب باللغة الألمانية بعد مارتن لوثر»، كما كانت كتبه تتصدر قائمة الكتب الأكثر قراءة في زمانه؛ حتى عُدت من المراجع الأساسية للمثقفين الألمان.

في حوار عن «وردة»
صنع الله إبراهيم: هذه الرواية عمل فني وليست نصاً تسجيلياً


صنع الله إبراهيم

في حوار أجرته مجلة «الوسط» في عددها رقم ٤٥١ بتاريخ ١٨ - ٢٤ سبتمبر/ أيلول الماضي مع الروائي المصري صنع الله إبراهيم بمناسبة صدور روايته «وردة» عن دار المستقبل العربي، قال: إن هذه الرواية ليست مرثية طويلة لجيل آمن بالشعارات الثورية وأجهضت أحلامه، وإنما هي محاولة للفهم، واستخلاص دروس من تجارب كبيرة، وثورة «ظفار» العمانية التي تتناولها الرواية ليست إلا محاولة للتغيير، ثم يشير إلى أن الرواية ليست نصاً تاريخياً، ولا بحثاً تاريخياً اجتماعياً، وإنما هي عمل فني فيه قدر كبير من الخيال أو الكذب الفني.

وعن اعتماده على مادة وثائقية في هذا العمل وأعماله الأخرى، قال صنع الله: «إن القدرة على استخدام هذه المادة تنبع من أحداث حقيقية.. ولكن هذا الاستخدام وحده لا يصنع نصاً تسجيلياً بالمعنى البارد، لأن هناك دائماً تدخلاً فنياً يعيد تركيب هذه المادة وتوظيفها، وكل كلمة كتبتها مختارة بعناية شديدة، ولها وظيفة دلالية مهمة».

وحول ارتباط الرواية بأوضاع المرأة العربية، علق بأن الرواية «إدانة للوضع الحالي الذي تعيشه المرأة العربية، حيث تهدر إنسانيتها ككائن آدمي له عالمه الخاص ورغباته، ومشروعه المستقل.

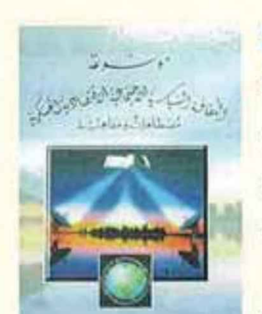
واستخدمت في هذه الإدانة مرجعية أو خلفية تنتمي إلى الخمسينيات والستينيات حين كان لدينا نموذج مختلف وإيجابي للمرأة العربية التي تشارك في الحياة، وتصنعها بل تدعو إلى تغييرها إلى الأفضل. وهذا النموذج كان ينتج قيماً أخلاقية جديدة أهدرت الآن في ظل انتكاسات وتراجعات عدة».

وتطرق الحوار إلى تقويم الرواية لمرحلة عبدالناصر، فأكد صنع الله أنه حاول قدر الإمكان أن يكون موضوعياً في تقويم ما حدث «فتجربة عبدالناصر كانت إحدى إجابات الاستقلال الوطني، ومدى قدرته على مواجهة التبعية، وفي الوقت نفسه تحمل في طياتها بذور العنصر الاستبدادي الذي يعطل الاستفادة الكاملة من ذلك المشروع الوطني الطموح»، وعندما جاء الحديث عن مرحلة العولمة، حمل على من أسماهم بجوقة المثقفين الذين يدعوننا إلى التصالح مع الغرب من دون الاستفادة من تاريخنا «المرير» معه. معلقاً على ترحيب السفير البريطاني بقرار محافظ مدينة الإسماعيلية بإلغاء الاحتفالات بانتصار شعب الإسماعيلية على القائد الإنجليزي اللنبي، ومستغرباً أن يؤيد وجهة نظره الدكتور مصطفى الفقي مساعد وزير الخارجية المصري. وكان صنع الله قد دخل في اشتباك كلامي مع السفير الفرنسي في القاهرة الذي دعا إلى نسيان مشكلات الماضي، مشيراً إلى العدوان الثلاثي على مصر.

وأكد صاحب روايات «وردة»، و«بيروت»، و«ذات»، و«شرف»، و«نجمة أغسطس» أنه ليس لدينا أديب عالمي إلا نجيب محفوظ، وأن اختيار ما يترجم من أعمال أدبية يعتمد على ما يغازل العالم الغربي لا الذي يثير اهتمامه.

وبدا سعيداً بقراره بالتفرغ للإبداع، فقال: «لا أجد نفسي مضطراً لقمع رغباتي استجابة لمحظورات معينة. فقراري منحني الحرية والاستقلال، وهذا شيء أساسي بالنسبة إلى الكاتب».

مبيض، عامر رشيد/ موسوعة الثقافة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية: مصطلحات ومفاهيم.. حمص: دار المعارف، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ١٥٠٢ص.



تعاني المكتبة العربية من شح في مجال الكتب المنهجية التي تعالج المصطلح، كما تفتقر إلى موسوعات المصطلحات، مما سبب عسراً في انتقال النتاج الثقافي بين الأقطار العربية، وهو السبب الحقيقي في أزمة الثقافة العربية، كما يقول المؤلف في المقدمة.

جمع المؤلف مواد هذه الموسوعة من خلال مطالعاته في الكتب والدوريات الفصلية والشهرية التي ورد فيها تعريف لهذه المصطلحات من دون أن يقصد الكتاب إلى تعريفها، فجمع أكثر من ٦٤٠٠ مصطلحاً ومفهوماً في الثقافة والسياسة وعلم الاجتماع والاقتصاد والعلوم العسكرية، ونسّقها وبوّبها وأضاف، عند الضرورة، بعضها إلى بعض، ورتبها ترتيباً هجائياً، ليجيء هذا العمل الذي استغرق إنجازه ١٣ عاماً، أقرب إلى «المرجع» منه إلى المعجم أو القاموس أو الموسوعة.

وختم المؤلف كتابه بإيراد ثبت بالمصادر والمراجع شمل الكتب والمجلات والصحف و«الشهود» وهم المفكرون والمثقفون العرب الذين اقتبس المؤلف من مؤلفاتهم، وقد رتب أسماءهم هجائياً من دون ذكر الألقاب؛ كما أورد ثبتين بالمصطلحات مترجمين «عربي - إنجليزي» و«إنجليزي - عربي» مرتبين ترتيباً هجائياً مع تحديد صفحة كل مصطلح في الكتاب.

العتيبي، سعد عباس/ الخدمة الإخبارية في الإذاعة السعودية.. الرياض: المؤلف، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ٢٧٠ص.

تمثل الأخبار أهمية بالغة في حياة الأفراد والشعوب والمجتمعات، وتوجيه سلوكهم وتثقيفهم، وتكوين الرأي العام لديهم. وقد تصدرت الوظيفة الإخبارية وظائف الإذاعة المسموعة، وأصبحت من أهم مزاياها، كما دلّ على ذلك عدد من الدراسات التي أجريت في هذا المجال.

يعنى هذا الكتاب بالخدمة الإخبارية للعمل الإذاعي والبرامج والتعليقات السياسية، كما يهتم أيضاً بالخبر ومراحل تكوينه؛ إذ هو محور العملية الإعلامية. وقد جاء ذلك في أربعة أبواب واثني عشر فصلاً، تتناول نشأة وتطور الإذاعة بوصفها وسيلة اتصال بشكل عام، والإذاعة السعودية بشكل خاص، كما يتعرض لمصادر الأخبار، والتحرير الإخباري في إذاعة المملكة، وأخيراً يتناول الخدمة الإخبارية الفورية وغير الفورية.

وختم الكتاب بملاحق شملت: (هياكل الدورات الإذاعية)، و(الموجات العاملة في إذاعة المملكة العربية السعودية).

دكروب، محمد/ وجوه لا تموت في الثقافة العربية الحديثة.. بيروت: دار الفارابي، ١٩٩٩م، ٣٢٠ص.



هذا الكتاب الثالث لدكروب بعد كتابيه «شخصيات وأدوار في الثقافة العربية الحديثة»، و«الذاكرة... والأوراق»، وهو قراءة في الكتابة ومبدعيها ضمن سياق تاريخي، بحيث نصبح أكثر دراية، ومن ثم أكثر معرفة بالأثر الأدبي، وما جعله يأخذ هذا الشكل، ووفق أية ظروف، ثم ما أحدثه من تأثير، والنتائج التي انتهى إليها.

يقول عبدالرحمن منيف في تقديمه للكتاب: «هذه الكتابة تصدر عن معرفة حية، تتجلّى بشكل أساسي باستعادة المناخ، والإلمام بالتفاصيل، وببعض الخفايا؛ ولذلك تعدّ أقرب إلى البورتريه بالكلمة، خصوصاً أن أجزاء غير قليلة من الملابسات والمعلومات التي أحاطت بالأثر الفني ليست مدونة، ومن ثم غير معروفة إلا في نطاق ضيق، ومؤقتاً، مما يجعلها عرضة للزوال بمجرّد غياب الشهود».

تناول دكروب في هذا الكتاب عشرة مبدعين ومبدعة هم: محمد مهدي الجواهري، وعبدالله العلايلي، ومحمد عيتاني،

ويوسف إدريس، وحسيب الكيالي، ولطيفة الزيات، ونجيب مرور، ونزار مروة، ومهدي عامل، وسعد الله ونوس، وإميل حبيبي.

نقاع، إملي (وآخرون)/ المرأة في المنظمات الأهلية العربية.. القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٩م، ٤٩٩ص.

يغطي هذا الكتاب نشاط المرأة والمنظمات النسائية في العمل الأهلي العربي، وذلك في ست دول عربية هي: الأردن، والمغرب، وفلسطين، واليمن، ومصر، والكويت، وهو يكشف لنا تفصيلاً عن أنشطة منظمات المرأة ومجالات اهتمامها، ما بين الاهتمام الخيري والرعائي التقليدي، والاهتمام التنموي الذي ينزع إلى التغيير الشامل، وتوعية المرأة بحقوقها، وتفعيل دورها في العملية التنموية.

يعد هذا الكتاب مراجعة وتوثيقاً لدور المرأة التاريخي في العالم العربي، كما يأتي تلمساً للمعوقات التي تواجه منظمات العمل النسائي.

بن جنيد، يحيى محمود/ العرب في آسيا الوسطى: الوجود الاثني والتجذير الثقافي.. عمّان: دار الحامد للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ٣٣٢ص.

يبحث هذا الكتاب في وضع العرب في آسيا الوسطى، وتاريخ وجودهم وعلاقتهم بالمنطقة التي وجدوا فيها، وتوزعهم الاستيطاني، واندماج عناصر منهم في المدن التي عاشوا فيها، وتأثيرهم الثقافي في المنطقة، وتأثير المنطقة نفسها في الثقافة العربية.

قسم المؤلف كتابه إلى ستة فصول: جعل الأول مدخلاً للدراسة، والثاني بعنوان «عرب المستوطنات»، والثالث «عرب المدن»، والرابع «التجاذب الاثني وإشكالية الانتساب»، والخامس «التجذير الثقافي»، ثم السادس نتائج وخلاصة الدراسة، ثم ملاحق بالخرائط والأشكال، ومخطوطات أنساب، ونماذج من مخطوطات لمؤلفين ونساخ من آسيا الوسطى.



مجموعة من القصاصين البرازيليين/ قصص برازيلية، ترجمة: خليل كلفت وسحر توفيق.. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٠م، ٢١٠ص (سلسلة إبداعات عالمية؛ ٣٢٣).

يضم الإصدار ترجمة لمجموعة مختارة من القصص القصيرة لمجموعة من كُتّاب القصة البرازيليين مثل: ماشادو ده أسيس «الأب الحقيقي للأدب البرازيلي الحديث»، وجوان جيمارانس روزا، وجورج أمادو، وموريلو روبياون «أستاذ الفنتازيا البرازيلية»، والكاتبة كلاريس ليسبكتور وغيرهم.

وقد قدّم جون جليدسون بمقدمة تاريخية للإصدار تحت عنوان «القصة البرازيلية من ماشادو ده أسيس إلى الوقت الحاضر».

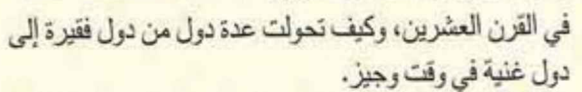


عثمان، عبدالله شيخ محمد/ الصراع الأهلي في الصومال.. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ١٢٠ص (دراسات معاصرة؛ ٦).

تلقي هذه الدراسة الضوء على ما يجري في الصومال، وتسعى إلى توضيح طبيعة الصراع الأهلي المتد فيه، وهي تتناول الأبعاد المختلفة لهذا الصراع، منذ بدايته في مطلع التسعينيات بسقوط الحكم العسكري، وحتى الدخول في دوامة الحرب الأهلية والنزاعات الاجتماعية والقبلية.

وتتضمن الدراسة أربعة عشر فصلاً تقاسمتها أربعة أبواب رئيسة وخاتمة، فجاء الباب الأول عن جذور الصراع الأهلي

في الصومال، ويتطرق الباب الثاني إلى بدء الصراع الصومالي وآثاره في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعن أسباب استمرار الصراع في الصومال جاء الباب الثالث، بينما يعرض الباب الرابع بفصوله الخمسة جهود تسوية الوضع في الصومال، وتقديم تصور للحل كما يرى الباحث.



العيسى، هلال بن محمد/ الأيام الخوالي في أخبار النساء والإماء والجواري.. أبها: نادي أبها الأدبي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ١٧٣ص.

منتخبات من الغزل والوصف والشكوى والعتاب والاعتذار والمديح والذكرى.. حرص منتقيها هلال العيسى على أن تكون منتقاة من المراجع الموثوق بها، فقد دمج الروايات المختلفة للقصة الواحدة، وأضاف بعض الكلمات - عند الضرورة - لتوضيح المعنى، مع حصر الكلمة أو الكلمات المضافة (من غير الأصل المنقول عنه) بين معقوفتين.



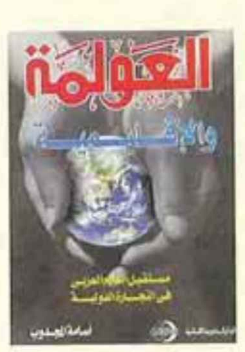
الكوراني، أسعد/ ذكريات وخواطر مما رأيت وسمعت وفعلت.. لندن: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٠م، ٤٠٣ص.

لكتب السير والتراجم والمذكرات قيمة وأثارة في نفسها فوق قيمتها التاريخية ومتعتها الأدبية؛ إذ تستوعب تجربة السنين المتلاحقة مما لا يُدرك إلا بلسان من شاهد وسمع وعايش الأحداث، لا من يؤرخها.

وتأتي ذكريات وخواطر أسعد الكوراني إلى جانب «مذكرات خالد العظم»، ورئيس الوزراء الراحل حسن الحكيم، و«ذكريات يوسف الحكيم»، من أساسيات الباحث في تاريخ سورية الحديث، وهي تستمد قيمتها من ارتباط اسم الكوراني بتاريخ القوانين والتشريعات السورية منذ بداياتها المبكرة.

الكتاب ذكريات وخواطر شخصية تغطي نصف قرن من عمر الكوراني وتاريخ سورية الحديث، وقد اعتمد المؤلف في تدوينها على ذاكرته، ولم يرجع إلى الوثائق إلا فيما ندر، وهو يرويها عبر أربع مراحل من تاريخ سورية الحديثة هي: أواخر العهد العثماني، ومرحلة الانتداب الفرنسي، ثم في عهد الجلاء، وأخيراً زمن الوحدة والانفصال.

أورد المؤلف في آخر الكتاب بعض الصور الفوتوغرافية التي توثق بعض المناسبات، وختمه بفهرس بأسماء الأعلام الذين ورد ذكرهم في الكتاب.



المجدوب، أسامة/ العولمة والإقليمية: مستقبل العالم العربي في التجارة الدولية.. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ٢٨٨ص.

يهتم الكتاب بدراسة تاريخ التحالفات والتجمعات الاقتصادية في القرن العشرين، وكيف تحولت عدة دول من دول فقيرة إلى دول غنية في وقت وجيز.

وقد جاء ذلك في ستة فصول رئيسة: يتناول الفصل الأول التداعيات الناجمة عن متغيرات الوضع الدولي بعد انهيار الشيوعية، وسيادة نظريات اقتصاد السوق، وأثر هذه التداعيات في التوجهات الفكرية والنظرية الاقتصادية والتجارية في علاقات الدول فيما بينها،وفي إدارتها لاقتصادها الوطني، كما يتناول المفهوم المستحدث للعالمية، وظهور فكرة القرية الكونية الصغيرة. ويستعرض الفصل الثاني الدوافع التي أدت إلى تزايد النزعة الدولية نحو مزيد من الإقليمية في السياسات التجارية والاقتصادية. ويناقش الفصل الثالث محاولات التكامل الاقتصادي العربي منذ قيام مفهوم القومية العربية، وظهور جامعة الدول العربية إلى النور، ويعرج على ذكر معوقات هذا التكامل، والمستجدات الطارئة على الساحة العربية. ويلقي الفصل الرابع الضوء على أبعاد التنظيم التجاري الدولي، والدوافع الداعية إلى قيامه عام ١٩٤٧م، وتطوره بعد ذلك. أما الفصل الخامس فيتناول بالدراسة أسلوب تناول منظمة التجارة العالمية لمفهوم التكامل الإقليمي. والفصل السادس والأخير، وهو أهم فصول الكتاب ، كما يقول المؤلف، يتناول بالدراسة دور مصر في إطار التفاعل الدولي، وإحياء جهود التكامل الاقتصادي العربي والإقليمي.



سري الدين، عايدة العلي/ الحرب الباردة في الخليج الساخن.- بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٩٩م، ٦٢١ص.

إن الأزمة العراقية، وأحادية القطب المتمثلة في الهيمنة الأمريكية المتفردة في العالم هما من أهم القضايا والمشكلات التي عُرفت في العقد الماضي، ويأتي هذا الكتاب مزاوجاً في الاهتمام بين هذين الموضوعين.

يقع الكتاب في مقدمة وخمسة أبواب: تناول الباب الأول العلاقات العراقية الأمريكية بين عامي ١٩٤٥م و١٩٨٨م، وقضية العدوان الأمريكي على العراق والمواجهة الأمريكية العراقية «من الحشود إلى الانتهاء بتفتيش قصور صدام»، أما الباب الثاني فيناقش مواقف العراق إزاء التهديدات الأمريكية، والخلافات مع لجنة الأمم المتحدة «يونسكوم»، ثم إبرام اتفاقية (النفط مقابل الغذاء)، أما الباب الثالث فيتناول مواقف روسيا وفرنسا من الأزمة العراقية الأمريكية، وكذلك الدور البريطاني والإسرائيلي، وتنتقل الباحثة في الباب الرابع للحديث عن مواقف بعض الدول العربية والإسلامية من الأزمة مثل سوريا ومصر وإيران وتركيا ودول الخليج، إضافة إلى الحديث عن العلاقات العربية الأمريكية في ضوء الأزمة.

وأخيراً قدمت الباحثة في الباب الخامس الوثائق التي تغطي موضوع الكتاب، تلاه ثلاثة ملاحق للكتاب.

نصر، محمد موسى/ شذا العَرْف في أحكام الوقف.- عمّان: دار الحامد، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ٦٣ص.

كانت الأوقاف الإسلامية على مدار التاريخ الإسلامي سبباً من أسباب استغناء طلبة العلم، وسبباً في استقلالهم وحريتهم في الإفتاء والدعوة؛ إذ تكفل هذه الأوقاف معيشة طلبة العلم من السكن والطعام والنفقة واللباس وغير ذلك من ضروريات الحياة، فلا يمكن حينها تذليل طلبة العلم لآراء المتنفذين وأهوائهم.

ويشير المؤلف إلى أن أهم دافع إلى هذا التأليف هو الجهل المتفشي بيننا في أحكام الوقف، وهو ما شجّع أصحاب الأهواء على الاجتراء على الأوقاف الإسلامية والتلاعب بها، والاعتداء عليها بالسرقة والتغيير والتأجير.

من أهم المسائل التي تحدث المؤلف عنها: حكم الوقف، وفضله، وأنواعه، ومحظوراته، وكتابته، وصور من أوقاف الصحابة رضي الله عنهم، وغير ذلك.



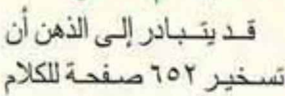
بوكانان، آر.إيه./ الآلة قوة وسلطة: التكنولوجيا والإنسان منذ القرن ١٧ حتى الوقت الحاضر، ترجمة شوقي جلال.- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٣١٣ص (سلسلة عالم المعرفة؛ ٢٥٩).

الكتاب يمثّل دراسة تاريخية اجتماعية لتطور التكنولوجيا في عالم الغرب، ويقدّم مسحاً كاشفاً عن أثر التكنولوجيا في المجتمع منذ القرن السابع عشر حتى الوقت الحاضر. ويبدأ من عصر البخار وما أعقبه من تطورات في الزراعة والنقل والاتصالات والأسلحة، بالإضافة إلى التحولات في علاقات المجتمع وفيما بين المجتمعات والتطورات السياسية والفكرية والأخلاقية.

ويؤكد الكتاب معضلة التكنولوجيا؛ وهي كيف نوجه قوة التكنولوجيا لخير البشر وليس لدمارهم؟.



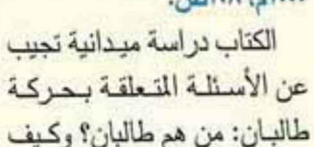
سعيد، خيرالله/ ورّاقو بغداد في العصر العباسي.- الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ٦٥٢ص.



قد يتبادر إلى الذهن أن تسخير ٦٥٢ صفحة للكلام عن الورّاقين؛ ترف وإسراف لا طائل من ورائه! ولا يزول العجب إلا بالتذكير بأن هذه الفئة المغمورة المطمورة

هي التي حفظت لنا تراثنا؛ بنسخه وبممارسة بقية أعمال الوراقة من التجليد والتذهيب والدلالة على الكتب في أسواق البيع.

قسّم المؤلف كتابه إلى ستة أبواب: جعل الأول منها فرشاً للحديث عن الورّاقين، بالحديث عن تاريخ مدينة بغداد وتنامي المعرفة فيها، والباب الثاني عن أدوات الكتابة (القلم، والدواة، والحبر)، ثم الباب الثالث عن صناعة الورق، انتقل بعد ذلك إلى الحديث في الباب الرابع عن «ظهور مهنة الوراقة» فعرّف بالوراقة والورّاقين، وتحدث عن أثمان النسخ والتجليد، والنسخ والمقابلة عندهم، كما تحدث عن أخلاق الورّاقين، ومعاناتهم، وأصنافهم، وفي الباب الخامس تناول المؤلف سوق الورّاقين في بغداد محاولاً تحديد موقعه التاريخي، وساق نوادر هذا السوق والبيع فيه، ويأتي الباب السادس عن «أعلام الورّاقين» فقدم ما يربو على ٢٥٠ ترجمة لأعلام الورّاقين الذين وزّعهم إلى فئات منهم: المستملون، ووراقو الحديث، والوراقون النساخون، والوراقون الدلالون، وغيرهم.

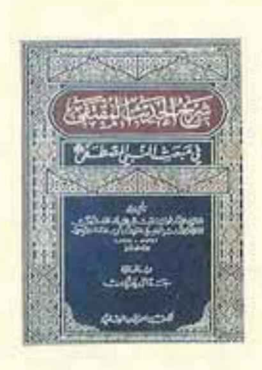


الحازمي، منصور إبراهيم/ سالف الأوان.- الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ٣٩٣ص (سلسلة كتاب الرياض؛ ٧١).

«سالف الأوان» ليس عملاً قصصيًا أو شعريًا، كما يوحي العنوان بذلك، بل اختار المؤلف هذا العنوان للدلالة على أن المقالات المنشورة تعود إلى عقد مضى - حسب فلسفة المؤلف لسالف الأوان - ؛ إذ يقول الحازمي في تصدير الكتاب: «... إن إيقاع الزمن قد تسارع في عصرنا الحاضر إلى درجة مذهلة، فلم يعد «سالف العصر والأوان» ذاك الذي حدث قبل مئات السنين أو آلافها، بل يمكن أن يكون ذاك الذي حدث قبل عقد واحد فقط أو أقل...

لعلي، إذن، بعد هذا التوضيح، أن أقنع القارئ الكريم بملاءمة هذا العنوان «سالف الأوان» لهذه المقالات التي كُتب أقدمها في أواخر العقد الماضي».

قسّم المؤلف الكتاب إلى خمسة أقسام، يضم كل قسم منها مقالات متجانسة؛ فجاء أولها: في الأدب السردي، والثاني: في السير الذاتية، والثالث: عن بعض الشخصيات، ثم الرابع: نفحات من الشرق الأقصى، وآخر الأقسام: أصداء وتأملات.



أبي شامة المقدسي، عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (٥٩٩-٦٦٥هـ)/ شرح الحديث المقتفى في مبعث النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، تحقيق: جمال عزّون.- الشارقة: مكتبة العمرين العلمية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٣١٦ص.

قدّم المصنف في هذا الكتاب شرحًا لحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهو الحديث المشهور بحديث المبعث، أو حديث بدء الوحي، وهو متعلق بالمراحل الأولى لمجيء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما تطرق أيضًا إلى دور أم المؤمنين خديجة التي آزرت النبي صلى الله عليه وسلم وواسته.



غزالي، عبدالحليم/ طالبان: العمائم والمدافع والأفيون.- القاهرة: دار الخيال، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ٢٠٨ص.

الكتاب دراسة ميدانية تجيب عن الأسئلة المتعلقة بحركة طالبان: من هم طالبان؟ وكيف حققت هذه الحركة هذا الصعود السريع؟ وما هي أفكار قيادتها السياسية والدينية؟ وعلاقتهم بالدول المجاورة لهم كباكستان، وإيران، وصلتهم بأسامة بن لادن، ومصادر تمويلهم، وعلاقتهم بتجارة الأفيون، وموقفهم من القضايا الإنسانية كقضية حقوق المرأة وحقها في العمل والتعليم والحقوق الأخرى؟.

وتأتي أهمية الكتاب في كونه يحتوي على مقابلات مباشرة مع قادة «طالبان» وعلى رأسهم الملا محمد عمر «رئيس الحكومة في طالبان».



الإسلام اليوم
(ع١٦ـ ١٧، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)

مجلة دورية تصدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو. بثلاث لغات هي: العربية، والإنجليزية، والفرنسية.

حفل هذا العدد من الدورية بعدد من البحوث التربوية والعلمية، والمقالات الفكرية التحليلية مدعمة ببيانات وإحصاءات وأرقام مستقاة من مصادر صادقة. افتتح المقالات الرئيس البوسني علي عزت بيجوفيتش بموضوع عنوانه «رؤية حضارية إلى الغرب»، ثم الدكتور أحمد بن عثمان التويجري بموضوع عن «الدين والعولمة»، وقدم محمد صلاح الدين المستاوي وثيقة «من أجل اندماج حقيقي للإسلام في فرنسا»، وتناولت الدكتورة سعاد إبراهيم صالح موضوع «احترام حياة الجنين في الشريعة الإسلامية»، وعلي محمد شمو «دور الاتصاليين في التنمية الثقافية»، وناقش الدكتور جمال نصار حسين «الظاهرة الإنسانية في ضوء الإعجاز المعرفي للقرآن العظيم». وخُتمت الدورية بكشاف بمحتويات الأعداد من العدد الأول، حتى هذا العدد المزدوج.

العنوان: ص.ب: ٢٢٧٥ - الرمز البريدي ١٠١٠٤ حي الرياض، الرباط، المملكة المغربية. هاتف: ٧١٥٢٩٤/ ٧١٥٣٠٥/ ٧١٥٢٨٥/ ٧٧٢٤٣٣/ ٧١٣٢٦٦/ ٧١٣٢٦٧ (٧- ٢١٢)، فاكس: ٧٧٢٠٥٨/ ٧٧٧٤٥٩ (٧- ٢١٢)، بريد إلكتروني: E-mail ISESCO cid@isesco.org.ma



مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية
(مج٦، ع١، المحرم - جمادى الآخرة ١٤٢١هـ/ أبريل - سبتمبر ٢٠٠٠م)

مجلة نصف سنوية محكّمة تهتم بقضايا الكتب والمكتبات والببليوجرافيا، وتقنية المعلومات والتوثيق العلمي، إلى جانب عنايتها بمصادر تاريخ المملكة العربية السعودية.

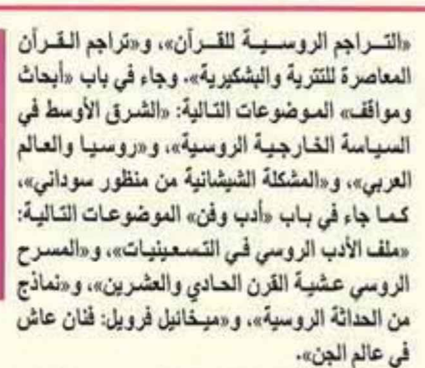
وقد جاء في هذا العدد من المجلة، وهو عدد خاص، مجموعة من الدراسات والبحوث المتنوعة، منها: «توثيق الإنتاج الفكري السعودي»، و«حركة التأليف والنشر في المملكة العربية السعودية من واقع تطبيق نظام الإيداع السعودي»، و«الفواتح في الكتاب السعودي المعاصر» وغير ذلك من الموضوعات. إضافة إلى الببليوجرافيا والمراجعات، وأضواء على كتب حديثة، وبحوث جارية.

العنوان: ص.ب: ٧٥٧٢. الرياض: ١١٤٧٢. هاتف: ٤٦٢٤٨٨٨ السعودية ناسوخ: ٤٦٤٥٣٤١ - مبرقة: ٤٠٧٥٩٩ - كفلتراس. جي.

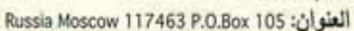
رمال
(الكتاب السادس: بداية عام ٢٠٠٠م)

صدر العدد السادس من الكتاب الفكري الثقافي الدوري «رمال» الذي يعنى بالشؤون الروسية العربية، فجاء، ضمن ما نشر، ملف عن الأبعاد الجيوسياسية للمشكلة القوقازية، وبحثان عن ترجمة القرآن الكريم هما:





«التراجم الروسية للقرآن»، و«تراجم القرآن المعاصرة للتترية والبشكيرية». وجاء في باب «أبحاث ومواقف» الموضوعات التالية: «الشرق الأوسط في السياسة الخارجية الروسية»، و«روسيا والعالم العربي»، و«المشكلة الشيشانية من منظور سوداني»، كما جاء في باب «أدب وفن» الموضوعات التالية: «ملف الأدب الروسي في التسعينيات»، و«المسرح الروسي عشية القرن الحادي والعشرين»، و«نماذج من الحداثة الروسية»، و«ميخائيل فروبل: فنان عاش في عالم الجن».



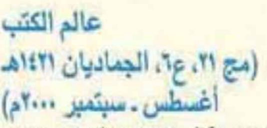
العنوان: Russia Moscow 117463 P.O.Box 105



عالم الكتب
(مج ٢١، ع٦، الجماديان ١٤٢١هـ أغسطس - سبتمبر ٢٠٠٠م)

مجلة محكّمة متخصصة في الكتاب وقضاياه، تصدر عن دار ثقيف للنشر والتأليف.

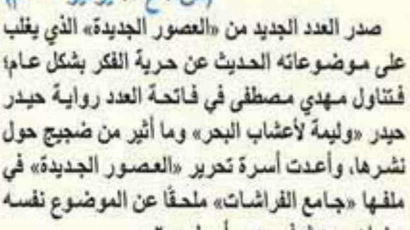
جاءت الدورية حافلة بعدد من الدراسات، فقد كتب صالح بن محمد العقيل عن «كتاب السنة لعبدالله ابن الإمام أحمد بن حنبل»، وتناول أيمن بن علي بن عبدالعزيز الغفيلي «الخدمات التي تقدمها مكتبة مركز دراسة الطالبات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لأعضاء هيئة التدريس والمحاضرات والمعيدات»، بينما كتب محمد بن صالح الخليفي عن «تخطيط مقترح لتأسيس شبكة معلومات إسلامية»، وختمها نبيل عبدالله قمصاني بالحديث عن «الاتجاهات السلوكية لمستخدمي قواعد المعلومات والمنتجين لها». إضافة إلى استعراض عدد من الكتب التي صدرت حديثًا.



العنوان: ص.ب: ٢٩٧٩٩ - الرياض ١١٤٦٧
هاتف: ٤٧٦٥٤٢٢ - ناسوخ: ٤٧٦٣٤٣٨

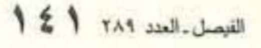
العصور الجديدة
(س١، ع١١، يوليو ٢٠٠٠م)

صدر العدد الجديد من «العصور الجديدة» الذي يغلب على موضوعاته الحديث عن حرية الفكر بشكل عام؛ فتناول مهدي مصطفى في فاتحة العدد رواية حيدر حيدر «وليمة لأعشاب البحر» وما أثير من ضجيج حول نشرها، وأعدت أسرة تحرير «العصور الجديدة» في ملفها «جامع الفراشات» ملحقًا عن الموضوع نفسه بعنوان «حدث في مصر أبريل ٢٠٠٠م».



ويقدم العدد عددًا من المحاور المتنوعة: فجاء تحت عنوان «أشباح جديدة» عدد من المقالات في وداع الراحلة سناء المصري، كما جاء تحت عنوان «عقائد قديمة» ثلاثة مقالات هي: «أخناتون أول شهداء العقيدة»، و«سقراط الديمقراطية والموت»، و«سرجون الأكدي وليد غير شرعي يقودنا إلى الحرية»، وغير ذلك من محاور.

العنوان: العصور الجديدة للنشر والتوزيع: ١٢ جمال الدين أبو المحاسن - جاردن سيتي القاهرة ج.م.ع تلفاكس ٧٩٥٩١٣٣ - ٧٩٦٤٠٩٨



email : Alousour @ Intouch. com

من أخبار القحط في بلادنا منذ القرن الحادي عشر الهجري

إبراهيم بن محمد الزيد
جدة - السعودية

لقد اختار الله سبحانه وتعالى هذه البلاد «قلب الجزيرة العربية» لتكون موضعاً للبيت الحرام. وجعله بواد غير ذي زرع، يتميز بالجفاف والحرارة وقلة الأمطار ابتلاءً من الله لعباده. وتمرّ هذه البلاد الواسعة بفترات قحط تطول حيناً، وتقصر حيناً آخر.

فعندما تمر بالجفاف، ويصاب الإنسان فيها بالفقر والجوع، ويتعرض للأوبئة والأخطار، يموت كثير من الناس. وقد سجل المؤرخون من أبناء هذه البلاد ما مرّ بالجزيرة من قحط، وما ترتب على ذلك من مشكلات اجتماعية واقتصادية عصفت بكيان الإنسان واستقراره، وجعلته في حيرة من أمره. وعندما أقوم اليوم بذكر ما سجله المؤرخون في العصر الحديث من سوء في الأحوال المعيشية إنما أسعى إلى تذكير أنفسنا بما كان عليه الآباء من معاناة. وقد اقتصرت على العصر الحديث لأنه أقرب إلى التذكر من الأحقاب الخالية، وأدعى إلى تذكر ما منّ الله به علينا من خير وافر، وجعلنا في السنوات الأخيرة لا نحس بما سببه الجفاف وانحباس المطر من مشكلات؛ وذلك لانتشار مراكز التموين الملأى بالأغذية في طول البلاد وعرضها من الإنتاج المحلي وغيره. ولعل أهل الأرياف أكثر إحساساً بمشكلات الجفاف من أهل المدن الكبيرة؛ لأن أحوالهم المادية أرق من غيرهم ولا سيما المزارعون ومن يربون الماشية.

لقد مرت بالبلاد في العام الماضي وهذا العام فترة جفاف دعت ولي الأمر - رعاه الله - إلى حث الناس على إقامة صلاة الاستسقاء في المملكة أكثر من مرة تأسياً برسول الرحمة صلى الله عليه وسلم. والحقيقة الآن أن الذين يستجيبون لحضور صلاة الاستغاثة ليسوا الأكثر من السكان. وهذا أمر يثير الانتباه، ونرجو الله أن يهب المسيئين للمحسنين. لقد كان الناس فيما مضى يتسابقون إلى الصلاة، ويخرجون إلى مكان في طرف العمران، فيخرج الكبار والصغار والنساء، فيتضرعون إلى الله بقلوب وجلة خاشعة، وقد بذلوا الصدقات للفقراء قبل الصلاة، فيستجيب الله لتضرعهم فضلاً منه ورحمة. فيغمرهم بالأمطار الغزيرة. فالجفاف وقلة الأمطار ونقص المحصول هي ابتلاء من الله لا يرفع إلا بتوبة من كثير من المعاصي، مثل التخلف عن الصلاة، ومنع الزكاة، والوقوع في الربا، والظلم، والفواحش، والشرك والمسكرات، وتطفيف الموازين والمكاييل، ونهب الأموال الخاصة والعامة. فإذا ارتفع المسلم عن الآثام عمت الرحمة وتدفق الرخاء والنماء.

إن في جيل الشباب والشابات وغيرهم في هذا الوقت الحاضر من هم في حاجة إلى من يبصرهم ويذكرهم بالأحوال السابقة، ويضع أيديهم على الحقائق التاريخية؛ لعلنا جميعاً نعتبر؛ فالإسراف والتبذير ليسا من سمات المسلم الحق، والمبادرة بالتوبة من الجميع أمر واجب. قال الله تعالى: *ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون*. **الأعراف:٩٦**. وقال الله تعالى: *فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا*. **نوح: ١٠ - ١٢**. وليس بالعيب ما مرّت به البلاد من رقة العيش والفقر، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتاليين حتى قبض رسول الله. متفق عليه(١). وعن أنس رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما أمسى عند آل محمد صاعُ بُرٍّ، ولا صاع حب وإن عنده لتسع نسوة. رواه البخاري(٢). قال الشاعر:

يا طالب الصفو في الدنيا بلا كَدَرٍ
طلبت معدومة فاْيأسْ من الظفر
واعلم بأنك ما عُمِّرتَ مختَبَرٌ
بالخير والشر والميسور والعُسْرِ
أنى تنال بها نفعاً بلا ضررٍ؟
وإنها خلقت للنفع والضررِ(٣).

وقد ذكر أسباب الجفاف وانعدام المطر بعض مؤرخي هذه البلاد، وقد قمت بذكرها مرتبة على السنين مع تباين بعض المؤرخين في تحديد الأعوام. وقد رقّقت بعض الكلمات وحذفت بعضها، ومن يرد الاطلاع على النصوص فله أن يرجع إلى المصادر التي ذكرتها في الهوامش.

أبرز أعوام القحط

فقد ذكروا أنه في سنة ١٠٣٢هـ وقع (جلدان) وهو قحط(٤). وفي سنة ١٠٤٦هـ حصل قحط يسمى (بلادان) ومجاعات عمت البلدان(٥). قال الفاخري: وهو قحط شديد وإنه وقع في سنة ١٠٤٧هـ(٦). وفي سنة ١٠٦١هـ عمّ القحط المسمى (هبران)، وهو قحط شديد(٧). وفي سنة ١٠٧٧هـ اشتد الغلاء فأكل ما لا يؤكل، وقد باع أهل مكة الحوائج(٨). وفي العام نفسه وقع «صلهام»(٩). قال ابن عيسى: أول القحط «صلهام» هلكت فيه بوادي عدوان وغيرهم، واستمر إلى سنة ١٠٧٨هـ. وفي سنة ١٠٧٩هـ في جمادى الأولى تواتر الخبر باشتداد الجدب والقحط في القنفذة وصبيا والتهائم ونواحيها، وفي بعض الأيام بالقنفذة وجدوا عند امرأة حجامة رجلين مقتولين، فأمسكت وغرقت في البحر. ولحق بأهل الطائف شدة عظيمة.. وما صار أحد يخبز عيشه في الفرن؛ لأنهم يخطفونه من شدة الجوع، بل يخبزون في البيوت ويستترون(١٠).. ولم يعد أحد يمشي وحده، وأهل الحجاز الأعلى هربوا من بلادهم وتركوها، وغالب أهل القرى والبادية جاؤوا إلى مكة هاربين ملتجئين إلى رب العباد وهم يصيحون الجوع الجوع ويتضرعون في الطرقات(١١). وفي سنة ١٠٨٥هـ مر بالبلاد قحط شديد سمي جرمان(١٢). وفي سنة ١٠٨٦هـ جاء البلاد القحط العظيم المسمى «جرادان»(١٣). وفي سنة ١١١٤هـ حصل غلاء حتى أكل (ما لا يؤكل) يسمى في الحجاز «سمدان» حيث سمد فيه أهل الحجاز وكثير من البوادي(١٤). وذكر ابن بشر أن أموال قبيلة هتيم وبعض الحجاز قد ذهبت(١٥). وفي سنة ١١٣٦هـ ذهب «دبش» البدوان، ومات أكثر الناس جوعاً، وجلا أكثر أهل نجد، ويسمى «سحا»(١٦). قال ابن بشر: ومات أكثر بوادي قبيلة حرب وبوادي الحجاز وغلا الزاد في الحرمين حتى لا يوجد ما يباع، وأكل ما لا يؤكل، وذكر أن ذلك في سنة ١١٣٧هـ(١٧).

وعم القحط والغلاء من الشام إلى اليمن والحضر، وماتت الأغنام والجمال و«هثلت»(١٨) أكثر البدو في البلدان. وغارت الآبار، وجلا أهل سدير، ولم يبق في بلدة «العطّار»(١٩) إلا أربعة رجال، وغارت آبارها إلا ركيتين، وكذلك بلدة «العودة»(٢٠). وجلا كثير من أهل نجد إلى الحسا والبصرة، قال بعض الأدباء في سدير:

غدا الناس أثلاثا فثلث شريدة
يلاوي صليب البين عارٍ وجائع

وثلث إلى بطن الثـــــرى دفن مـــــيت
وثلث إلـى الأرياف جـــــالٍ وناجع(٢١)

وفي سنة ١١٤٦هـ قلَّ المطر وصار بنو خالد، وقبيلة عنزة، وقبيلة مطير، وقبيلة زعب، وبنو حسين، وعربان شمَّر متنازلين بينبان إلى الدجاني في «خطيطة» والذي غيرها قحط ليس به مرعى(٢٢). وفي سنة ١١٦٠هـ وقع الغلاء وشدته المسمى «شيتة»(٢٣)، وفي سنة ١١٧٠هـ صارت السنة شهباء محْلاً على كل الناس(٢٤). وفي سنة ١١٨١هـ حل بالبلاد القحط المعروف «سوقة» غارت فيه الآبار، وغلت الأسعار، ومات كثير من الناس جوعاً ومرضاً. وجلا الناس إلى الزبير والبصرة والكويت وسميت «سوقة» لكثرة جلاء الناس(٢٥). وفي سنة ١١٩٧هـ استمر المحل المسمى «دولاب» إلى عام المئتين(٢٦). ولقلة الأمطار، وغلاء الأسعار والجوع، وموت كثير من النساء والرجال والأطفال أمر الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ـ رحمه الله ـ (ت ١٢١٨هـ) بصرّة للضعفاء ولأهل البلد، وفرق عليهم شيئاً كثيراً(٢٧)، وجلا كثير من أهل سدير إلى بلد الزبير والبصرة(٢٨).

قال ابن بشر: أوقع الله هذا الغلاء والقحط بعد مقتل الإمام تركي بن عبدالله ابن محمد بن سعود ١٢٤٩هـ، وقد دام في نجد سبع سنين(٢٩).

وفي سنة ١٢٦٩هـ وقع القحط، وماتت فيه أغنام البوادي(٣٠). وفي سنة ١٢٢٠هـ اشتد الغلاء على الناس، وسقط كثير من أهل اليمن، وماتت إبلهم وأغنامهم(٣١). وفي سنة ١٢٢٢م اشتد الغلاء، وأمحلت الأرض، وماتت أغلب أدباش البلاد، وسميت «حطاب»(٣٢).

وفي سنة ١٢٢٣هـ كان الغلاء في جميع النواحي؛ نجد واليمن والتهائم والحجاز والأحساء، وفيها كان الوباء والمرض اللذان عما(٣٣)، وزاد ابن بشر: وأمحلت الأرض، وهلك غالب مواشي البوادي، ولم يبق لأكثرهم إلا القليل، وهلك غالب مواشي الحضر، ومات فيه خلق كثير(٣٤). وفي سنة ١٢٤١هـ وقع القحط والغلاء في جبل شمر، ولم تسمن الدواب على عادتها لقلة النبات(٣٥). وفي سنة ١٢٥٠هـ دام القحط المسمى «مخلص» تسع سنين(٣٦). وفي سنة ١٢٥١هـ اشتد الغلاء، وقلّ المطر، وأصاب الناس مجاعة، وجلا كثير من أهل سدير إلى بلد الزبير والبصرة(٣٧). قال ابن بشر: أوقع الله هذا الغلاء والقحط بعد مقتل الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود وهذا مشابه لما أوقعه الله بعد مقتل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود فقد دام سبع سنين(٣٨). وفي سنة ١٢٥٤هـ استمر الغلاء والقحط على حاله، وخالد بن سعود وإسماعيل باشا في الرياض(٣٩). وفي سنة ١٢٥٥هـ والتي قبلها اشتد الغلاء والقحط على حاله(٤٠). وفي سنة ١٢٦٧هـ عجفت البهائم(٤١). وفي سنة ١٢٧٦هـ اشتد الغلاء، وعسر الأمر على الفلاحين ومن كل من يعمل لهم بأجرته، ووقع في



السؤال كثير من الناس بخلاف العادات المتقدمة(٤٢). وفي سنة ١٢٨٧هـ وقع الغلاء الشديد والقحط اللذان استمرا إلى سنة ١٢٨٩هـ (٤٣)، وأكل ما لا يؤكل، ومات خلق كثير من الجوع(٤٤). وزاد ابن عيسى: وحل بأهل نجد بسبب القحط والجوع والقتل والنهب والفتن، أمر عظيم وخطب جسيم(٤٥). ومات خلق كثير.. وأكلوا «الرطبة» وهي «القتُّ» بلسان العامة، وأكلوا ورق الزرع فأثر ذلك في جلودهم، وأصابهم انتفاخ وأورام، ثم ماتوا بعد ذلك. واستمر الغلاء إلى آخر السنة التي بعدها(٤٦).

واللافت للنظر أن الدولة العثمانية، وهي القابضة على مقاليد الأمور في البلاد، ما علمت أنها هبت لمساعدة الأهالي، وتخفيف معاناتهم بتوزيع الأطعمة عليهم ومداواتهم، وهي القادرة على ذلك، وليتها عملت عمل الإمام عبدالعزيز بن محمد ابن سعود ـ رحمه الله ـ وقد ذكر ذلك من قبل.

وبفضل من الله أنه بعد قيام الملك عبدالعزيز ـ طيب الله ثراه ـ بتأسيس المملكة العربية السعودية ـ قلّت حدة آثار القحط كثيراً بما فتح الله به على هذه البلاد وأهلها من رزق. فبعد توطيد الأمن، ورسوخ الاستقرار الاجتماعي السياسي، وتحسن وسائل النقل باستخدام السيارات والطائرات، وإصلاح موانئ الاستيراد وعودة الناس إلى الزراعة والكشف عن البترول، تدفق الخير، وعم الرخاء والنماء بحمد الله في كل أنحاء البلاد.

المراجع والهوامش

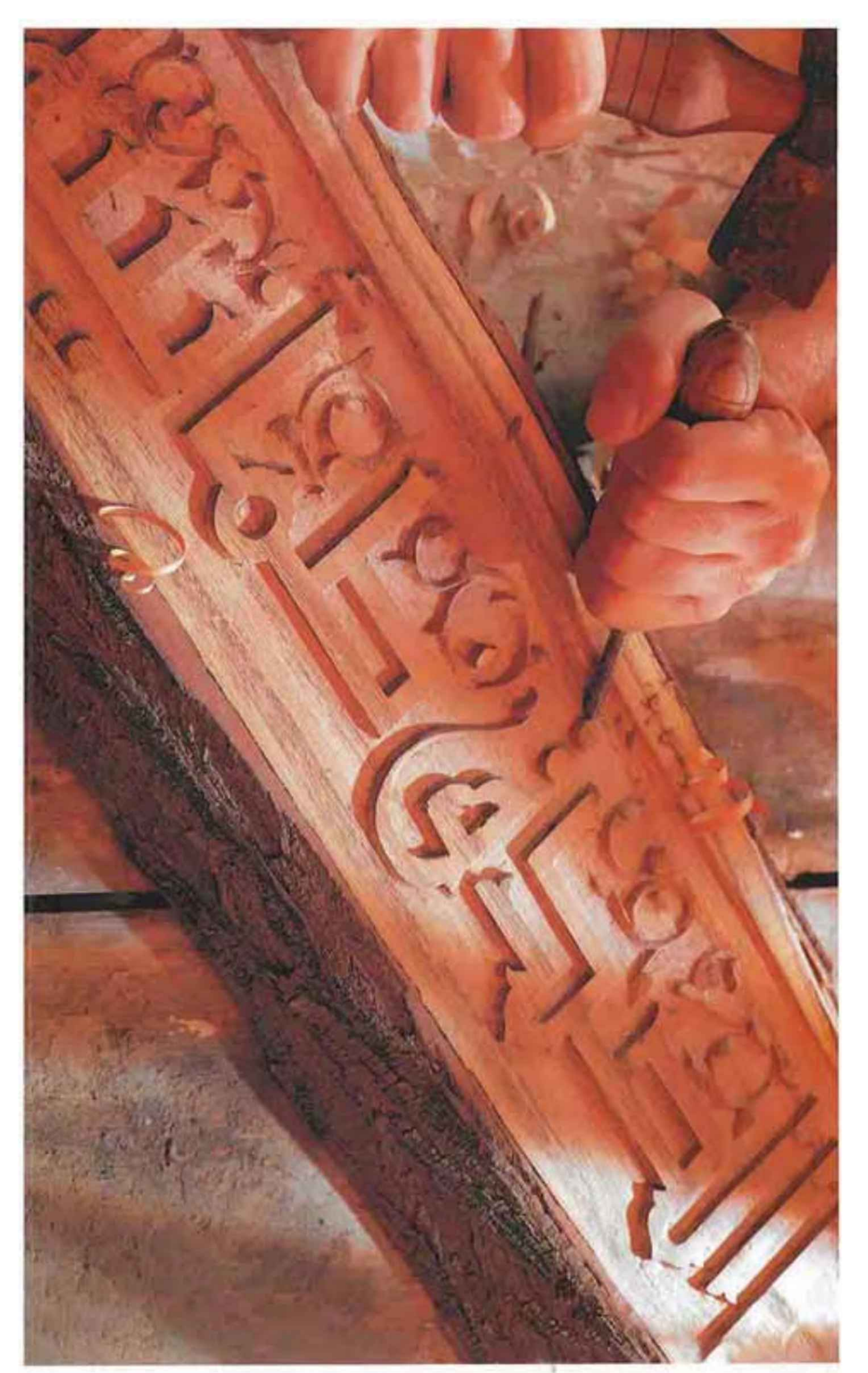
١. رياض الصالحين، الإمام النووي، ص٢٣٤.
٢. المصدر نفسه، ص٢٤١.
٣. مجموعة «الزهديات»، عبدالعزيز بن محمد السلمان، مطابع الخالد، الرياض ١٤٠٩هـ، ص٢٠٨.
٤. تاريخ ابن ربيعة، محمد بن ربيعة العوسجي، تحقيق: د. عبدالله الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص٥٨.
٥. المصدر نفسه، ص٦٠.
٦. الأخبار النجدية، محمد بن عمر الفاخري، تحقيق: د. عبدالله الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص٦٨.
٧. تاريخ ابن ربيعة، مرجع سابق، ص٦٨.
٨. الأخبار النجدية، مرجع سابق، ص ٧٤.
٩. تاريخ ابن ربيعة، مرجع سابق، ص ٦٦.
١٠. تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء البلدان (تاريخ ابن عيسى)، إبراهيم بن صالح بن عيسى، تحقيق: حمد الجاسر منشورات دار اليمامة، الرياض، ص٦١.
١١. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبدالملك بن حسين العصامي، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٠٨هـ، ٣/ ٥٠١.
١٢. الأخبار النجدية، مرجع سابق ص٧٦؛ عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: عبدالرحمن عبداللطيف آل الشيخ، وزارة المعارف ١٣٩٤هـ، ٢/ ٢١٢.
١٣. تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، مرجع سابق ص ٦٦.
١٤. الأخبار النجدية، مرجع سابق ص ٩٠؛ عنوان المجد، مرجع سابق ٢/ ٢٢٦.
١٥. عنوان المجد، مرجع سابق ٢/ ٢٢٦.
١٦. تاريخ ابن ربيعة، مرجع سابق ص٨٨.
١٧. عنوان المجد، مرجع سابق ٢/ ٢٣٦.
١٨. أي أقامت.
١٩. بلدة تقع في أسفل وادي الفقي من اليمامة. معجم اليمامة ٢/ ١٦١.
٢٠. عودة سدير تقع في أسفل وادي الفقي قرية عامرة. معجم اليمامة ٢/ ١٨٨.
٢١. عنوان المجد ٢/ ٢٣٥.
٢٢. الأخبار النجدية ص١٠٣.
٢٣. تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص١٠.
٢٤. الأخبار النجدية، ص١١٠
٢٥. تاريخ ابن ضويان ص٤٥؛ ذكر بعض الحوادث الواقعة في نجد ص١١٣؛ وانظر أيضاً عنوان المجد ١/ ٦٦.
٢٦. المصدر نفسه، ص٥١.
٢٧. عنوان المجد ١/ ٩٦.
٢٨. الأخبار النجدية، ص١٧٢.
٢٩. عنوان المجد ٢/ ٨٧.
٣٠. ـ ٣٥. الأخبار النجدية، ص١٣٣، ١٣٣، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٦، ١٦٣.
٣٦. تاريخ ابن ضويان، ص٩١.
٣٧. الأخبار النجدية، ص١٧٢.
٣٨. عنوان المجد، ٢/ ٨٧.
٣٩. عنوان المجد، ٢/ ١٠١.
٤٠. المصدر نفسه، ٢/ ١١٣.
٤١. ـ ٤٤. الأخبار النجدية، ص ١٨٠، ١٨٣، ١٩٢، ١٩٢.
٤٥. تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، ص١٨١.
٤٦. عنوان المجد، ٢/ ٧٣.

الحكمة

مجلة بحثية علمية شرعية ثقافية تصدر كل أربعة أشهر



العنوان: p.o.Box:hp 70 - Leeds Ls6 ixn ,U.K - Fax 2741829
العنوان في المملكة العربية السعودية: المدينة المنورة ص.ب ٦٦٠٤
هاتف: ٨٣٦٤٥٩٨ - ٠٤ جوال ٠٥٠٥٨١٦٠٤٣ - ٠٠٩٦٦ - فاكس: ٨٣٦٧٣٩٢ - ٠٤



قيم نبيلة سامية، وتقاليد عريقة راسخة

من نبع تراثنا الأصيل، كانت وماتزال المعين

الذي لا ينضب لمسيرة هذا الوطن.

استلهمنا منها أعمالنا واتخذناها منهاجاً

وعلى طريقها القويم تابعنا مسيرة النجاح.

اليوم وفي المستقبل، سنبقى أوفياء لقيمنا

الأصيلة متمسكين بها ملتزمين بنهجها

لتبقى دائماً الأساس المتين لنجاحنا المستمر.

نعتزّ بقيمنا